المملكة العربية السعودية - الرياض
جامعة الملك سعود
كلية التربية
الثقافة الاسلامية

الهدي النبوي
في
البلاغ والتعليم

جمع ودراسة

عصام بن سعد بن محمد العبد الكريم المعمر

لنيل درجة الماجستير في التفسير والحديث

اشراف

أ. د. مهدي رزق الله أحمد

الهدي النبوي

في

البلاغ والتعليم

جمع ودراسة

عصام بن سعد بن محمد العبد الكريم المعمر

إشراف

أ.د . مهدي رزق الله أحمد

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ (٣).

أما بعد : **فإن** أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن من المعلوم أن الله خلق الخلق من الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له ، كما بين ذلك سبحانه وتعالى فقال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٤) .

ولما كانت العبادة لا تصح إلا على الوجه الذي يرتضيه سبحانه وتعالى أرسل الرسل ببيان تفصيل ذلك قولاً وعملاً واعتقاداً ، وأبلى الأنبياء في ذلك بلاءً عظيماً ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، قال تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ (٥) . ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً ، ولكنها سنة الابتلاء لإقامة الحجة على الكاذبين والجاحدين ، قال

---

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

(٤) الذاريات : ٥٦ .

(٥) البقرة : ٢١٣ .

تعالى : ﴿ أفلم ييأس الَّذين آمنُوا أن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهدَى النَاس جميعًا ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ولكن لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٢) .قال ابن كثير : « ليبلوكم فيما أتاكم » أي : « أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ، ليختبر عباده فيما شرع لهم ، ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته ، بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله » (٣) .

ثم ختم الله إرساله الرسل بنبينا محمد ﷺ وجعله خاتم الرسل وأفضلهم وأرسله للناس كافة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(٤). وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ (٥) . وقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، كما قال ﷺ : « قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » (٦) . وقد أكمل الله الدين على يدي رسول الله ﷺ وهي شهادة منه على ذلك فقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ (٧) قال ابن كثير : « هذه أكبر نعم الله ، عز وجل على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لاكذب فيه ولا خُلْف ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾(٨) أي : صدقا في الأخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي ، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم » (٩) أ . هـ .

---

(١) الرعد : ٣١ .
(٢) المائدة : ٤٨ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٢١ .
(٤) سبأ : ٢٨ .
(٥) الفرقان : ١ .
(٦) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٥) في المقدمة ، باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٤١) .
(٧) الأنعام : ١١٥ .
(٨) الأنعام : ١١٥ .
(٩) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣ .

وقد بلّغ النبي ﷺ هذا الدين على أكمل وجه ودعا الناس على بصيرة بوحي من الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) . ولم يألُ ﷺ جهداً ولم يدخر وسعاً ولم يترك سبباً مُعيناً على تبليغ هذا الدين وتعليماً لأحكامه إلا أخذ به وحرص على تحصيله ، ثم عمل به ، حتى تكون دعوته وتبليغه وتعليمه للخلق على أحسن صورة وبأفضل طريقة وألطف عبارة ، فصلاة الله وسلام عليه ورحمته وبركاته .

أولاً : سبب اختيار الموضوع :

هناك عدة أسباب دعتني إلى أختيار هذا الموضوع ، منها :

١- اقتفاء أثر النبي ﷺ والاهتداء بهديه في دعوته وتبليغه لهذا الدين .

٢- الإسهام بجهد المقل في خدمة سنته ﷺ بدراستها في جانب من جوانبها لفائدتي أولاً ، ثم لتفيد غيري في موضوعها ثانياً .

٣- أن يكون موضوع البحث لنيل درجة الماجستير موضوعاً طالما رغبت البحث فيه ، حيث كنت أتوقف كثيراً عند القراءة في سنته ﷺ على أسلوبه وخصوصية تعامله مع الناس عند تبليغه للدين وتعليمه العلم لهم ، فكانت موافقة طيبة ولله الحمد .

ثانياً : أهمية الموضوع :

١- ارتباط الموضوع بأصل من الأصلين وهما الكتاب والسنة ، وأن في ذلك اعتصام واهتداء بهما ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ

(١) يوسف : ١٠٨ .

خَيْرٌ وأحْسَنُ تأويلاً ﴾ (١) ، وقال ﷺ : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم والأمور المحدثات ، فإن كلَّ بدعة ضلالة » (٢) .

٢- إن من أهم المهام وأوجب الواجبات على العالم وطالب العلم والداعية بوجه خاص والمسلم على وجه العموم ، هو تبليغ هذا الدين وإيصال العلم الشرعي لكل من احتاجه ، فبهِ يُعبد الله على بصيرة وينتشر العلم بين الناس ، وبه يعم الخير ويخنس الشر ، ويظهر الحق ، ويزهق الباطل ، وقدوتنا في ذلك النبي ﷺ فمن درس سنته وقرأ سيرته ﷺ وجد أنه يعطي كل متعلم خصوصيته ، وكل موقف ما يناسبه ، وأن التنوع العظيم في أسلوب دعوته وتعليمه لم يكن عفواً أو سهواً ، وإنما عن علم وإدراك لما يناسب الحال ، كيف لا يكون ذلك وهو النبي الموحي إليه والمؤيد والملهم ، وهو الكيسٌ الفطن ، وهو المصطفى ، حيث قال تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٣)، ومن هنا تأتي أهمية دراسة هدي النبي ﷺ في البلاغ والتعليم ، حتى نقتفي أثره ، ونسلك طريقه ، ونتبع هديه في هذا الواجب الملقى على عاتق الأمة ، والتي لا تقوم إلا به ، ولا يقوم دين الله في الأرض إلا به .

٣- إن العلماء ورثة الأنبياء كما قال ﷺ : « إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورَّثو العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر » (٤) . ولا يمكن أخذ هذا العلم إلا ببذله ، ولا يمكن للعالِم أن يكون عالماً إلا بالعلم والتعليم ،وهنا لابد من معرفة هدي النبي ﷺ في ذلك.

٤- الرغبة في إبراز هذا الموضوع المهم والذي له تعلق بأمرٍ حث عليه النبي ﷺ وهو تبليغ هذا الدين وتعليمه ، خاصة مع ظهور الدراسات الحديثة والتي تُعنى بأساليب التعليم ووسائله ونوع التعامل الخاص مع كل فئة من فئات المتعلمين ، والاهتمام بالفروق الفردية لديهم ،

---

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٣٤) في المقدمة ، باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٤٠) .

(٣) الأنعام : ١٢٤ . (٤) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٦٨٢) ، كتاب العلم ، باب : ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢١٥٩) .

واتباع أفضل السبل والطرق لإيصال العلم كما ينبغي لدى المتعلم ، كل هذا مع إغفال منهج النبي ﷺ وهديه في التبليغ والتعليم في كل هذه الأنواع من أساليب التعليم مع ثراء السنة بها وتوافرها بغزارة ووضوح .

٥- هدي النبي ﷺ في البلاغ والتعليم هو الهدي الأمثل بل والصواب من سائر أساليب التعليم الأخرى التي تقابله في الموضوع ، والسبب في ذلك كما لا يخفى أنه صادر من نبي يوحى إليه مؤيد من الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ (١) . وهذه ميزة لا تتوافر لغيره من أساليب التعليم الأخرى .

هذا مع ما يحمله النبي ﷺ من صفات المربي والمعلم والتي بلغ فيها حد كمال البشر ، ومن تلك الصفات ما يلي :

أ- العلم المتصل بالوحي ، قال ﷺ : « إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر » (٢) .

ب- الحرص على المؤمنين قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ (٣) .

جـ- الرحمة والرأفة ، قال تعالى : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤).

د- الحلم والأناة والصبر ، قال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٥)، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٦) ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٧) ، ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (٨) . وقد كان خلقه القرآن ﷺ .

---

(١) النجم : ٣ ، ٤ .
(٢) سبق تخريجه ، انظر ص (٤) .
(٣)، (٤) التوبة : ١٢٨ .
(٥) الأعراف : ١٩٩ .
(٦) فصلت : ٣٤ .
(٧) آل عمران : ١٥٩ .
(٨) الأحقاف : ٣٥ .

ثالثاً : أهداف الدراسة :

١- بيان هدي النبي ﷺ واساليبه في البلاغ والتعليم ودراستها والاستفادة منها في الدعوة والتعليم .

٢- بيان أهمية البلاغ والتعليم وأنه الطريق إلى العلم .

٣- إثبات الحاجة إلى تنويع أساليب وطرق البلاغ والتعليم ، وأن هذا سمة من سمات تبليغه وتعليمه ﷺ .

٤- إظهار الدراسة بأسلوب سهل يمكن للجميع أن يُفيد منها ، وأن يقتدي بهديه ﷺ في البلاغ والتعليم .

٥- محاولة الوصول إلى نتائج جيدة في هذه الدراسة تكون دافعة للاهتمام به ، وأن يكون أساساً لتطوير أساليب ومناهج التعليم في كل مجال .

رابعاً : حدود الدراسة :

اعتمدت في الدراسة اختيار الأحاديث من صحيحي البخاري ومسلم ، فهما أصح كتب السنة كما هو مشهور ، واكتفت إذا ما وجدت فيهما ما يفي بالغرض ، وهو ما تحقق في أغلب أحاديث الدراسة ، ثم أنتقل إلى كتب السنن الأربعة ومسند الإمام أحمد في المباحث التي لم أجد ما يناسبها في صحيحيّ البخاري ومسلم ، وهي أحاديث ليست بالكثيرة ، ثم إن لم أجد ، انتقلت إلى ما سواها من كتب الحديث الأخرى ، حتى يكمل المراد ، وهي قليلة جداً .

خامساً : منهج الدراسة :

١- ذكرت الحديث محل الدراسة ، ثم غريب الحديث إن وجد ، ثم المعنى الإجمالي للحديث إذا احتيج إلى ذلك ، ثم أشرع فيما يخص موضوع البحث بدراسة الحديث واستخلاص ما يستفاد منه ، معتمداً في ذلك النظر والتأمل ثم الاستنباط واستخراج الفوائد مدعماً ذلك بأقوال العلماء ما أمكن ذلك .

٢- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ، بذكر السور ورقم الآية في الهامش .

٣- خرجت الأحاديث في الهامش مع ذكر درجة الحديث إذا كان الحديث في غير البخاري ومسلم، واعتمدت ما صح منها .

٤- آثرت الإيجاز غير المخل قدر الإمكان ، وذلك بعدم الإسهاب في أمر واضح أو التكرار غير المفيد ، وكذلك عدم إقحام مواضيع متعلقة بالحديث لا تخص الموضوع محل الدراسة .

٥- اكتفيت بعدد من الأحاديث في كل مبحث إذا ما اكتملت الصورة وتحققت الغاية ، وإلا فالأحاديث كثيرة في كل باب ، عدا بعضها فاكتفيت بما وجدته من الأحادث فيها .

٧- لفظ الحديث هو للمصدر المرتب أولاً في الهامش ، فإذا كان اللفظ للمتأخر أشرت إلى ذلك بالقول « واللفظ له » بعد ذكر المصدر صاحب اللفظ .

٨- إذا كان في الحديث زيادة من غير صاحب اللفظ نبهت إلى ذلك .

٩- أذكر اسم المصدر في الهامش مختصراً اعتماداً على تفصيل ذلك في قائمة المصادر والمراجع .

١٠- اكتفيت بترجمة الصحابي راوي الحديث ، ومن توقف فهم الحديث عليه في السند أو المتن ، وجعلته في ملحق خاص ورتبته على حروف المعجم لمن رغب الرجوع إليه .

هذا وأسأل الله السداد والتوفيق ، علماً بأنني بذلت ما بوسعي ليخرج هذ البحث على الوجه الذي يرضيه عني ، فما كان من صواب فمن الله ذي المنة والنعمة ، وما كان من خطأ أو تقصير فمني والشيطان ، واستغفر الله من ذلك كله ، إنه سميع مجيب .

تقسيم الدراسة

المقدمة : وتتضمن الآتي :

أولاً : سبب اختيار الموضوع .

ثانياً : أهمية الموضوع .

ثالثاً : أهداف الدراسة .

رباعاً : حدود الدراسة .

خامساً : منهج الدراسة .

الباب الأول : البلاغ والتعليم .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف البلاغ والتعليم .

الفصل الثاني : أحكام في البلاغ والتعليم .

الباب الثاني : طرق النبي ﷺ في البلاغ والتعليم .

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : الخطب العامة والخاصة .

الفصل الثاني : السؤال والجواب .

الفصل الثالث : ضرب الأمثال وتقريب الصورة .

الفصل الرابع : التوجيه المباشر .

الفصل الخامس : التبليغ والتعليم بالقدوة .

الفصل السادس : الإيضاح بالخط والرسم .

الباب الثالث : أسلوب النبي ﷺ في البيان .

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : التصريح والتلميح

الفصل الثاني : التكرار .

الفصل الثالث : استخدام الكنايات .

الفصل الرابع : البيان عن طريق القرائن .

الباب الرابع : صفة تعامل النبي ﷺ مع أصناف الناس وطبقاتهم فيما يتصل بالبلاغ والتعليم .

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : تعامل النبي ﷺ مع العلماء .

الفصل الثاني : تعامل النبي ﷺ مع العوام والجهلة من الناس .

الفصل الثالث : تعامل النبي ﷺ مع النساء .

الفصل الرابع : تعامل النبي ﷺ مع الصغار .

الفصل الخامس : تعامل النبي ﷺ مع الكفار .

الفصل السادس : تعامل النبي ﷺ مع الملوك والأمراء والرؤساء وذوي الشأن .

* **الخاتمة .**
* **المراجع .**
* **الفهارس .**

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، والشكر له قائل العثرات ، ومذلل العقبات ، سبحانه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، أحمده وأشكره أولاً وآخراً على ما منّ به عليّ من الانتهاء من كتابة هذه الدراسة ، وعلى ما هيأه من الأسباب لذلك ، وأسأله بمنه وكرمه أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجعله يوم القيامة لنا لا علينا فهو الجواد الكريم .

وامتثالاً لأمره عز وجل وقول رسوله ﷺ الموحى إليه : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » [1] ، فإني أتقدم بشكري الجزيل إلى الأستاذ الدكتور : مهدي رزق الله أحمد ، مشرفي على الرسالة الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته وتصحيحاته المعتبرة ، وإبداء ملاحظاته القيمة ، واستقباله لأسئلتي المتكررة ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أشكر كل من أعانني وأشار علي وساعدني في التصحيح والتدقيق من حين اختيار الموضوع إلى الانتهاء من كتابته وتقديمه ومناقشته بإذن الله ، سواء كانت المساعدة كبيرة أو صغيرة فإني لا أملك إلا الدعاء لهم بظهر الغيب على معروفهم وجهدهم ، قال ﷺ : « ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » [2] .

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجزي الجميع عني خيراً ، وأن يجزل لهم المثوبة ، وأن يجمعنا في مستقر رحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه ، آمين .

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٤) ، كتاب البر والصلة ، باب : ماجاء في الشكر لمن أحسن إليك ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٥٩٢) .

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٦٧٢) ، كتاب الزكاة ، باب : عطية من سأل بالله ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١٤٦٨) .

الباب الأول
البلاغ والتعليم

الفصل الأول : تعريفات .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف البلاغ لغة ، واصطلاحاً .

المبحث الثاني : تعريف التعليم لغة ، واصطلاحاً .

الفصل الثاني : أحكام في البلاغ والتعليم .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : فضل التبليغ والتعليم .

المبحث الثاني : الحكم الشرعي في التبليغ والتعليم .

الفصل الأول
تعريفات

المبحث الأول : تعريف البلاغ لغة ، واصطلاحاً .

المبحث الثاني : تعريف التعليم لغة ، واصطلاحاً .

المبحث الأول

تعريف البلاغ لغة واصطلاحاً

تعريف البلاغ في اللغة :

١ - قال ابن منظور : بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً : وصل وانتهى ، وتبلَّغ بالشيء : وصل إلى مراده .

البلاغ : ما يُتَبلَّغُ به ويُتوصَّلُ إلى الشيء المطلوب . والبلاغ : ما بلغك وبلغت الرسالة .

والبلاغ : الإبلاغ ، وفي التنزيل ﴿ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ ﴾[١] أي لا أجدُ منجى إلا أن أبلِّغ عن الله ما أرسلت به . الإبلاغ : الإيصال وكذلك التبليغُ ، والاسم منه البلاغ [٢].

٢ - قال الجوهري : الإبلاغُ : الإيصالُ ، وكذلك التبليغ ، والاسم منه البلاغُ .

٣ - وفي المعجم الوسيط : وبلغت الرسالة [٣].

أبلغه وبلَّغ فلاناً الشيء وإليه : أوصله إليه «وبلَّغ» الشيء : أبلغه و (بلّغ) فلاناً الشيء : أبلغه إياه . (البلاغ) التبليغ ومنه ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ ﴾[٤][٥] .

الخلاصة : مما سبق يتبين :

أن التبليغ هو إيصال الشيء المراد إيصاله سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً .

تعريف البلاغ اصطلاحاً :

لم أر من أفرد له تعريفاً مستقلاً اصطُلح عليه ، ولكن بالنظر في كلام المفسرين لبعض الآيات والتي ورد فيها كلمة «البلاغ» يمكن أن نتوصل إلى تعريف له علاقة بالموضوع محل البحث ، فنقول :



---

(١) الجن : ٢٣ .
(٢) لسان العرب مادة : «بلغ» .
(٣) الصحاح مادة : «بلغ» .
(٤) إبراهيم : ٥٢ .
(٥) المعجم الوسيط مادة : «بلغ» .

قال ابن جرير الطبري في معنى قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [(١)] أي : « هذا القرآن بلاغ للناس[(٢)] .وقال الرازي : «تذكير وموعظة»[(٣)] .وقال القرطبي :«تبليغ وموعظة» [(٤)].

وفي قوله تعالى : : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾[(٥)]. قال الرازي كلاماً جميلاً في الفرق بين تبليغ الرسالة وبين النصيحة في هذه الآية ، فقال :« إن تبليغ الرسالة معناه : أن يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه ، وأما النصيحة : فهو أنه يرغبه في الطاعة، ويحذره من المعصية ، ويسعى في تقرير ذلك الترغيب والترهيب بأبلغ الوجوه» [(٦)].

ويلاحظ أن الرازي اقتصر على أن يعرفهم بالتكاليف والأوامر والنواهي غير أن هناك أموراً أخرى لاتدخل في هذا التقسيم ، مثل : علم الآخرة ، والفتن في الدنيا ، وعلم الساعة ، وغير ذلك كثير . وأيضاً جعل عملية البلاغ مجردة من أي أمر وجداني أو عاطفي ، فهي عملية إبلاغ للتكاليف والأوامر والنواهي فقط .

وأما القرطبي فقد جعل البلاغ من البلاغة في قوله تعالى :﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾[(٧)]. فقال : « وأصل البلاغ البلوغ ، وهو الوصول . بلغ يبلغ بلوغاً ، وأبلغه إبلاغاً ، وتبلَّغ تبلُّغاً ، وبالغه مبالغة ، وبلغه تبليغاً ، ومنه البلاغة ، لأنها إيصال المعنى إلى النفس في حسن صورة من اللفظ [(٨)]. فنظر إليه من حيث التأثير لا من حيث إنه أداة تعليمية كما رآه الرازي - غير أنه اعتبر ذلك التأثير أداة لنقل الرسالة بواسطته للمتلقي وهو المتعلم ».

وأما الزمخشري فقد قال في قوله تعالى : ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾[(٩)]. قال : لم يضروك ، فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى» [(١٠)].

فاعتبر أن البلاغ هو من باب التنبيه لما هوحاصل وموجود في دين الله . وكذلك قال السيوطي في قوله تعالى :﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[(١١)]. قال :

---

(١) ابراهيم : ٥٢ (٢) جامع البيان ٢٥٨/١٣ .
(٣) مفاتيح الغيب للرازي : ١٩ / ١١٨
(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٣٨٥ . (٥) الأعراف : ٦٢ .
(٦) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ١٢٣/١٤ .
(٧) المائدة : ٩٩ . (٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢٧/٦ .
(٩) آل عمران : ٢٠ . (١٠) الكشاف للزمخشري ١ / ٤٢٠. (١١) المائدة : ٩٢ .

يعني أن يبين تحريم ذلك [١]. وبذلك يرى السيوطي رحمه الله أن البلاغ هو بيان لما جاء به النبي ﷺ.

وخلاصة القول : إن مراد هؤلاء المفسرين واحد وإن اختلفت ألفاظهم وتباينت تعابيرهم ، وهو ما يوافق المعنى المراد من التبليغ في عنوان البحث عندنا . هذا بالنظر فيما جاء في كتاب الله عز وجل .

وأما السنة فنجد أن النبي ﷺ يذكر لنا - ضمناً - معنى البلاغ ، والتبليغ فقد قال ﷺ : «بلغوا عني ولو آية»[٢] ، وقال : «فرب مبلغ أوعى من سامع»[٣] فيكون المعنى من الآية والسنة هو بلاغ كل ما أرسل به النبي ﷺ ، وهذا البلاغ هو غاية الإنذار [٤] كما قال سبحانه : «وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ»[٥].

ومن ثم يتفق المعنى الشرعي المستفاد مما سبق مع المعنى اللغوي الذي هو الإيصال ، فيكون التعريف الاصطلاحي الذي نراه هو أن البلاغ : إيصال كل ما جاء به النبي ﷺ من كلام الله تعالى وسنتـه القولية والفعلية بكافة الطرق والوسائل التي استخدمها في إيصال ذلك إلي الناس .

(١) الدر المنثور للسيوطي ٢ / ٥٦٦ .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ماذكر عن بني إسرائيل .
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٧٤١) ، كتاب الحج ، باب : الخطبة أيام منى .
(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٣٨٥/٨ .
(٥) أضواء البيان للشنقيطي ١١٥/٣ .

المبحث الثاني

تعريف التعليم لغة واصطلاحا

تعريف التعليم لغة :

قال ابن منظور : العلم نقيض الجهل ، علَّم علماً وعلَّم هو نفسه ، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعاً .

وعلمت الشيء أعلمه علماً : عرفته . قال ابن بري : وتقول علم وفقه أي تعلم وتفقه ، وعلم وفقه أي ساد العلماء والفقهاء . وعلمه العلم وأعلمه إياه فتعلمه . ويقال : تعلم في موضع أعلم . وعلم بالشيء : شعر ، يقال ما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت . وعلم الأمر وتعلمه أتقنه [1] .

قال الجوهري : علمت الشيء أعلمه علما : عرفته ، وعالمت الرجل فعلمته أعلمه بالضم : غلبته بالعلم ، ورجل علامة ، أي عالم جداً وعلمته الشيء فتعلم [2] .

٣ - وفي المعجم الوسيط : علم الشيء علماً : عرفه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[3] وعلم الشيء ، وبه شعر به ودري ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾[4].

٤ - « تعلم » الأمر : أتقنه وعرفه [5].

التعليم اصطلاحاً :

ومما سبق نخلص إلى أن (عَلِمَ) منها : علم وفقه ، أي تعلم وتفقه ومنها : وعلمه العلم وأعلمه إياه ، أي : التعليم ، وهذه الاشتقاقات تدور حول معنى واضح وهو : المعرفة ، وإلى ذلك أشار الجوهري[6] وابن منظور[7] والمعجم الوسيط[8] ، وهذا المعنى دل عليه قول النبي ﷺ

---

(١) لسان العرب مادة : « علم » .
(٢) الصحاح مادة : « علم » .
(٣) الأنفال : ٦٠ .
(٤) يس : ٢٦
(٥) المعجم الوسيط مادة : « علم » .
(٦) الصحاح مادة : « علم » .
(٧) لسان العرب مادة : « علم » .
(٨) المعجم الوسيط مادة : « علم » .

لأبي هريرة رضي الله عنه عندما سأله قائلاً : «يارسول الله ، ماذا ردَّ إليك ربك في الشفاعة ؟ فقال : «والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك لما رأيت من حرصك على الحديث »[1].

فالحديث هنا العلم و هو المعرفة التي أرادها أبو هريرة رضي الله عنه وهي العلم بالشيء ، وهذا ما كان يفعله الناس مع النبي ﷺ في طلب المعرفة بأنواعها ، فمنهم من يقول «والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني»[2] ، وفي رواية ثانية «تعلمنا مما علمك الله»[3] ، وفي رواية ثالثة «علمني دعاء أدعو به في صلاتي»[4] وبذلك نفهم أن العلم والتعليم هو مقصد النبي ﷺ في إيصال المعرفة للناس .

وعليه فإننا نقول في تعريف التعليم فيما يخص الموضوع محل الدراسة : هو ما كان يفعله النبي ﷺ من تعريف بالدين والقيام على ممارسة وتطبيق هذه المعرفة وذلك بمختلف الأساليب والطرق .

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩) ، كتاب العلم ، باب : الحرص على الحديث .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٩٣) ، كتاب الأذان ، باب : أمر النبي ﷺ الذي لايتم ركوعه بالإعادة .
(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٧٦٦) ، كتاب الاعتصام ، باب : تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء ، ومسلم برقم (٢٦٣٣) ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : فضل يموت له ولد فيحتسبه .
(٤) أخرجه البخاري كتاب الأذان ، باب : الدعاء قبل السلام برقم (٨٣٤) .

الفصل الثاني

أحكام في البلاغ والتعليم

المبحث الأول : فضل التبليغ والتعليم

أ - أجر مبلغ العلم .

ب - منزلة العالم المعلم والمتعلم .

ج - مثل من عَلِم وعَلَّم .

د - تربيته ﷺ الصحابة رضي الله عنهم في تحمل العلم وتبليغه .

المبحث الثاني : الحكم الشرعي في التبليغ والتعليم .

أ - الأمر بالتبليغ

ب - كتمان العلم .

المبحث الأول

فضل التبليغ والتعليم

إن تبليغ الدين وتعليم العلم له فضل عظيم وأجر وفير ، ولو لم يكن من ذلك إلا أنها وظيفة الرسل عليهم الصلاة و السلام حمّلهم الله أمانتها لكفى بذلك شرفاً وتعظيماً لمن حملها بعدهم وعمل عملهم واقتفى أثرهم واهتدى بهديهم فيها .

والأمر في بيان الفضل لهذه المهمة العظيمة لا يحتاج إلى كبير عناء ومزيد اعتناء ، حيث إن ذلك ظاهر لكل من جال بنظره في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فتبين له الأمر بها والحث عليها ، وعلو منزلتها ، وشرف ممتهنها .

ورغبة في عدم الإطالة أذكر بعض ما يبين ذلك وبالله التوفيق .يقول الله سبحانه و تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[١]. وهكذا فالإنسان يولد جاهلا لا يعلم شيئاً ، وتولد معه أدوات التعلم حتى يدرك الأشياء ، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : «ثم ذكر تعالى منّته على عباده ، في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لايعلمون شيئاً ، ثم بعد ذلك يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات ، والأبصار اللاتي بها يحسون المرئيات ، والأفئدة وهي العقول التي هي مركزها القلب الصحيح ، وقيل : الدماغ والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها . وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلاً قليلاً ، كلما كبر زيد في سمعه وبصره وقوى عقله حتى يبلغ أشده»[٢].

وقد بين الله عز وجل في كثير من الآيات فضل العلم ومنزلة العلماء ، وكذلك الذين يعلمون . فقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[٣].

---

(١) النحل : ٧٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٠٨ .

(٣) الزمر : ٩ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[١].

وغيرها من الآيات كثير ، ولاشك أن هذا لا يمكن أن يتحصل للعلماء وغيرهم إلا بالتعلم والتعليم حتى ينالوا تلك المرتبة الرفيعة التي وضعهم الله فيها كما بين سبحانه وتعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [٢].

وقوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٣].

أجر مبلغ العلم :-

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدث عن أبيه عن النبي ﷺ قال : «نَضَّرَ الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلَّغها ، فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» [٤]. وفي رواية «نضَّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»[٥]. قال التوربشتي في تفسير قوله « نضَّر الله » : النضرة الحسن والرونق يتعدى ولا يتعدى ، والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا ونعمة في الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء والنعمة ، ثم قيل : إنه إخبار ، يعني جعله ذا نضرة وقيل دعاء له بالنضرة ، وهي البهجة والبهاء في الوجه في أثر النعمة [٦].

وقوله : « فرب حامل فقه » أي علم «إلى من هو أفقه منه » أي فرب حامل فقه قد يكون فقيها ولا يكون أفقه فيحفظه ويبلغه إلى من هو أفقه منه فيستنبط منه ما لا يفهمه الحامل أو إلى من يصير أفقه منه ، إشارة إلى فائدة النقل والداعي إليه . قوله «سمع منا

---

(١) فاطر : ٢٨ . (٢) البقرة : ٢٦٩ . (٣) المجادلة : ١١ .

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٥٦) كتاب العلم ، باب في الحث على تبليغ السماع ، وابن ماجه رقم (٢٤٤) ، المقدمة ، باب من بلغ علماً ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢١٣٩) .

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٥٧) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢١٤٠) .

(٦) تحفة الأحوذي ٤١٦/٧ .

شيئاً » .قال الطيبي : يعم الأقوال والأفعال الصادرة من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يدل عليه صيغة الجمع في منا [1].

قلت - المباركفوري - الظاهر عندي أن المعنى من سمع مني أو من أصحابي حديثاً من أحاديثي فبلغه ... إلخ . والله تعالى أعلم (فبلغه كما سمعه أي من غير زيادة ونقصان ، وخص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله ، وهذا يدل على شرف الحديث وفضله ودرجة طلبه حيث خصهم النبي ﷺ بدعاء لم يشرك فيه أحد من الأمة ، ولو لم يكن في طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنماً وجل في الدارين حظاً وقسماً [2].

ويظهر من هذا الحديث حرص النبي ﷺ بل وحثه على حفظ العلم ونقله وتبليغه لمن هو خلفه ، وهذا من تمام تبليغه ﷺ لرسالته التي بعثه الله بها ، فهو لم يكتف بأدائها ، بل حث ورغب في نقلها لأن بهذا فقط يمكن أن تعم الرسالة الناس ، وبذلك فقط يعلم الناس دينهم ويعملوا بأحكام ربهم ، وقد قال ﷺ مخبراً ومنبهاً « تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم »[3] قال العظيم آبادي « منكم » خبر بمعنى الأمر ، أي لتسمعوا مني الحديث وتبلغوه عني وليسمعه من بعدي منكم ثم قال : وبذلك يظهر العلم وينتشر ويحصل التبليغ ، وهو الميثاق المأخوذ على العلماء قاله « المناوي »[4].

وعن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال : « من علم علماً ، فله أجر من عمل به »[5] ولاشك أن هذا أجر عظيم وكرم من الله مادام أن الذي تعلم العلم وعمل به ما زال يعمل به فيؤجر مثل

(١) تحفة الأحوذي ٤١٧/٧ .
(٢) تحفة الأحوذي ٤١٧/٧ .
(٣) أخرجه أحمد (٣٢١/١) قال أحمد شاكر : إسناده صحيح (٢٩٤٧) . وأيضا موسوعة الحديث (٢٩٤٥) ، وأبو داود رقم (٣٦٥٩) كتاب العلم : باب : فضل نشر العلم ، وابن حبان رقم (٦٢) كتاب العلم ، باب ذكر الإخبار عن سماع المسلمين السنن ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٤٤) ، والسلسلة الصحيحة (١٧٨٤) .
(٤) انظر « عون المعبود شرح سنن أبي داود » ٩٤/١٠ .
(٥) أخرجه ابن ماجه رقم (٢١١) المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، ٤٣/١ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١٩٦) .

ما يؤجر من غير أن ينقص ذلك من أجره شيئاً . وقال ﷺ : «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[1].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » [2].

فكم من الأجر الوفير سيجد صاحب هذا العلم الذي بلغه وذلك إلى يوم الدين .

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن مما يلحق المؤمن من عمله حسناته بعد موته ، علماً علمه ، ونشره ، وولداً صالحا تركه ، ومصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه بعد موته [3].

ومتى ما كان للمسلم علمٌ علمه وحكمة اكتسبها بعلم تعلمه فكان عليه أداء ما عليه من تبليغ وبذلك يغبط على هذا العمل كما في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عبد الله بن مسعود حيث قال : قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها »[4].

قال ابن حجر رحمه الله : وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة ، وأطلق الحسد عليها مجازاً ، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه ، والحرص على هذا يسمى منافسة فإن كان في الطاعة فهو محمود ، ومنه «فليتنافس المتنافسون»[5]. ثم قال : فكأنه قال في الحديث : لا غبطة أعظم - أو أفضل - من الغبطة في هذين الأمرين [6]، وقوله

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣) ، كتاب الإمارة ، باب : فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١) كتاب الوصية ، باب مايلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، والترمذي رقم (١٣٧٦) ، كتاب الأحكام ، باب في الوقف .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١٤) ، المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١٩٨) .

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٦١) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٣٩٢) .

(٥) المطففين : ٢٦ .

(٦) فتح الباري ١٦٧/١ .

(الحكمة) اللام للعهد ، لأن المراد بها القرآن ، على ما أشرنا إليه من قبل ، وقيل : المراد بالحكمة كل ما منع من الجهل ، وزجر عن القبيح [1].

وقال النووي عن قوله «رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» ؛ يعمل بها ويعلمها احتساباً والحكمة كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح [2].

ومن هنا يتبين لنا منزلة صاحب الحكمة الذي يعمل بها ويعلّمها للناس حيث إن التعليم كان شرطاً في الحصول على تلك المنزلة التي حق لكل مسلم أن يغبط أخاه فيها . وهداية الناس إلى الحق المبين ، والصراط المستقيم من أعظم القربات ، ففي الحديث الذي يرويه سهل بن سعد رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[3]. وفي رواية «والله لأن يهدي الله بهداك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[4].

وسواء كان تقديم الهدى لكافر أو مسلم ضال ، فإنه يتحقق فيه ذلك الأجر العظيم ، ويظهر من لفظة بهداك تحفيز الرسول ﷺ للصحابة وحثهم على الدعوة والتعليم إلى الله أن يهدي أحدا على أيديهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من جاء مسجدي هذا ، لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يُعلمه ، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله . ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»[5].

منزلة العالم المعلم والمتعلم :

قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون

---

(١) فتح الباري ١/١٦٧ . (٢) شرح مسلم للنووي ٦/٩٨ .
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٩) ، كتاب الجهاد ، باب فضل من أسلم على يديه رجل .
(٤) أخرجه أبو داود رقم (٣٦٦١) كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣١٠٩) .
(٥) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٤٠) المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٦) ، مسند أحمد رقم (٩٤٠٨) ، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح .

ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم»[١] قال أبوعيسى : هذا حديث حسن غريب . قال المباركفوري : قوله : «إن الدنيا ملعونة» أي مبغوضة من الله لكونها مبعدة عن الله ، وما والاه أي أحبه الله من أعمال البر ، وأفعال القرب ، أو معناه ما والى ذكر الله أي قاربه من ذكر خير ، أو تابعه من اتباع أمره ونهيه لأن ذكره يوجب ذلك .

قال المناوي : قوله ملعونة أي متروكة مبعدة متروك ما فيها ، وقال ذكر قوله وعالماً أو متعلماً : أي هي ما فيها مُبْعِدٌ عن الله إلا العلم النافع الدال على الله فهو المقصود منها فاللعن وقع على ما غر من الدنيا لا على نعيمها ولذتها فإن ذلك تناوله الرسل والأنبياء ، انتهى[٢] . وتبين هنا فضل العالم والمتعلم ، العالم الذي يُعلِّم وينفع الناس بعلمه وإلا فهو مذموم في الأصل - أي العالم الذي لا ينفع الناس بعلمه ، والمتعلم الذي يشغل وقته بطلب العلم وحفظه ثم تبليغه ، والرواية التي ذكرها البغوي تبين ذلك : عن عبد الله بن ضمرة أن النبي ﷺ قال : «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله أو معلماً أو متعلماً»[٣].

مثلُ من علِمَ وعلّم :

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت بالماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به [٤].

قال ابن حجر : قوله (قيعان) بكسر القاف ، جمع قاع ، وهو الأرض المستوية الملساء

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٢٢) كتاب الزهد ، باب ماجاء في هوان الدنيا على الله عز وجل ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٨٩١) .

(٢) تحفة الأحوذي ٦/٦١٣ .

(٣) شرح السنة : (٤٠٢٨) ، قال الأرناؤوط : لابأس بإسناده .

(٤) أخرجه البخاري رقم(٧٩) ، كتاب العلم ، باب فضل من عَلِمَ و عَلَّم .

التي لاتنبت . قال القرطبي وغيره : ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت ، فكذا علوم الدين تحيي القلب ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث فمنهم العالم العامل المعلم . فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها . ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله «نضر الله امرءا سمع مقالتي فأداها كما سمعها» ، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ، ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها . وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأولين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها . والله أعلم(١).

وإنما ذكرت ذلك بتمامه لأهميته وبيان فضل ومنزلة مُبلِّغ العلم وناقله كما فهمها السلف رحمهم الله ، وهنا أذكر لطيفة ذكرها ابن حجر رحمه الله تبين دقة فهمه ، ورسوخه في العلم حيث قال : ثم ظهر لي أن في كل مثل طائفتين ، فالأول قد أوضحناه ، والثاني الأولى منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم ، أو سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه ، ومثالها من الأرض السباخ وأشير إليها بقوله ﷺ : «من لم يرفع بذلك رأساً» أي أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع .

والثانية منه لم يدخل في الدين أصلاً ، بل بلغه فكفر به ، ومثالها من الأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا ينتفع به وأشير إليها بقوله ﷺ :«ولم يقبل هدى الله الذي جئت به»(٢). وعليه يحرص كل أحد أن يكون من أصحاب المثل الأول ، ويحذر أن يكون من المثل الثاني .

---

(١) ، (٢) الفتح ١/١٧٧ .

تربيته ﷺ الصحابة في تحمل العلم وتبليغه :-

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلّم من يعمل بهن ؟ فقال أبو هريرة قلت : أنا يارسول الله فأخذ بيدي فَعَد خمساً وقال : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»(١).

ولا يخفى أنه يتبين من هذا الحديث أن النبي ﷺ يزكي في أصحابه حب حمل العلم وتبليغه والحصول على أجره ، وإلا لبلغ النبي ﷺ هذه الكلمات للجميع ثم أمرهم بتبليغه بعد ذلك ، ولكن التخصيص كان له فائدة لا تخفى . قال المباركفوري : قال القاري وتبعه غيره «ويمكن أن تكون «أو» في الحديث بمعنى بل ، إشارة إلى الترقي من مرتبة الكمال إلى منصة التكميل ، على أن كونها للتنويع له وجه وجيه وتنبيه نبيه على أن العاجز عن فعله قد يكون باعثاً لغيره على مثله : كقوله فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »(٢) انتهى .

وعن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه»(٣).

وهذه تربية خاصة منه ﷺ للصحابي الجليل رويفع بن ثابت رضي الله عنه في تحمل العلم وتبليغه الأمانة التي يحب أن يؤديها كماأعطيها ، وتجد أن رويفعاً كان حريصاً على تبليغ تلك الأمانة ، كيف لا وهو تربيته ﷺ .

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٠٥) كتاب الزهد ، باب : من اتقى المحارم فهو أعبد الناس ، وأحمد ٢/ ٣١٠ وقال أحمد شاكر صحيح لغيره (٨٠٨١) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٧٦) .

(٢) تحفة الاحوذي ٦/ ٥٩٠ .

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٣٦) كتاب الطهارة ، باب : ماينهى عنه أن يستنجى به ، والنسائي رقم (٥٠٨٢) كتاب الزينه ، باب : عقد اللحية ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧) .

المبحث الثاني

الحكم الشرعي في التبليغ والتعليم

أ - الأمر بالتبليغ :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

قال ابن كثير : يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة ، وآمراً بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به ، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك وقام به أتم القيام(٢). والرسول ﷺ قدوة في ذلك ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(٣) وأننا مطالبون بأداء أمانة الدين الذي بلغه النبي ﷺ ، وذلك بتبليغه للناس . وقد أمر الله تعالى رسوله بالصدع في الحق فقال جل شأنه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٤) فالقضية محصورة في إبلاغ الناس الحق ، وإيصال العلم الصحيح لهم دون التوقف عند الاستجابة من عدمها ، قال تعالى : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾(٥).

وقال ﷺ : «بلغوا عني ولو آية»(٦) قال ابن حجر بعد أن ذكر كلاماً للنهرواني في «كتاب الجليس» ، قال في الحديث : «ولو آية» أي واحدة ، ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ (٧).

وذكرنا فيما مضى قوله ﷺ :«تسمعون ويسمع منكم . ويُسمع ممن يسمع منكم».(٨) وذكرنا أن منكم خبر بمعنى الأمر ، أي لتسمعوا مني الحديث وتبلغوه عني وليسمعه من بعدي منكم (٩).

---

(١) المائدة : ٦٧ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤١/٣
(٣) الأحزاب : ٢١ .
(٤) الحجر : ٩٤ .
(٥) المائدة : ٩٩ .
(٦) سبق تخريجه ص١٦ .
(٧) الفتح ٤٩٨/٦ .
(٨) سبق تخريجه ص ٢٢ .
(٩) عون المعبود ٩٤/١٠ .

ب - كتمان العلم :-

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** ﴾(١).

قال ابن كثير : هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله (٢).

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾(٤).

قال ابن كثير : « هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا ، والآخرة بالدون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم .

وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً » (٥) . وإن نزلت تلك الآيات في أهل الكتاب وذمهم في ذلك إلا أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب . والله أعلم .

---

(١) البقرة : ١٥٩ .
(٢) ابن كثير ٢٨٨/١ .
(٣) البقرة : ١٧٤ .
(٤) آل عمران : ١٨٧ .
(٥) تفسير ابن كثير ١٥٧/٢ .

الباب الثاني
طرق النبي ﷺ في البلاغ والتعليم

الفصل الأول : الخطب العامة والخاصة

الفصل الثاني : السؤال والجواب

الفصل الثالث : ضرب الأمثال وتقريب الصورة .

الفصل الرابع : التوجيه المباشر

الفصل الخامس : التبليغ والتعليم بالقدوة .

الفصل السادس : الإيضاح بالخط والرسم

الباب الثاني

طرق النبي ﷺ في البلاغ والتعليم

اتخذ النبي ﷺ طرقاً كثيرة لتبليغ الناس ، وتعليمهم أمور الدين والأخلاق ، منها ماكان ثابتا ومستمراً له وقت معلوم مثل خطبة الجمعة ، ومنها ماكان متغيراً حسب مناسبة الحال أو الحدث والسؤال .

وعند النظر والاستقراء في السنة نجد أن النبي ﷺ له منهجاً ثابتاً في ذلك ، فمع تكرار المواقف والأحداث نجد أنه ﷺ ماكان ليفاجئ الجميع بتلك المواقف وإنما يبادر إلى استغلالها والاستفادة منها قدر مايستطيع . فمثلا ماكان النبي ﷺ إذا مر هو وأصحابه على شيء يُضرب به المثل ويُقرب به المعنى إلا بادر عليه الصلاة والسلام إلى تقريره ، وبيانه ، سواء كان قد سبق بيان ذلك الأمر فأراد توضيحه وتأكيده ، أو إحداث معنىً جديدٍ يناسب المثال ، وهذا كثيراً ماكان يحدث بشكل مستمر ، وسيأتي معنا في فصول الباب مايجعل الأمر أكثر وضوحاً وبياناً . والطرق التي سأتطرق إليها هي قطعاً ليست كل الطرق التي كان يتبعها عليه الصلاة والسلام في تبليغه وتعليمه الناس ، وإنما هي قليل من كثير أردت بها إثبات أصل الموضوع ، وهو تنوع طرقه عليه الصلاة و السلام في التبليغ والتعليم ، والاستفادة منها في الدعوة بين الناس .

الفصل الأول

الخطب العامة والخاصة

الفصل الأول

الخطب العامة والخاصة

تُعد الخطبة من الوسائل الرئيسة التي كان يستخدمها النبي ﷺ في إيصال مايريده إلى الناس وتعليمهم الشرائع والأحكام ، خاصة إذا ماتكلمنا عن خطبة الجمعة الثابتة والمستمرة وبشكل أسبوعي ، ومايشملها من أحكام وآداب من وجوب الحضور وحسن الاستماع يجعل مناسبة حال التعليم والتبليغ فيها قوية جداً .

وأعني بالخطب العامة هي الخطب الثابتة التوقيفية التي لها وقت معلوم ، ومناسبة معلومة مثل خطبة الجمعة ، والعيدين ، وكذلك الحج وغيرها . وأما الخطب الخاصة هي الخطب التي تأتي لمناسبة الحال من غير ترتيب من حيث الوقت أو المناسبة وإنما تكون بسبب مصيبة حلّت بالمسلمين أو شجار أو واقعة احتاجت إلى بيان وتنبيه وغير ذلك من المواقف التي كان يستغلها النبي عليه الصلاة والسلام ، يستفيد منها لأجل بيان أمر شرعي أو تصحيح مفهوم غير سليم .

وسيأتي معنا إن شاء الله نماذج من خطب النبي ﷺ التي يتبين من خلالها أهمية الخطبة، وأنها كانت من الطرق الرئيسية التي كان يعتمد عليها النبي ﷺ في التبليغ والتعليم والوعظ.

المبحث الأول

الخطب العامة

تقدم المراد من قولنا : (الخطب العامة) ، وأنها الخطب التي كان النبي ﷺ يخطبها بتوقيف شرعي وذلك في وقت معلوم وضمن أداء عبادة مشروعة تتضمن أعمالها الخطبة ، ومن ذلك كما ذكرنا صلاة الجمعة والعيدين بالإضافة إلى خطبة الحج ، وسنأتي على ذكر كل نوع من تلك الخطب ونماذج منها ، ونرى كيف كان النبي ﷺ يستفيد من تلك الخطب التوقيفية في تبليغه الرسالة وتعليمه الناس ، ثم نستخلص النتائج التي من خلالها يمكن أن نقتفي أثر الرسول ﷺ في مثل هذه الطريقة من طرق البلاغ والتعليم .

والآن لنَدْلُفَ إلى أهم تلك الخطب ، وهي خطبة يوم الجمعة وسنأتي على ذكر أسباب أهميتها حال الحديث عنها إن شاء الله .

خطبة الجمعة

تكمن ميزة هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ ينشر العلم ويبلغ الدين ويعظ الناس من خلالها ، وجاءت بخير كثير عظيم ، في عدة أمور من أبرزها :

١- أنها مرتبطة بصلاة واجبة على كل محتلم من المسلمين لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ ﴾[١].

وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله ، فالناس لنا فيه تبع : اليهود غداً ، والنصارى بعد غد »[٢].

٢- الوعيد الشديد من النبي ﷺ لمن ترك الجمعة من غير عذر شرعي ، فعن أبي الجعد الضَّمْري رضي الله عنه - وكان له صحبة - قال : قال ﷺ : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه »[٣] .

وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر ، وأبو هريرة رضي الله عنهم :

أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره « لينتهين أقوام عن ودعهم الجُمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكُونُن من الغافلين » [٤].

٣- الترغيب فيها بالأجر العظيم حال الحضور المبكر ، والاستعداد لها ،وعدم اللغو فيها ،

---

(١) الجمعة :٩ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ، كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة ، ومسلم برقم (٨٥٥) ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٥٠٠) كتاب الصلاة ، باب ماجاء في ترك الجمعة من غير عذر . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٤١٤) ، وأخرجه أبو داود برقم (١٠٥٢) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (١١١٢) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٨٦٥) ، كتاب الجمعة ، باب التغليظ في ترك الجمعة ، والنسائي رقم (١٣٦٩) ، كتاب الجمعة ، باب التشديد في التخلف عن الجمعة ، (٩٨/٣) ، ومعنى كلمة (ودعهم) أي : تركهم .

والحديث أثناء الخطبة وهذا يعطي السامع الاستعداد الذهني للاستماع الجيد وفهم مايقول الخطيب ، خاصة إذا كان هناك بعض الآداب التي يجب أن يتحلى بها المصلي أثناء الخطبة ، ومن ذلك عدم التفريق بين اثنين ، وتخطي الرقاب ، لأن ذلك فيه إشغال للمصلين وإيذاء لهم . كما في الحديث الذي يرويه أوس بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال : « من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الإمام ولم يلغُ ، كان له بكل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها » [(١)].

وفي رواية « من اغتسل يوم الجمعة وغسل وغدا وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام وأنصت ولم يلغ ، كان له بكل خطوة عمل سنة » [(٢)]. فانظر إلى قوله : « ودنا من الإمام وأنصت ولم يلغ » .

ومع كثرة خطب النبي ﷺ يوم الجمعة ، فإني لم أعثر على خطب له ﷺ تدل على أنها خطبة جمعة إلا خطبتين ، ووجدت مايبين أنه كان يخطب في يوم الجمعة ، وحصلت مداخلات من قبل بعض الناس حيث كانوا يسألون ويستفسرون ويطلبون الدعاء من الرسول ﷺ ، وسآتي على بعض من ذلك مما له تعلق بالموضوع وأصل البحث وهو التبليغ والتعليم .

---

(١) ، (٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٤٥) كتاب الطهارة ، باب في الغسل يوم الجمعة ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣٣٤) ، والترمذي برقم (٤٩٦) وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٤١٠) ، وابن ماجه برقم (١٠٨٧) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٨٩١) .

قراءة القرآن يوم الجمعة على المنبر :

١- عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان ، قالت : لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة ، وماأخذت (ق والقرآن المجيد) إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر ، إذا خطب الناس » [١].

قال النووي في قوله « ماحفظت " ق " إلا من فيِّ رسول الله ﷺ يخطب كل جمعة » .

قال العلماء في سبب اختيار «ق» أنها مشتملة على البعث والموت والمواعظ الشديدة والزواجر الأكيدة ، وفيه دليل على قراءة القرآن في الخطبة كما سبق وفيه استحباب قراءة «ق» أو بعضها في كل خطبة [٢].أ.هـ.

٢- عن صفوان بن يعلي عن أبيه قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر « ونادوا يامالك ليقض علينا ربك » [٣].

قال النووي : قوله : «سمع النبي ﷺ يقرأ على المنبر ونادوا يامالك » فيه القراءة في الخطبة ، وهي مشروعة بلا خلاف » [٤].

الدراسة :

يتبين مما مضى مايلي :

١- أن النبي ﷺ كان يبلغ القرآن ويقرأ آيات منه في الخطبة على المنبر يوم الجمعة ، حيث حفظت أم هشام رضي الله عنها سورة «ق» من فيِّ رسول الله ﷺ يوم الجمعة يكررها

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٧٣) كتاب الجمعه ، باب في خطبته ﷺ ، والنسائي برقم (١٤١٠) ، كتاب الجمعة ، باب القراءة في الخطبة .

(٢) شرح مسلم للنووي (٦/١٦١) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٨١٩) كتاب التفسير ، باب ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ الآية ، ومسلم برقم (٨٧١) ، كتاب الجمعة ، باب في خطبته ﷺ .

(٤) شرح مسلم للنووي (٦/ ١٦٠) .

على المنبر كل مرة .

٢- كان النبي ﷺ يتخير الآيات في ذلك حتى يرقق الناس ، ويعظ النفوس ، ويزيل الران الذي عَلقَ بالقلوب باختيار الآيات المشتملة على الوعد والوعيد والبعث والموت وغيرها كما ذكر النووي فيما سبق .

٣- التخفيف والاختصار في الخطبة حتى لايمل الناس ، وذلك بأوجز عبارة وأوضح إشارة ، ولاشيء أفضل من القرآن في مثل هذا التذكير .

الإنذار والتحذير :

٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول : «صبحكم ومساكم »، ويقول: « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، ويقرُن بين إصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة» ، ثم يقول : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي » [١].

وفي رواية عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة ، يحمد الله ويثني عليه ،ثم يقول على إثر ذلك ، وقد علا صوته . ثم ساق الحديث بمثله [٢]. وكان يُعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ، ويأمرهم ، وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي ، كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين[٣].

---

(١) ، (٢) أخرجه مسلم برقم (٨٦٧) كتاب الجمعة ، باب في خطبته ﷺ ، وابن ماجه في المقدمة رقم (٣٦) باب اجتناب البدع والجدل ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٤٣) .
(٣) أنظر البخاري رقم (٩٣٠)، ومسلم رقم (٨٧٥) .

غريب الحديث :

قوله « بعثت أنا والساعة كهاتين » ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى .

قال النووي : قال القاضي : « يحتمل أنه تمثيل لمقاربتها وأنه ليس بينهما أصبع أخرى كما أنه لانبي بينه وبين الساعة ويحتمل أنه لتقريب مابينهما من المدة وأن التقارب بينهما كنسبة التفاوت بين الاصبعين تقريبا لاتحديداً» [١].

وقوله : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه » هو موافق لقول الله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ، أي : أحق . قال أصحابنا فكأن النبي ﷺ إذا اضطر إلى طعام غيره ، وهو مضطر إليه لنفسه كان للنبي ﷺ أخذه من مالكه المضطر ووجب على مالكه بذله له ﷺ قالوا ولكن هذا ، وإن كان جائزاً فما وقع [٢].

وقوله : « ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ ، هذا تفسير لقوله ﷺ أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، والمراد من ترك أطفالاً وعيالاً ذوي ضياع . فأوقع المصدر موضع الاسم ، قال أصحابنا : وكان النبي ﷺ لايصلي على من مات وعليه دين لم يخلف به وفاء لئلا يتساهل الناس في الاستدانة ويهملوا الوفاء فزجرهم عن ذلك بترك الصلاة عليهم ، فلما فتح الله على المسلمين مبادى الفتوح قال ﷺ من ترك ديناً فعلي قضاؤه ، فكان يقضيه [٣].

الدراسة :

١- إن النبي ﷺ يتكيف مع موضوع الخطبة حسب الأحوال ، ففي قضايا الإنذار والتحذير ، كما هو وارد في الحديث ، كأنه منذر جيش يقول ، صبحكم ومساكم ، وهذا مما يجعل للكلام وقعه الصحيح وتأثيره البالغ حيث يتوافق الصوت وتعابير الوجه مع موضوع الخطبة .

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٥٥/٦) .
(٢) ، (٣) شرح مسلم للنووي (١٥٥/٦) .

٢- حرص النبي ﷺ على الاستناد إلى مايثير كوامن الإيمان لدى الناس وتقريب الصورة لهم ، فقال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى » فالأمر جد وليس بهزل ، قريب وليس ببعيد .

٣- التحذير من الوقوع فيما يخالف أمر الله عز وجل وذلك بأوجز عبارة وجعلها كالقاعدة فقال : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ، انظر كيف بين الخير أولاً ثم حذر من الشر ثانياً .

٤- وضوح الرابطة بين الخطيب ومن يستمع إليه والشعور بالارتباط بين المسلمين ، ويظهر هذا من قوله : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه .... » ، وهذا فيه أيضاً القرب من الناس ، ومحاولة العيش معهم ، ومايستجد عليهم من أمور الدنيا .

وعموماً فإن كل ماذكر في الخطبة قد يرد في خطبة واحدة أو خطب متفرقة ، وأياً كان فإن الخطيب يجب أن يتلمس مايحتاج الناس إليه ، وأن يكون قريباً منهم ، ويبلغهم الأحكام ، ويعلمهم الدين بما يتناسب مع الحال .

التعليم والتبليغ في الخطبة

لاشك أن خطب النبي ﷺ كلها خطب تعليم وتبليغ وتوجيه ، وهي لاتخرج بأي حال من الأحوال عن هذا المضمون ، فهي الهدف من كل خطبة يخطبها عليه الصلاة والسلام .

وكان النبي ﷺ لايؤخر البيان عن وقت الحاجة ، فإذا رأى أمراً يحتاج إلى تنبيه أو بيان بينه ولو كان في الخطبة .

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الناس مجهودين يلبسون الصوف ، ويعملون على ظهورهم ، وكان مسجدهم ضيقاً مُقاربَ السقف ، إنما هو عريش ، فخرج رسول الله ﷺ في يوم حار وعرق الناس في ذلك الصوف ، حتى ثارت منهم رياح آذى بذلك بعضهم بعضاً ، فلما وجد رسول الله ﷺ تلك الريح قال : « أيها الناس ، إذا كان هذا اليوم فاغتسلوا ، وليمس أحدكم أفضل مايجد من دهنه وطيبه » (1). وفي رواية لأحمد « حتى بلغت أرواحهم رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال : « ياأيها الناس إذا جئتم الجمعة فاغتسلوا ، وليمس أحدكم من أطيب طيب إن كان عنده » .

وهنا يتبين أن النبي ﷺ حين رأى تلك الحال بادر إلى الأمر بالاغتسال ، وكان هذا خلال الخطبة ، ولم ينتظر – حين وجد تلك الريح – حتى نهاية الخطبة ، وإنما بيَّن ذلك في الحال ، وكذلك حين دخل ذلك الرجل ولم يصل ركعتين وذلك يوم الجمعة فماذا قال له النبي ﷺ ؟ روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاء رجل والنبي ﷺ يخطب الناس يوم الجمعة فقال :« أصليت يافلان» ؟ قال : لا ، قال : «قم فاركع ركعتين » (2).

ولو لم ير النبي ﷺ أهمية للتنبيه خلال الخطبة ، أو أن هذا ينافي كمال الخطبة ، أو أنه خارج عن الهدف الأساسي للخطبة ، لما قطعها وقام بالتنبيه وإنما أرجأها فيما بعد ، لكن فعل

---

(1) أخرجه أبو داود برقم (٣٥٣) كتاب الطهارة ، باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣٤٠) ، وأحمد برقم (٤١٩)، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح .

(2) أخرجه البخاري برقم (٩٣٠) كتاب الجمعة ، باب إذا رأى الإمام رجلاً جاء وهو يخطب أمره أن يصلي ركعتين ، ومسلم برقم (٧٨٥) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة العمل الدائم .

النبي ﷺ يدل على أن هذا لايتعارض في شيء مع الخطبة وإنما هو من جملة مايعرض في خطبته ﷺ .

وانظر إلى أعجب من ذلك حين جاء إلى النبي ﷺ رجل وهو يخطب ، وطلب من النبي ﷺ أن يعلمه دينه . فقد روى أبو رفاعة أنه قال : انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب ، قال : فقلت: يارسول الله ، رجل غريب ، جاء يسأله عن دينه ، لايدري مادينه ، قال : فأقبل عليّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليّ ، فأتى بكرسي ، حسب قوائمه حديداً . قال فقعد عليه رسول الله ﷺ ،وجعل يعلمني مما علمه الله ، ثم أتى خطبته فأتم آخرها » [١].

إن هذا الرجل جاء يسأل عن دينه وهو رجل غريب ، ويذكر أنه لايدري مادينه ، والجهل بالدين أمر عظيم يجب تجليته وتعليم الجاهل فيه ، ثم أن النبي ص كان يخطب وقطع خطبته ، مما يوحي بأنه لاتعارض بين الخطبة وتعليم الجاهل أمر دينه حتى لو اقتضى ذلك أن يقطع النبي ﷺ خطبته ويجلس فيعلم الرجل مسألته ويقضي حاجته . قال النووي : «وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم ، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها ، ولعل الرجل الغريب قد كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة » .

وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور [٢].

وقال أيضاً : ويحتمل أن هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ فيها خطبةُ أمر غير الجمعة ، ولهذا قطعها بهذا الفاصل الطويل ، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها ، ويحتمل أنه لم يحصل فاصل طويل ، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقاً بالخطبة فيكون منها ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب من نفس في صلاته ، والنسائي برقم (٥٣٩٢) ، كتاب الزينة ، باب الجلوس على الكرسي .

(٢) شرح مسلم للنووي (٤٧٣/٦) .

ولايضر المشي في أثنائها [1].

وبالجملة فللخطيب أن يقطع أو يوقف خطبته لأجل تعليم من احتاج إلى ذلك ، ويظهر والله أعلم أن الحديث السابق حين سأل السائل عن دينه كانت الخطبة في غير ماسأل السائل ، وإلا لم يحتج النبي ﷺ إلى قطع الخطبة والإقبال عليه وإجابته وتعليمه دينه ، لو كان للسؤال تعلق بالخطبة ، وهذا لايمنع في العموم تعلق السؤال بالخطبة من حيث إن الأمرين تعليم الناس وبيان الأحكام وتبليغ الدين .

---

(١) شرح مسلم للنووي (٦/٤٧٣) .

الدعاء في الخطبة وقضاء حوائج الناس :

لاشك أن للدعاء شأناً عظيماً ،ويكفي أن النبي ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة ... »[1].

وللدعاء رابط بيوم الجمعة وخطبة الجمعة ، فقد قال النبي ﷺ : « إن في الجمعة لساعة ، لايوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً ، إلا أعطاه إياه » قال : وهي ساعة خفية »[2].

والدعاء في خطبة الجمعة أمر مهم ، وعلى الإمام أن يدعو للمسلمين وخاصة إذا نزل بهم نازلة أو مصيبة أو شدة . فقد روى أنس بن مالك فقال : « أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينا النبي ص يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يارسول الله هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه - ومانرى في السماء قزعة - فوالذي نفسه بيده ماوضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ،ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ .

فمطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد ، وبعد الغد ، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابي - أو قال غيره - فقال : يارسول الله تهدَّم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولاعلينا . فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة [3]، وسال وادي قناة شهراً ، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود »[4].

فالرسول ﷺ لم ينتظر حتى انتهاء الخطبة ، بل استجاب مباشرة إلى الأعرابي ودعا بما شاء أن يدعو له وللمسلمين ، وأنه لاتنافر بين الخطبة والدعاء ، بل تكرر هذا في الجمعة التي تليها ، وقام بالفعل نفسه ، ودعا بما طلب الأعرابي ، فالدعاء للمسلمين وتفقد حاجتهم وسدَّها ولو بالدعاء أمر مطلوب في خطبة الجمعة وغيرها .

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٩٦٩) ، كتاب التفسير ، باب (ومن سورة البقرة) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٣٧٠) ، وابن ماجه برقم (٣٨٧٣) ، كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٠٨٦) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٣٥) كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في الجمعة ، ومسلم برقم (٨٥٢) واللفظ له ، كتاب الجمعة ، باب في الساعة التي في يوم الجمعة .

(٣) الجَوْبَة : الفجوة ، ومعناه تقطع السحاب عن المدينة وصار مستديراً حولها وهي خالية منه ، انظر شرح مسلم للنووي (٤٩٨/٦) .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٩٣٣) كتاب الجمعة ، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ، ومسلم برقم (٨٩٧) ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب دعاء الاستسقاء .

وخلاصة القول بالنظر فيما مضى مايلي :

١- كان النبي ﷺ يعمل من خلال خطبة الجمعة على تعليم الناس وتبليغهم الرسالة التي أرسله الله عزوجل بها .

٢- تعتبر خطبة الجمعة من أهم القنوات الدعوية لتبليغ الرسالة وتعليم الناس دينهم ، وذلك لتكررها واستمرارها ، وأيضاً للآداب والأحكام المحيطة بها ، بحيث يكون المرء مهيئاً للاستماع والفهم .

٣- يشمل التعليم والتبليغ كل أمر من أمور الدين كالوعد والوعيد والترغيب والترهيب والوعظ وبيان الأحكام والأوامر والزواجر والفتن والتحذير منها والأخلاق والسلوك وغيرها من الأمور .

٤- الذي جاء يسأل عن دينه وجب عليه تعليمه على الفور ، والاستجابة له ، والإقبال عليه ، وقضاء مسألته .

٥- إن قراءة القرآن من أهم الأمور في خطبة الجمعة ، وهي التي تجمع بين المعنى الدقيق والأسلوب الرفيع والاختصار المتقن ، وهذا من السنة في خطبة الجمعة ، كما كان يقرأ سورة «ق» عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

النوع الثاني

خطبة العيدين

العيد في الإسلام مناسبة مهمة ، وشعيرة من شعائره التي يتميز بها على غيره من الشرائع . فمن أهم هذه الشعائر : صلاة العيد وماتشمله من أحكام قبلها ، وبعدها فقد روى البراء بن عازب رضي الله عنه . قال : سمعت النبي ﷺ يخطب فقال : « إن أول مانبدأ من يومنا هذا أن نصلي ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل فقد أصاب سنتنا »[1]. وبين ابن حجر رحمه الله أن هذا ليس خاصاً بالأضحى ، بل للعيدين[2].

وبعد الصلاة تكون الخطبة وتكمن أهميتها أنها في مناسبة عظيمة وسعيدة لاتتكرر إلا مرتين في العام ، وهي من أعظم شعائر الإسلام . وهناك أيضاً ميزة أخرى وهي أن النبي ﷺ أمر بإخراج النساء والحيض إلى المصلى ، فقد روت أم عطية قالت : « أمرنا أن نخرج العواتق وذوات الخدور » ، وعن أيوب عن حفصة بنحوه . وزاد في حديث حفصة قال - أو قالت - « العواتق وذوات الخدور ، ويعتزِلْنَ الحُيَّضُ المصلى »[3].

وعليه فإنه يعتبر مجمعاً أكبر من يوم الجمعة وهو مهيأ لأنْ يكون يوم توجيه وتعليم للأحكام الخاصة بالعيد والنسك ، أو توجيه عام للمسلمين ، وخاصة النساء ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شيء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس - والناس جلوس على صفوفهم - فيعظهم ،ويوصيهم،ويأمرهم . فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه[4]،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٥١) ، كتاب العيدين ، باب سنة العيدين لأهل الإسلام .

(٢) فتح الباري (٢/٤٤٦) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٩٧٤) ، كتاب العيدين ، باب خروج النساء والحيض إلى المصلى .

(٤) أي يُخرج طائفة من الجيش إلى جهة من الجهات . انظر الفتح (٢/ ٤٥٠).

أو يأمر بشيء أمر به ، ثم ينصرف » (١).

ويظهر من قوله « فيعظهم ، يوصيهم ، ويأمرهم » حرص النبي ﷺ على الاستفادة من هذا الموقف وتنويع التوجيه والتعليم بين وعظ ووصية وأمر ،

وفي رواية مسلم زاد فقال : وكان يقول : « تصدقوا تصدقوا تصدقوا » وكان أكثر من يتصدق النساء .

وهذا يعني أن النبي ﷺ كان يخص الصدقة والأمر بها في مثل هذه المناسبة العظيمة .

وسنعرض الآن بعض النماذج من خطبه عليه الصلاة والسلام في العيد :

تعليم الأحكام الخاصة بالمناسبة :

١- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : « خطبنا النبي ﷺ يوم الاضحى بعد الصلاة فقال : من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولانسك له . فقال أبو بردة بن نيار ، خال البراء -رضي الله عنهما- : يارسول الله فإني نسكت شاتي قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب ، وأحببت أن تكون شاتي أول مايذبح في بيتي ، فذبحت شاتي وتغديت قبل أن آتي الصلاة . قال : شاتك شاة لحم ، قال : يارسول الله فإن عندنا عناقاً لنا جذعة هو أحب إليّ من شاتين أفتجزي عني ؟ قال : نعم ولن تجزي عن أحد بعدك » (٢).

يظهر من خلال الحديث أن النبي ﷺ شاهد أو علم أن هناك من ذبح قبل الصلاة فبادر من خلال الخطبة إلى بيان الحكم وتعليم الناس وقت الذبح وحكم تلك الشاة التي ذبحت قبل الصلاة

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٦٥) ، كتاب العيدين ، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، ومسلم برقم (٨٨٩) ، كتاب صلاة العيدين ، باب صلاة العيدين ، ومايتعلق بها من أحكام .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٥٥) ، كتاب العيدين ، باب الأكل يوم النحر .

، وسنذكر بعض الفوائد في نهاية المبحث من خلال الدراسة إن شاء الله .

الوعظ والإرشاد :

٢- عن جابر بن عبد الله ، قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم العيد ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله ، وحث على طاعته . ووعظ الناس وذكرهم ، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال : « تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم » فقامت أمرأة من سطة النساء سفعاء الخدين . فقالت : لِمَ ؟ يارسول الله ؟ ، قال «لأنكن تكثرن الشكاة ، وتكفرن العشير » قال : فجعلن يتصدقن من حليهن ، يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن » (١).

غريب الحديث :

من سِطة النساء : أي من أوساطهن حسباً ونسباً (٢). وقيل : من خيارهن (٣).

سفعاء الخدين : السفعة نوع من السواد ليس بالكثير ، وقيل : هو سواد مع لون آخر (٤).

تكفرن العشير : أي يجحدن إحسان أزواجهن (٥).

الدراسة :

١- يظهر من الحديث الأول وهو حديث الرجل الذي ذبح شاته قبل الصلاة حرص النبي ﷺ على تعليم الناس في مثل هذه المجامع ، خاصة إذا وقف على خطأ في عمل من الأعمال التعبدية والدينية ، حيث علم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم أن أناساً ذبحوا قبل الصلاة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٨٥) ، كتاب صلاة العيدين ، باب صلاة العيدين ومايتعلق بها من أحكام .
(٢) النهاية لابن الأثير (٣٦٦/٢) .
(٣) أنظر شرح مسلم للنووي ٤٨٢/٦ .
(٤) النهاية لابن الأثير (٣٧٤/٢) .
(٥) المصدر السابق (١٨٧/٤) .

فباشر بتعليمهم وقت الذبح في الأضحى كما أراد الله عز وجل .

٢- جواز الاستجابة لسؤال من سأل أثناء الخطبة وإجابته حتى يكون الأمر واضحاً بيناً لمن سأل ، وكذلك التخفيف عليه في الحكم حسب مناسبة الحال للرجل وللمسألة المتعلقة به (١).

٣- استفادة النبي ﷺ من حضور النساء ، ودعوتهن لحضور الخير بأن خطب فيهن ووعظهن وذكرهن ، وفيه : تخصيص الإمام للنساء يوم العيد بخطبة وعظية توجيهية إرشادية ، خصوصا إذا ظن أن كلامه للناس عامة لم يبلغهن .

٤- أن النبي ﷺ يحرص على أن يذكر مايناسب الحال ، فتجده ذكَّر النساء بالصدقة ، وكان لهن سبب خاص بهن ، وهو كفران العشير وإكثار الشكاة وإطلاق الواحدة منهن لسانها في السب والشتم واللعن لولدها وجيرانها ومالها ، وربما تدعو على نفسها ، وزوجها وأوضح لهن أن كفر نعمة العشير الذي هو الزوج عرفت به المرأة ، حيث إن الزوج لو أحسن إليها الدهر ثم رأت منه يوماً ماتكره من ضيق ذات اليد أو عمل يخالف هواها قالت له بدون حياء منه أو اعتراف بجميل : « مارأيت منك خيراً قط » . وهكذا ينبغي للخطيب أن يتخير لخطبته الحديث المناسب لمن أمامه وتوافق في نفس الوقت المناسبة التي يخطب فيها والتجمع الحاضر لهذه المناسبة .

٥- أن يكون التذكير والوعظ والأمر بتقوى الله والحث على طاعته هو الأساس في مثل هذه الخطب التي يجتمع لها خلق عظيم ، وهذا مجمل ماوعى جابر بن عبد الله رضي الله عنه من خطبة النبي ﷺ ، حيث قال : ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله ، وحث على طاعته ، ووعظ الناس ، وذكرهم ... » .

٦- للصدقة خصوصية في مثل هذه المناسبة ، ولذا كان النبي ﷺ يحرص على التذكير

(١) أنظر : الفتح (٢/٤٤٨) .

بها كما حصل مع النساء ، وكذلك كما ذكرنا سابقاً في رواية لمسلم ، وكان يقول : « تصدقوا تصدقوا تصدقوا » ، وكان أكثر من يتصدق النساء ، وهذا يدل على أن الأمر كان للجميع ، وليس خاصاً بالنساء فقط .

٧- الأمر بالصدقة في الخطب العامة لما فيها من جلب الخير للناس ودفع المضرة عن الفقراء والمساكين ، حيث إنها تدل على تكافل اجتماعي وتراحم ومودة بين المسلمين .

٨- أمر النساء بالصدقة يدل على أن المرأة في الإسلام لها حق الملكية والتصرف ، وهذا من إكرام الإسلام لها ، وهو ذو دلالة غبر مباشرة على حقها في ذلك .

النوع الثالث : خطبة الحج

حج النبي ﷺ حجة واحدة سميت بحجة الوداع ، وكانت فرصة عظيمة للنبي ﷺ أن يعلم الناس ويعظهم في مثل هذه العبادة العظيمة التي اجتمع لها خلق كبير ، كما ذكر في الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما والذي قال فيه : « فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ، ثم ركب القصواء ، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء ، نظرت إلى مدِّ بصري بين يديه ، من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ... » [١]. وهذا يدل على أن هناك خلقاً عظيماً خرج مع النبي ﷺ في تلك الحجة فكانت مناسبة عظيمة خطب فيها النبي ﷺ عدة خطب نذكر منها خطبة عرفة وهي أهمها .

خطبة الحج :

أخرج مسلم في الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو يصف حجة النبي ﷺ فذكر من ضمن ماذكر خطبته عليه السلام وهو بعرفة فقال : « .. فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفَة . فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء ، فرحلت له ، فأتى بطن الوادي ، فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميّ موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول رباً أضع ربانا ، ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨) ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ .

تركت فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصتم به ، كتاب الله ، وأنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بإصبعه السبابة ، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس « اللهم اشهد ، اللهم اشهد » ثلاث مرات ، ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ... » (١).

غريب الحديث :

قوله « ولكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحداً تكرهونه » قال النووي رحمه الله : والمختار أن معناه أن لايأذنَّ لأحد تكرهون في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً أو أمرأة أو أحداً من محارم الزوجة ، فالنهي يتناول جميع ذلك (٢).

وقوله «ينكتها» معناه يقلبها ويرددها إلى الناس مشيراً إليهم ، وقيل : صوابه ينكبها، ومنه نكب كنانته إذا قلبها (٣).

الدراسة :

١- بلغ النبي ﷺ من خلال هذه الخطبة أموراً عظاماً تعتبر من ركائز الدين وهي حفظ الدماء والأموال والأعراض وكانت مناسبة عظيمة لاجتماع أمرين مهمين فيها وهو عظم هذه الشعيرة وهي الحج ، وكذلك اجتماع هذا الخلق العظيم فبادر رسول الله ﷺ إلى إبلاغ الأمة وتحذيرها من مغبة الوقوع في مثل هذه الأمور العظيمة .

٢- أيضاً اهتم النبي ﷺ بالناحية النفسية للناس حين أخذ يبلغهم ويعلمهم بعض الأحكام في الربا وقضية أخذ الثأر والبدء بتطبيق هذا الأمر على نفسه وأهله وآله قبل غيرهم فهو أخف على النفس وأدعى للقبول .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨) كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ، وأبو داود برقم (١٩٠٥) كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي ﷺ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١٦٧٦).
(٢) ، (٣) انظر شرح مسلم للنووي (٨/ ٣٤٠-٣٤١) .

قال النووي : وإن الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف أو ينهي عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله فهو أقرب إلى قبول قوله وإلى طيب نفس من قرب عهده بالإسلام [١].

٣- الربا معضلة جاهلية ومرض فتّاك بالفرد والمجتمع وأضراره أكثر من أن تعد ؛لذا عالجه الإسلام بتدرج حتى أعلن الحرب من الله ورسوله على المتمادي فيه والمتعاملين به، وهذا مابينه النبي ﷺ في خطبة الحج هذه ، حيث وضعه كله وبدأ بربا عمه العباس.

٤- أخذ النبي ﷺ يوصي بالنساء خيراً وهو الذي يودع أصحابه خاصة إن هذا الجمع الغفير لايتكرر دائماً ، وكذلك لحداثة عهد كثير منهم بالإسلام . فمن عادة العرب في الجاهلية إهانة المرأة وظلمها واستضعافها ونهب حقوقها مصادرة حريتها وتحقيرها وأنها تورث كما يورث المتاع ، فقال النبي ﷺ وهو الرحمة المهداة على رؤوسهم ليوصيهم ويعلمهم اجتناب تلك العادة السيئة مع المرأة ، وليوضح لهم مالها من حق ويعلمهن ما للأزواج من حقوق .

٥- وبعد أن بين النبي ﷺ بعض الأمور الأساسية والمهمة في الإسلام ، ختم بأمر وأوصى به كمرجع ومعين لأي أمر يراد معرفته أو اختلاف يحصل بينهم وذلك بشرط التمسك به والاعتصام ألا وهو كتاب الله وسنه نبيه ﷺ ، حيث إن القرآن يأمر بالتمسك بسنة النبي ﷺ ، وهو داخل الاعتصام بكتاب الله المذكور في الحديث .

٦- قوله عليه الصلاة والسلام : « وأنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت ... » .

كانت هذه القضية دائماً ماتؤرق النبي ﷺ ، ألا وهي قضية التبليغ ، تبليغ الرسالة وتعليم الناس الدين وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، فكان في كثير من الأحاديث يختم بقولته المشهورة « ألا هل بلغت » ويكررها ثلاثاً ، وكانت أكبر ماتكون في خطبه ﷺ حيث كانت - خطبه من أعظم الطرق لتبليغ الناس باختلاف أنواعها وأوقاتها .

(١) شرح مسلم (٣٣٩/٨) .

المبحث الثاني

الخطبة الخاصة

تقدم فيما مضى المقصود بالخطب الخاصة ، ولامانع من ذكرها هنا بشيء من التفصيل .

الخطب الخاصة هي : الخطب التي كان يخطب النبي ﷺ فيها الناس لحدث معين دون خصوصية لوقت أو مكان .

وكان النبي ﷺ وأصحابه يقع لهم من المواقف والأحداث الشيء الكثير ، إما في السفر وإما في الغزوات والسرايا ، وإما في الحضر وخاصة مجتمع المدينة ، فقد كان هذا المجتمع في عهد رسول الله ﷺ مجتمع تربية وتعليم بما يحصل فيه من مواقف وأحداث . وتكون تلك الأحداث بحاجة إلى بيان وتعليم وتوجيه ، فإن كان السبب لجهل عَلّمهم النبي ﷺ الحكم الصحيح ، وإن كان لجاهلية - حيث كانوا حديثي عهد بالجاهلية - ذكرهم النبي ووعظهم بالإسلام وخوفهم باللّه عز وجل وإن كانت مصيبة حلّت بالمسلمين أو بأفراد منهم قام النبي ﷺ ببيان أسبابها وطريقة تفاديها ، وإن كان السبب لأمرٍ حادث جديد عليهم بيّن النبي ﷺ الموقف منه ، وغير هذه الأسباب كثيرة جداً ، كان النبي ﷺ يتخذ الموقف المناسب منها ويبينه من خلال الخطب .

وليس بالضرورة أن يخطب النبي ﷺ تلك الخطب على المنبر وفي المسجد ، فإن كان في المدينة صعد المنبر وبين للناس مايريد ، وإن كان في خارجها بين ذلك وهو في مكانه أو على راحلته ﷺ .

وسنأتي بإذن الله على بعض تلك الخطب لتكون أنموذجاً ، ويتبين من خلالها هدية ﷺ في تلك الخطبة ، والله الموفق .

١ - خطبة النبي ﷺ في هدية العامل الذي استعمل على عمل :

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سليم يدعى ابن اللُّتبية ، فلما جاء حاسَبَه قال : هذا مالكم وهذا هدية ، فقال رسول الله ﷺ: فهلاً جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي فيقول : هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ، والله لايأخذ أحد منك شيئاً بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيْعر [(١)]. ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطه ، يقول : اللهم هل بلغت ؟ بصر عيني وسمع أذني » [(٢)].

اعتاد النبي ﷺ أن يستعمل بعض الناس على عمل مما ولاه الله إياه ، ومن ذلك أخذ الزكاة والصدقة من المسلمين ، فكان يبعث إلى القبائل والبلدان البعيدة من يجلبها ، وحصل أن أرسل ذلك الرجل من بني أسد ، الذي يقال له ابن اللتبية ، وذلك لتحصيل الصدقة ، فكانت المفاجأة عندما أراد النبي ﷺ أن يحاسبه ويستلم منه أموال الصدقة التي أؤتمن عليها ، فقال قولته المعروفة : « هذا مالكم وهذا هدية » ، وهنا بادر النبي ﷺ إلى بيان الحكم الشرعي في مثل هذا الموقف .

الدراسة :

١- بادر النبي ﷺ إلى تعليم ذلك الرجل خطأه والشبهة التي وقع فيها ظناً منه أن الهدية من حقه ، وأن الأمر لاشيء فيه من الناحية الشرعية ، فبين له النبي ﷺ بجملة تنفي تلك الشبهة فقال : « فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً » .

---

(١) تيعر : هو صوت الشاة ، أنظر الفتح (١٦٥/٣ -١٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٩٧٩) كتاب الحيل ، باب احتيال العامل ليهدى له ، ومسلم برقم (١٨٣٢) ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال .

وهنا تبين في الحال أن السبب في الهدية هو كون الرجل عاملاً عليها وليس لذات الرجل ، قال ابن حجر : «ومطابقته للترجمة - أي باب احتيال العامل ليهدى له - من جهة أن تملكه ماأهدى له إنما كان لعلة كونه عاملاً فاعتقد أن الذي أهدي له يستبد به دون أصحاب الحقوق التي عمل فيها ، فبين له النبي ﷺ أن الحقوق التي عمل لأجلها هي السبب في الإهداء له ، وأنه لو أقام في منزله لم يهد له شيء ، فلا ينبغي له أن يستحلها بمجرد كونها وصلت إليه على طريق الهدية ، فإن ذاك إنما يكون حيث يتمحض الحق له » [1].أ.هـ .

قال المهلب : «حيلة العامل ليهدى له تقع بأن يسامح بعض من عليه الحق ، فلذلك قال «هلا جلس في بيت أمه لينظر هل يهدى له » فأشار إلى أنه لولا الطمع في وضعه من الحق ماأهدي له ، قال فأوجب النبي ﷺ أخذ الهدية وضمها إلى أموال المسلمين » [2].

وبذلك يكون النبي ﷺ قد دحض تلك الشبهة لدى الرجل وأرجع السبب إلى المسبِّب الحقيقي ، وهي الولاية على العمل ، لا الذي يتبادر إلى أذهانهم .

٢- لم يكتف النبي ﷺ بتعليم ذلك الرجل خطأه وإزالة شبهته فقط ، وإنما قام في الناس خطيباً ليبين الموقف الصحيح من ذلك ، ويظهر من نقل الحديث أن الحدث وقولَ الرجل كانا أمام جمع من الصحابة ، ثم أن الشبهة كانت عظيمة ، وفيها خلط بين الحقوق ، ومظنة وقوع آخرين في ذلك وارد جداً ، ولذلك كله بادر النبي ﷺ إلى تعليم الناس كافة ، بأن قام خطيباً فيهم ، وبيَّن الحكم الشرعي في ذلك .

قال ابن حجر : «وفيه أن من رأى متأولاً أخطأ في تأويل يضر من أخذ به أن يُشهر القول للناس ويبين خطأه ليحذر من الاغترار به » [3].

---

(١) ، (٢) فتح الباري (٣٤٩/١٢) .

(٣) المصدر السابق (١٦٧/١٣) .

٣- نلاحظ أن الخطاب في النهاية أصبح للجميع فقال : « والله لايأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحداً منكم ... » وتوجيه الحديث للناس أجمعين فيه تحذير لهم بأن ماحصل يمكن أن يقع ويحصل منكم .

٤- قول الرسول ﷺ في آخر الحديث : « اللهم هل بلغت ؟ » هي من الأقوال المشهورة عند ﷺ ، وتدل على أن قضية التبليغ هي المهمة الأساسية لديه ، وأن ماقدمه خلال تلك الخطبة إنما هو تبليغ للناس حكم ربهم في مثل تلك الأمور .

٣- خطبته ﷺ في الكسوف :

عن عائشة أنها قالت : خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ، ثم قام فأطال القيام - وهو دون القيام الأول- ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد فأطال السجود ، ثم فعل في الركعة الثانية مثل مافعل في الأولى ، ثم انصرف وقد انجلت الشمس ، فخطب الناس ،فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا . ثم قال : ياأمة محمد ، والله مامن أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ، ياأمة محمد ، لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا » [١]. وفي مسلم قال : « ألا هل بلغت ؟ » .

وقد وردت عدة رويات في صلاة الكسوف ، وأن النبي ﷺ وقف خطيباً يبين للناس هذا الحدث العظيم ، وماهو الواجب عليهم فعله فيه .

فقد فزع النبي ﷺ إلى الصلاة كما علمه الله عز وجل حيت خسفت الشمس ، ودعا الناس إلى الصلاة ، وقد أمر النبي ﷺ الناس بذلك ، ففي الحديث عن أبي موسى ، وقال فيه : إن النبي ﷺ قال : « إن هذه الآيات التي يرسل الله ، لاتكون لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده ، فإذا رأيتم منها شيئاً فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره » [٢].

وشرع عليه الصلاة والسلام في الصلاة وأطال فيها كما يقتضية الحال لذكر الله ودعائه واستغفاره لما في ذلك من إظهار الخوف واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى ، وكما قال في رواية أخرى : «كسفت الشمس » ، وقال « يخوف عباده » [٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠٤٤) كتاب الكسوف ، باب الصدقة في الكسوف ، ومسلم برقم (٩٠١) كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف .

(٢) ، (٣) أخرجه مسلم برقم (٩١٢) ، كتاب الكسوف ، باب ماعرض للنبي ﷺ من الجنة والنار .

الدراسة :

١- قام الرسول ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وهذه عادته ﷺ في الخطب وهكذا ينبغي للخطيب أن يبدأ بما كان يبدأ به ﷺ .

٢- بادر النبي ﷺ إلى تعليم الناس وبيان هذا الحدث ، وأنه من آيات الله يخوف بها عباده لا كما يعتقده الناس في الجاهلية أنها تحدث لموت عظيم . فبينً أنها من آيات الله وعلامة على قدرته وحكم صنعه ، وأنه يديرهما كيفما شاء ، ثم بين أن الغرض منها تخويف العباد وتذكيرهم بالله عز وجل خالقهم وخالق هذه الكواكب ، وبعد ذلك علمهم ماذا يجب عليهم فعله ، وذلك بأن أمرهم بالصلاة والدعاء والذكر والاستغفار وكذلك الصدقة ، فأمرهم بما يناسب الحال من الأعمال ، لأن مثلها يجلب رحمة الله ويطفئ غضبه ، فقد روى عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب .. » [١].

٣- ثم إن النبي ﷺ لم يكتف بما سبق ، وإنما استغل ذلك الموقف ووعظ الناس فيه بما يناسب الحال والمقام ، خاصة إذا كان هناك أمر مهم يجب التنبيه إليه كما فعل النبي ﷺ حين قال : « والله مامن أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته » .

قال الطيبي وغيره : « وجه اتصال هذا المعنى بما قبله من قوله « فاذكروا الله .. الخ » من جهة أنهم لما أمروا باستدفاع البلاء بالذكر والدعاء والصلاة والصدقة ، ناسب ردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء ، وخص منها الزنا ، لأنه أعظمها في ذلك . وقيل: لما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيراً في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب الغيرة وخالقها سبحانه وتعالى » [٢].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب رقم (٨٧٦) .
(٢) الفتح (٢/٥٣١) .

٤- إن في قول الرسول ﷺ « ياأمة محمد » تلطف وتودد واستشراف للنفوس بما يحببها ويرخي سمعها ويرقق قلبها حتى يكون للكلام وقع أكبر وتأثير أبلغ ، قال ابن حجر « وقوله:«ياأمة محمد » فيه معنى الإشفاق كما يخاطب الوالد ولده إذا أشفق عليه بقوله « يابني» كذا قيل ، وكان قضية ذلك أن يقول ياأمتي ، لكن لعدوله عن المضمر إلى المظهر حكمه ، وكأنها بسبب كون المقام مقام تحذير وتخويف لما في الإضافة إلى الضمير من الإشعار بالتكريم » [١].

٥- يظهر تواضع رسول الله ﷺ حين قال : « ياأمة محمد » ، ذكر اسمه المجرد من أى شيء ، وكان يسعه أن يقول : ياأمة محمد بن عبد الله أو محمد رسول الله وغيرها ، إلا أنه ذكر اسمه مجرداً ، وهذا بلاشك أقرب إلى قلب من يسمعه وأكثر استعداداً لقبول مايقول وهكذا ينبغي للخطيب أن يبتعد عن أسلوب التفخيم أو كلمات الإطراء لنفسه من قريب أو بعيد . قال ابن حجر : ويؤخذ من قوله « ياأمة محمد » أن الواعظ ينبغي له حال وعظه أن لايأتي بكلام فيه تفخيم لنفسه ، بل يبالغ في التواضع : لأنه أقرب إلى انتفاع من يسمعه [٢].

٦- وقوله ﷺ « لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » ، فيه تخويف وتحذير يناسب الحال والمقام ، وكثيراً ماكان النبي ﷺ في صلاة الكسوف يخطب فيخوف عباد الله من الله ويذكرهم به وبعذابه وذلك في روايات كثيرة ، ومنها حديث عائشة [٣]. رضي الله عنها ، وفيه خطب النبي ﷺ وذكر فتنة القبر وأنها قريبة من فتنة المسيح الدجال ، وفصل في ذلك ، فالرسول ذكر أنه أوحي إليه بأن الناس يفتنون في قبورهم ويدل هذا على أن الله أوحى له في هذا الموقف لمناسبته له ، وبادر الرسول ﷺ إلى ذكره وتبليغ الناس بذلك لمناسبته ، وفي ذلك كله وعظ وتخويف من الله ، قال ابن حجر : وفي الحديث ترجيح التخويف في الخطبة على التوسع في الترخيص لما ذكر في الرخص من ملاءمة النفوس لما جبلت عليه من الشهوة ،

---

(١) ، (٢) فتح الباري (٢/٥٣١) .
(٣) أخرجه البخاري (١/٢٩٢) برقم (١٠٥٣) ، كتاب الكسوف ، باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف .

والطبيب الحاذق يقابل العلة بما يضادها لا بمايزيدها [1].

وعليه فيجب على الخطيب أن يختار مايناسب الحدث والمقام ، وماكان يحتاج إلي تخويف وترهيب عمل به ، وماكان يحتاج إلي حث وترغيب عمل به ، حتى يكون أنفع وأبلغ .

٣- خطبة النبي ﷺ للأنصار في حادثة تقسيم الغنائم :

عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : « لما أفاء الله على رسول الله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ماأصاب الناس ، فخطبهم فقال : يامعشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمَنُّ . قال : لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا . ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة ، لكنت امرءاً من الأنصار . ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها . الأنصار شعار ، والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » [2].

قسَّم رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين على المؤلفة قلوبهم ، حيث كانوا حديثي عهد بكفر ومصيبة كما في روايات أخرى [3] ، وذلك حتى يتمكن الإسلام من قلوبهم ، ولكن طبيعة البشر التي لاينفكون عنها كان لها دور فيما حصيل حيث ، رغب الأنصار أن يصيبوا ماأصاب الناس ، خاصة إذا علمنا أن لهم اليد الطولى في نصرة رسول الله ﷺ بعد الله عز وجل فكأنما وجدوا في أنفسهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبادر إلى معالجة المشكلة في حينها ، ولم يسكت

---

(١) فتح الباري (٢/٥٣١) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٠) كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف ، ومسلم برقم (١٠٥٩) ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة .

(٣) أنظر البخاري رقم (٣١٤٥) ، (٣١٤٦) .

عنها ، لأنها قد تَعْظُم في نفوسهم وتقدح في إيمانهم ، وهم معشر الأنصار من هم في الفضل والسبق للإسلام والنصرة ، فماذا فعل النبي ﷺ ؟ قام ودعا الأنصار واجتمع بهم وحدهم فخطبهم وبين مقصده ووعظهم وأرضاهم .

الدراسة :

١- دعا النبي ﷺ الأنصار للتثبت من مقالتهم قبل أن يخطب فيهم ، ودعاهم وحدهم ، بحيث لايختلط بهم غيرهم ، فيكون ذلك ألطف في العتاب وأقرب للقبول . ومما يدل على تثبيت النبي ﷺ من الأمر حديث أنس بن مالك الذي جاء فيه : « فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم . فقال « ما الذي بلغني عنكم ؟ قالوا : هو الذي بلغك . وكانوا لايكذبون » [(١)].

فالخطيب الذي يريد أن يعالج أمراً حادثاً عليه بالتثبت منه قبل أن يشرع في خطبته أو حديثه مع الناس فإن هذا أولى وأحكم ، فلعل الأمر على غير ماتصوره ، فيكون الكلام فيه بلا فائدة ، وقد تترتب عليه أمور أخرى سيئة .

٢- بدأ النبي ﷺ ببيان فضل الله ورسوله عليهم حين ذكرهم بحالهم قبل الإسلام ثمَّ ماهم عليه الآن من نعمة الإسلام والهداية والأجر العظيم . وفي ذلك تهدئة لهم إذا ذكروا ماهم عليه من الخير والأجر العظيم .

٣- الأمر الآخر أن النبي ﷺ أظهر لهم فضيلة أخرى ألا وهي حياؤهم وأدبهم مع الله ورسوله حين قال : مايمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ قال : كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أَمَنُّ . قال : لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا ....» . وفي رواية حديث أبي سعيد ولفظه « فقال : أما والله لو شئتم لقلتم فصَدقَتم وصُدِّقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٥٩) ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة .

فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فواسيناك » [١]. وهذا في الحقيقة أجبر لخاطرهم وأقرب لإزالة مايمكن أن يأتي في قلوبهم حين سألهم النبي ﷺ فامتنعوا عن الإجابة أدباً وحياءً . وهو أيضا فيه إنصاف وتواضع من النبي ﷺ حين ذكر فضلهم ونصرهم إياه .

قال ابن حجر : « وإنما قال ﷺ ذلك تواضعاً منه وإنصافاً ، وإلا ففي الحقيقة الحجة البالغة والمنة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم ، فإنه لولا هجرته إليهم وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق » [٢].

٤- وبعد بيان فضل الإسلام عليهم وبيان أدبهم ذكر لهم مايزيل مافي قلوبهم ويزيدهم فوق ذلك غبطة وسروراً فقال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ » . قال ابن القيم :« ولما شرح لهم ﷺ ماخفي عليهم من الحكمة فيما صنع ، رجعوا مذعنين ، ورأوا أن الغنيمة العظمى ماحصل لهم من عود رسول الله إلى بلادهم ، فسلوا عن الشاة والبعير ، والسبايا من الأنثى والصغير ، بما حازوه من الفوز العظيم ، ومجاورة النبي الكريم لهم حياً وميتاً ، وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ماينا سبه » [٣].

وهكذا كان النبي ﷺ يعطي كل أحد ماينا سبه بناء على عمله السابق أو مكانته الخاصة.

ثم ذكر مايدل على قربه منهم بقوله « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ... » قال الخطابي : « أراد بهذا الكلام تألف الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحداً منهم لو لا مايمنعه من الهجرة التي لايجوز تبديلها » [٤].

---

(١) فتح الباري (٥١/٨) .
(٢) المصدر السابق (٤٩/٨-٥١) .
(٣) المصدر السابق (٤٩/٨) .
(٤) فتح الباري (٤٩/٨) .

فانظر كيف أن النبي ﷺ استطاع أن يغير ماكان في قلوبهم من العتاب إلى الرضا التام، بل أنه عاتبهم على أنهم وجدوا في أنفسهم حين لم يعطهم من الغنائم حتى بكوا رضي الله عنهم أجمعين ، ففي حديث أبي سعيد زاد فقال : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ، قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله - ﷺ - قسماً وحظاً » (١).

قال ابن حجر : «وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب واعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه ، والاعتذار والاعتراف» (٢).

٤- خطبة النبي ﷺ للأنصار في تخفيف الصلاة وعدم إطالتها خوف التنفير:

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : « ياأيها الناس إن منكم منفرين ، فأيكم أمَّ الناس فليوجز ، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة » (٣).

كان النبي ﷺ يجلس بعد كل صلاة يعلم أصحابه ويجيب عن أسئلتهم ويتفقد أحوالهم وفي هذه الحادثة جاءه رجل بعد صلاة الصبح يذكر سبب تخلفه عن صلاة الجماعة ، وهو إطالة الإمام في الصلاة ، مما جعله يتخلف عنها . فقام النبي ﷺ غاضباً فوعظهم وزجرهم ونصحهم في كيفية إمامة الناس وتأليف قلوبهم لصلاة الجماعة .

---

(١) ،(٢) المصدر السابق (٨/٥٢) .
(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٠٤) كتاب الأذان ، باب من شكا إمامه إذا طوّل ، ومسلم برقم (٤٦٦)، واللفظ له ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام .

الدراسة :

١- تفاوت غضب النبي ﷺ شدة وضعفاً حسب المنكر أو الأمر المأمور به تبعاً لحال المنكر، ومايترتب على ذلك من المفاسد والمصالح كترك صلاة الجماعة ، وخاصة صلاة الصبح التي تعدل قيام نصف ليلة ، والتي من صلاها فهو في ذمة الله ، فلأجل ذلك كله وجهه ﷺ ووبخه ؛ لأن فواتها هدم لشعيرة عظيمة من شعائر الدين الحنيف ، بل هدم لعامود الدين ، وهذا أمر مما تعم البلوى به ، فلابد من الإنكار الشديد والترهيب من حصوله .

وهذا مما نراه واضحاً في مثل هذه الأيام ، فالناس يختارون الذهاب إلى أخف المساجد صلاة ، فواجب العلماء أو الدعاة أو من له ولاية عليهم أن يعظهم ويوبخهم أسوة بالنبي ﷺ .

٢- سماع النبي ﷺ من هذا الرجل يدل على جواز الشكوى للإمام الأعظم في الأمور الشرعية ، وجواز تعيين المشتكي منه لتتحقق المصلحة بالتوجيه والتعليم وهو مافعله الرسول ﷺ كما في قوله : « فأيكم أمَّ الناس فليوجز .... » .

٣- يُعد غضب النبي ﷺ من الغضب المحمود ، وهذا يدل على جواز الغضب في الإنكار والتعليم والموعظة ؛ لأن ذلك من تعظيم حرمات الله تعالى .

٤- يعلمنا الرسول في بلاغه وتعليمه حسن الأدب ؛ لأنه لم يحمله غضبه على مرتكب هذا العمل على تعيينه ، وإن عينه الشاكي .

٥- يظهر أن النبي ﷺ يعلمنا تجنب كل عمل ينفِّر الناس من الدين ، ويُكرِّه إليهم العبادة والطاعة .

٦- ويضرب النبي ﷺ أرفع الأمثلة في رفق الإسلام بالضعفاء ، ومراعاة أحوال الناس وتقدير ظروفهم وحاجاتهم ولو في الطاعات .

الفصل الثاني
السؤال والجواب

وفيه مباحث :

المبحث الأول : طلبه للسؤال عليه الصلاة و السلام والجواب عنه .

المبحث الثاني : السؤال المباشر من قبل الناس واجابته عنه

المبحث الثالث : سؤاله عليه الصلاة و السلام للصحابة رضي الله عنهم وطلبه الإجابة عنه .

الفصل الثاني

السؤال والجواب

عند النظر والاستقراء في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم نجد أنها حوت كثيراً من العلم على صيغة السؤال والجواب . وكما قال ابن حجر رحمه الله تعليقاً على حديث السؤال عن الساعة : « وفيه إشارة أن العلم سؤال وجواب » [1] . وقد قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) [2] . وقال ﷺ في الرجل الذي شُج رأسُه فأمر فاغتسل ولم يتيمم فمات « قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العيِّ السؤال » [3] والعيِّ هنا الجهل [4]

قال العظيم آبادي : « والمعنى أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم » [5] .

ومما سبق يتبين أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم وفهمه والتثبت منه وحفظه .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على السؤال والاستماع إلى الجواب وكانوا يحبون أن يأتيّ من يسأل النبي ﷺ من مهابتهم له عليه السلام فيستمعون إلى إجابته فيتعلمون العلم .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « كنا نهينا أن نسأل النبي ﷺ عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ، ونحن نسمع .... » [6] .

قال النووي : قوله « نهينا أن نسأل » يعني نسأل مالا ضرورة إليه ، كما قدمنا بيانه قريباً في الحديث الآخر سلوني ، أى عما تحتاجون إليه » [7] .

(١) فتح الباري ١٤٢/١ .

(٢) النحل : ٤٣

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٣٣٦) كتاب الطهارة ، باب : في المجروح يتيمم ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم(٣٢٥) .

(٤) لسان العرب مادة : «عيا» .

(٥) عون المعبود ٥٣٤/١ .

(٦) أخرجه مسلم برقم (١٢) كتاب الإيمان باب السؤال عن أركان الإسلام ، تحفة الأحوذي ٢٤٦/٣ .

(٧) مسلم ، شرح النووي ١٦٩/١ ، وأما قوله « في الحديث الآخر سلوني » فيعني حديث جبريل حيث قال : «سلوني» هذا ليس بمخالف عن سؤاله فإن هذا المأمور به هو فيما يحتاج إليه وهو موافق لقول الله تعالى :« فاسألوا أهل الذكر » انظر : ١٦٥/١ .

والمقصود بالآية التي ورد فيها النهي عن السؤال الذي لاحاجة فيه هو قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . (١)

وعلى هذا فإن النهي خاص لمالاضرورة للسؤال عنه لذلك قال النووي -رحمه الله -مانصه:

« مقصود أحاديث الباب أنه ﷺ نهاهم عن إكثار السؤال والابتداء بالسؤال عما لايقع ، وكره ذلك لمعان منها : أنه ربما كان سبباً لتحريم شيء على المسلمين فيلحقهم به المشقة ، وقد بين هذا بقوله ﷺ : «أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته » (٢) ، ومنها أنه ربما كان في الجواب مايكرهه السائل ويسوؤه » (٣) ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ إلى آخر ماقال رحمه الله (٤) .

وقال أيضاً : « قال الخطابي وغيره : هذا الحديث فيمن سأل تكلفا أو تعنتاً فيما لاحاجة به إليه فأما من سأل لضرورة بأن وقعت له مسألة فسأل عنها ، فلا إثم عليه ، ولاعتب ، لقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر » (٥) .

ومن هذا الباب ، ماأخرجه مسلم عن نواس بن سمعان قال : « أقمت مع رسول الله ﷺ المدينة سنة مايمنعني من الهجرة إلا المسألة » كان أحدنا إذا هاجر ، لم يسأل رسول الله ﷺ عن شيء قال فسألته عن البر والإثم .... » (٦) .

قال النووي : « قال القاضي وغيره معناه أنه أقام بالمدينة كالزائر من غير نُقلة إليها ، من وطنه لاستيطانها ومامنعه من الهجرة وهي الانتقال من الوطن ، واستيطان بالمدينة إلا الرغبة في سؤال رسول الله ﷺ عن أمور الدين ، فإنه كان سمح بذلك للطارئين دون المهاجرين »

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١٩٨/٣ ، ١٩٩) ، المائدة : ١٠١ .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٥٨) ، كتاب الفضائل ، باب وجوب ترك سؤاله بكثرة ﷺ .

(٣)أنظر البخاري رقم (٩٢) .

(٤) ، (٥) النووي شرح مسلم (١٥ /٤٩٧ ، ٤٩٨)« باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله ...... » .

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣) ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تفسير البر والإثم .

وكان المهاجرون يفرحون بسؤال الغرباء ، الطارئين من الأعراب ، وغيرهم لأنهم يُحتملون في السؤال ، ويُعذرون ويستفيد المهاجرون من الجواب ، كما قال أنس رضي الله عنه في الحديث الذي ذكره مسلم في كتاب الإيمان وكان عجبا أن يجيء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله ، والله أعلم »(١)

وخلاصة القول فيما مضى : إن النهي إنما هو للسؤال الزائد عن الحاجة ، أو عن أمور سكت عنها الشارع ، فلم يأمر بها فيأتي من يسأل عنها ، وغير ذلك ، والدليل على ذلك توافر السنة بسؤال الصحابة للرسول ﷺ ، وإجابته عن أسئلتهم دون نهي منه عن السؤال ، بل كان يحاورهم في سؤالهم له ويراجعونه فيما يقول ، فيبين لهم ماراجعوه فيه كما سيأتي بإذن الله ، بل كان ﷺ يبدأهم ويطلب منهم السؤال كما في حديث جبريل عليه السلام ، ولكن لمهابتهم له عليه السلام كانوا يمتنعون كما سيأتي أيضاً بإذن الله .

قال ابن القيم : « وكانوا يوردون على رسول الله ﷺ مايشكل من الأسئلة والشبهات ، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم ، وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه ، أعداؤه للتعنت والمغالبة ، وأصحابه للفهم والبيان ، وزيادة الإيمان ، وهو يجيب كلاً عن سؤاله ، إلا مالاجواب عنه . كسؤالهم عن وقت الساعة » (٢) .

وقد كان ﷺ يتوقع السؤال منهم ، بل وينتظره منهم كما في حديث أبي هريرة حين سأله عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة ، والشاهد من ذلك أن النبي ﷺ قال له : لقد ظننت أن لايسألني أحد عن ذلك أول منك لما علمت حرصك على الحديث » (٣) . وهذا يدل على أنه عليه السلام ، كان يتوقع السؤال من أبي هريرة ، عن هذه المسألة .

وأول من بَلّغ عن الله وقام بمنصب الإفتاء الرسول ﷺ ، الذي لايكون إلا بسؤال وجواب ،

---

(١)النووي شرح مسلم ٨٧/١٦ .

(٢) زاد المعاد ٣ / ١٢١ .

(٣) البخاري رقم (٩٩) ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث .

قال ابن القيم : « وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، عبدُ الله ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين ، وكان كما قال له أحكم الحاكمين : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ فكانت فتواه ﷺ جوامع الأحكام ، ومشتملة على فصل الخطاب ، وهي في وجوب اتباعها وتحكيمها والتحاكم إليها ثانية الكتاب ، وليس لأحد من المسلمين العُدول عنها ماوجد إليها سبيلاً ، وقد أمر الله عباده بالرد إليها حيث يقول : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[1] .

وقد كان الصحابة بعد النبي ﷺ يرون في السؤال طريقاً إلى تحصيل العلم والخير وبه ينتفع السائل والسامع ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ألا رجل يسأل فينتفع وينتفع جلساؤه » [2] .

وقال أيضاً وهو يخطب مرة : « سلوني ، فو الله لاتسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به ، وسلوني عن كتاب الله .... » [3] .

وقال ابن عباس رضي الله عنه حين دخل عليه بعض القوم : « سلوني فإني أصبحت طَيِّبةً نفسي ، أخبرت أن الكوكب ذا الذنب قد طلع فخشيت أن يكون (الدخان) أو قال الدجال قد طرق ، وسلوني عن سورة البقرة وسورة يوسف » [4] .

قال مكحول : قيل لابن عباس رضي الله عنه : أنَّى أصبت هذا العلم ؟ قال : « بلسان سَئول وقلب عقول » [5] .

---

(١) أعلام الموقعين ١/١١ .

(٢) ، (٣) جامع بيان العلم وفضله ١ /٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٤) المرجع السابق ١/٤٦٦ .

(٥) أعلام الموقعين ١/١٩ .

وقال ابن القيم في بيان مراد ابن عباس رضي الله عنه بقوله : «مارأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ، ماسألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض ....» إلى آخر ماقال.

قال : قلت : ومراد ابن عباس بقوله : « ماسألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة ، المسائل التي حكاها الله في القرآن عنهم ، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها وبين لهم أحكامها بالسنة لاتكاد تحصى ، ولكن إنما كانوا يسألونه عما ينفعهم من الواقعات ، ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات والأغلوطات وعضل المسائل ، ولم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل وتوليدها ، بل كانت هِمَمهم مقصورة على تنفيذ ماأمرهم به ، فإذا وقع بهم أمر سألوا عنه فأجابهم » [١] .

وليس بعدُ بيان أكثر من هذا على تعظيمهم لقدر السؤال في تعلم العلم وحرصهم عليه .

وكذلك من جاء بعدهم من التابعين يدعون إلى السؤال وينتظرونه حتى يجيبوا ، فيحصل العلم والتعلم ومعرفة الدين ، بل كان بعضهم رحمهم الله ، يتعجب من عدم السؤال ، فعن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما ورحم عكرمة قال :«مالكم لاتسألوننا ؟ أفْلسْتم ؟» [٢] . وقال سعيد بن جبير : « أما أحدٌ يسألني » [٣] .كانوا يرون أن به يحفظ العلم ويذاكر،

فعن هشام بن عروة قال : قال لي أبي :« إني والله مايسألني الناس عن شيء حتى لقد نسيت » [٤] . وقال ابن شهاب : « العلم خزانة ، مفتاحها المسألة » [٥] .

وحتى النساء لهن نصيب من ذلك [٦] ،وإن كن داخلات فيما مضى ، فهذه عائشة رضي الله عنها تقول : « رحم الله نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن »[٧]

---

(١) أعلام الموقعين ١/ ٧١ .

(٢) ،(٣) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٤٧١ .

(٤) ،(٥) المرجع السابق ١/ ٤٧٢ .

(٦) أنظر البخاري كتاب العلم ، باب الحياء في العلم .

(٧) أخرجه مسلم برقم (٣٣٢) ، كتاب الحيض ، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض المسك .

قال ابن حجر : وفيه سؤال المرأة العالم عن أحوالها التي يحتشم منها ، ولهذا كانت عائش رضي الله عنها تقول في نساء الأنصار : «لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين »[١] .

وخلاصة القول : إن السؤال والجواب عنه لاغنى لمتعلم عنه ، ولا لعالم من إيصال العلم إلا من خلاله ، سيما جزء كبير منه ، وأنه بالسؤال والجواب والمراجعه فيه ، يكون تعلم العلم ، ومذاكرته وتثبيته وفهمه ، والسنة مليئة به ، وجاء الحث عليه من الصحابة ومن بعدهم ، وأن النهي الوارد إنما هو عن التكلف فيه والسؤال عما لاحاجة فيه ولانفع ، أو عن أمور سكت عنها الشارع ، وغير ذلك ، وأما ماللمسلم حاجة فيه فإنه من المستحب السؤال عنه ، ثم الإجابة عنه كما قال الطيبي : «هذا في حق من سأل عبثاً وتكلفاً فيما لاحاجة به إليه، كمسألة بني إسرائيل في شأن البقرة ، دون من يسأل سؤال حاجة ، فإنه يثاب » [٢] .

ونورد هنا كلاماً مفيداً للإمام الشاطبي رحمه الله ، الذي ذكر أقسام السؤال أو أنواع السؤال من حيث جهة وقوعه من السائل ومعه فقه الإجابات فقال :

« إن السؤال إما أن يقع من عالم أو غير عالم ، وأعني بالعالم المجتهد ، وغير العالم المقلد ، وعلى كلا التقديرين ، إما أن يكون المسؤول عالماً أو غير عالم ، فهذه أربعة أقسام:

الأول : سؤال العالم للعالم ، وذلك في المشروع ، يقع على وجوه ، كتحقيق ماحصَّل ، أو رفع إشكال عنَّ له ، وتذكر ماخشي عليه النسيان ، أو تنبيه المسؤول على خطأ يورده مورد الاستفادة ، أو نيابة منه عن الحاضرين من المتعلمين ، أو تحصيل ماعسى أن يكون فاته من العلم .

والثاني سؤال المتعلم لمثله ، وذلك أيضاً يكون على وجوه ، كمذاكرته له بما سمع ، أو طلبه منه مالم يسمع مما سمعه المسؤول ، أو تمرنه معه في المسائل قبل لقاء العالم ، أو التهدي

(١) فتح الباري ١/٤١٦ .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/٣٨٩ .

بعقله إلى فهم ماألقاه العالم .

والثالث : سؤال العالم للمتعلم ، وهو على وجوه كذلك ، كتنبيه على موضع إشكال يطلب رفعه ، أو اختبار عقله أين بلغ ، والاستعانة بفهمه إن كان لفهمه فضل ، أو تنبيهه على ماعلم ليستدل به على مالم يعلم .

والرابع : وهو الأصل الأول ، سؤال المتعلم للعالم ، وهو يرجع إلى طلب علم مالم يعلم .

فأما الأول والثاني والثالث : فالجواب عنه مستحق إن علم ، مالم يمنع من ذلك عارض معتبر شرعاً ، وإلا فالاعتراف بالعجز .

وأما الرابع : فليس الجواب عنه بمستحق بإطلاق ، بل فيه تفصيل فيلزم الجواب إذا كان عالماً بما سئل عنه متعيناً عليه في نازلة واقعة أو في أمر فيه نص شرعي بالنسبة إلى المتعلم ، لامطلقاً ، ويكون السائل ممن يحتمل عقله الجواب ، ولايؤدي السؤال إلى تعمق ولاتكلف ، وهو مما يبنى عليه عمل شرعي ، وأشباه ذلك ، وقد لايلزم الجواب في مواضع ، كما إذا لم يتعين عليه ، أو المسألة اجتهادية لانص فيها للشارع ، وقد لايجوز ، كما إذا لم يحتمل عقله الجواب ، أو كان فيه تعمق ، أو أكثر من السؤالات التي هي من جنس الأغاليط، أو فيه نوع اعتراض »[1] .

وسيتبين معنا أهمية مثل هذا الكلام أثناء الحديث عن هدي النبي ﷺ في السؤال والجواب ، ولعل الإمام الشاطبي نظر في السنة ورأى هديه عليه السلام في ذلك فكتب شيئاً كثيراً بناء على ذلك في هذا الموضوع .

هذه مقدمة يسيره بين يدي الموضوع المراد الحديث عنه ، وهو هديه عليه السلام في السؤال والجواب ، وكونه إحدى الطرق التي كان يستخدمها ﷺ لتعليم الناس وتبليغهم أمر هذا الدين.

فنقول وبه تعالى نستعين : إنه عند النظر والاستقراء في السنة نجد أن هناك خطاً واضحاً كان يسلكه ﷺ ، كلما حانت الفرصة وناسب الموقف ليعلم به أصحابه عليه السلام ورضي الله

---

(١) الموافقات ٥/ ٣٧١-٣٧٣ .

عنهم ويبلغهم مايريد أن يوصل لهم من أمر هذا الدين ، ألا وهو أسلوب السؤال والجواب .

وقد تعدد أسلوب النبي ﷺ ، في طريقة طَرْق السؤال ، أو حتى في الإجابة عنه ، ومن ذلك عجبٌ عجاب كما سنرى بإذن الله جملة من ذلك ! .

فإنه ﷺ ماكان يستخدم الأسلوب التقليدي في طرح السؤال على صحابته رضي الله عنهم ، فنجده عليه السلام يستغل المواقف والأحداث ليسأل سؤاله ، فيكون هناك رابط بين السؤال والموقف والحادث ، ونجده تاره يثير الأفهام والعقول عند طرحه للسؤال ، فيكون أوقع في أذهانهم وتحريك فكرهم للبحث عن الإجابة ، وتارة نجده يقدم بمقدمة للسؤال ،فتكون أبلغ في تفاعله معه ، ومع الإجابة ، وتارة يشد انتباه المسؤول بالنداء ، بل والنداء المتكرر قبل أن يسأل ، وأخرى كان يقوم بفعل معين يسبق سؤاله ، أو يثير السؤال لدى من حوله وهم يلاحظون كل شيء يبدر منه ، وهو يعلم ذلك فيستفيد منه ، ومن هذه الأفعال على سبيل المثال لا الحصر: ضحكه عليه السلام ، أو اعتدال في جلسته ، أو إشارة بيد ، أو مخالفة فعله مع قوله فيما يظهر للناس وغير ذلك ؛ وكذلك من الأقوال مايثير السؤال ، مثل أن يبهم القول ، أو يردد كلاماً لم يسبق سماعه في مثل هذا الموقف ، أو ينادي بالاسم المجرد وقد يكرر ذلك قبل السؤال ، وغير ذلك كثير ، فالنبي ﷺ كان ينوع طرق السؤال وكذلك طرق إثارة السؤال لدى سامعيه .

وكان ﷺ يعلم ، أن هذا أنفع وأوقع في نفوسهم - رضي الله عنهم - وأحرى في حفظ العلم الذي يتلقونه من خلال مثل هذه الأساليب ، ولايمكن لأحد أن يقول : إنه عليه السلام ماكان يفعل ذلك عن قصد ، أو أن ليس له غاية ، وهدف يعقب مثل هذا الفعل ، لأن الناظر المتفحص في أسلوبه عليه السلام يجد ترابطاً وتوافقاً بين مايفعله وبين نهاية حديثه ﷺ ، ولايمكن أن يكون فعله عبثاً لاغاية منه ، وإلا كان أسلوبه على وتيرة واحدة لاتتغير ويدل على

هذا مواقف كثيرة ، ومنها حين سأل أبو هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ قائلاً :« من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟»، قال : « لقد ظننت أن لايسألني أحد عن ذلك أول منك لما علمت من حرصك على الحديث » (١) .وهذا يدل على أن النبي ﷺ ، قد أثار الموضوع من قبل مع أبي هريرة وآخرين . وتوقع السؤال هذا من أبي هريرة لمعرفته بصفات أبي هريرة رضي الله عنه . ومن ذلك أيضاً ، حين قال ﷺ «يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٢)» ، ثم دخل إلى بيته ، وهو لم يكمل صفاتهم ، وعلم أن الصحابة سيتساءلون عن هذه الصفات ، وهذا ماحصل فعلاً ، ثم خرج لهم مرة أخرى فأخبرهم بصفاته ، فعلام يدل هذا ؟ حيث دخل النبي عليه السلام ولازال لديه بقية علم ، مما أوحى الله له به ، ولكنه أخره حتى يشوقهم ويستثير أذهانهم ، والأمثلة كثيرة في ذلك .

ومثل ذلك نقول عن أسلوبه ﷺ في الإجابة إنه ﷺ بلغ حداً بعيداً وشأواً عظيماً في التنويع في مناسبة الإجابة للموقف والحدث ، وكذلك مناسبتها للطرف الآخر وهو السائل ، ومن أمثلة هذا التنوع على سبيل المثال لا الحصر ، اختلاف إجابته باختلاف أحوال السائلين ، وإن كان السؤال واحداً ، إجابته عن ماهو أهم من السؤال بشيء له علاقة أو صلة بأصل السؤال ، مثل السؤال عن الساعة ، و إجابته بقاعدة عامة يكون بها فصل الخطاب ، و زيادته في الإجابة لما له تعلق بأصل السؤال ولم يسأل عنه إمعاناً في الفائدة ، ولعلمه عليه السلام انتفاع السائل وغيره بذلك ، واختلاف إجابته باختلاف أحوال الزمان والمكان ، وإعادة الإجابة بقيد لها مهم ، والمداعبة في الإجابة ، والإشارة بالتعريض إلى مايستحى منه في الإجابة ، وسيأتي هذا

---

(١) سبق تخريجه ، انظر ص : (٧١) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١) كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، مسلم برقم (٢٢٠) كتاب الإيمان ، باب (لايكنون ولايسترقون ..).

الكلام عن الكنايات – بإذن الله – ، وتركه ماهو فيه وإقباله على السائل وتفصيل الإجابة له لأهمية ذلك ، وكان يسأل في أحياناً بعد سؤال السائل ، فيجيب بناء على إجابة السائل ، وأنه كان يقبل المراجعة أثناء الإجابة ، وغير هذا كثير .

وخلاصة القول في هديه عليه السلام في هذا الأسلوب هو التنويع واستغلال الموقف التعليمي بطريقة جيدة مع محاولة الاستفادة منه قدر المستطاع . وسنلقي الضوء بعد قليل على شيء مما مضى الحديث عنه .

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ، وهي كالتالي :

المبحث الأول : طلبه للسؤال عليه السلام والإجابة عنه .

المبحث الثاني : السؤال المباشر من قبل الناس وإجابته عنه .

المبحث الثالث : سؤاله عليه السلام للصحابة وطلبه الإجابة عنه

وبهذا لايوجد سؤال لايندرج تحت هذا التقسيم .

المبحث الأول

طلبه للسؤال عليه السلام والإجابة عنه

كان النبي ﷺ ، حريصاً على إيصال العلم وتبليغ الدين إلى الأمة ، وكان الصحابة رضي الله عنهم هم الطريق والواسطة التي ينقل بها هذا الدين لمن بعدهم ، فكان يجب أن يسألوا فيجاب عنهم فيتعلمون العلم والدين ، وكما ذكرنا من قبل أن نِصْفُ العلم سؤال وجواب ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يسألون كثيراً النبي ﷺ ، ولكن في مجالس أو مواقف معينة وكانوا يهابون السؤال كثيراً . وذكرنا الأسباب لذلك في مقدمة الفصل ، ولذا كان النبي ﷺ يطلب السؤال منهم حتى يحثهم على الجرأة ، ويعطيهم الدافع ويقدم لهم العذر في سؤالهم له ﷺ .

وكان له ﷺ في ذلك أحوال ، فتارة يطلب السؤال بشكل صريح كما في قوله « سلوني » كما في حديث جبريل عليه السلام ، وهو عمدة في الباب ، وتارة أخرى كان يثير السؤال لديهم إما بقول أو فعل ، فيسأل الصحابة رضي الله عنهم عن هذا القول أو الفعل ، فيجيب النبي ﷺ ، فَيُبلغُ الصحابة عنه العلم وهذا الدين .

طلبه للسؤال بصورة مباشرة وصريحة

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «سلوني ، فهابوه أن يسألوه، فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال : يارسول الله ما الإسلام ؟ ، قال : لاتشرك بالله شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان . قال : صدقت . قال : يارسول الله ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله . قال : صدقت . قال : يارسول الله ما الإحسان؟ قال: أن تخشى الله كأنك تراه ، فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك. قال : صدقت قال : يارسول الله : متى تقوم الساعة ؟ قال : ماالمسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأحدثك عن أشراطها :إذا رأيت المرأة تلد ربتها فذاك من أشراطها ، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها ،وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لايعلمهن إلا الله ، ثم قرأ :﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (١) ،قال : ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ :ردوه علي ، فالتمس فلم يجدوه ، فقال رسول الله ﷺ :هذا جبريل أراد أن تعلّموا إذا لم تسألوا »(٢) .

غريب الحديث :

أن تلد المرأة ربها - وفي رواية عمر الأمة ربتها - على ثلاثة أقوال (٣) :

١- أن يكون ولد الأمة من سيدّها بمنزلة سيدّها لشرفه بأبيه .

---

(١) لقمان : ٣٤

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠) كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وأشراطها .

(٣) المفهم للقرطبي ١٤٨/١ بإختصار وتصرف .

٢- أن ولدها قد يشتريها بعد بيعها من قبل أبيه وهو لايشعر بذلك فيصبح سيدها .

٣-عقوق الولد لإمه ، فيعامل الولد أمّه معاملة السيد أمَتَه من الإهانه والسب .

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم ، أصول الإسلام وأركانه : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، والسؤال عن الساعة وبيان أشراطها .

قال القرطبي : فيصلح هذا الحديث أن يقال فيه : إنه أمُّ السنة ، لما تضمنه من جمل علم السُّنة ، كما سميت الفاتحة : أمَّ الكتاب ، لما تضمنته من جمل معاني القرآن (١) . وقال القاضي عياض : إنه اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء وحالا ومآلا ، ومن أعمال الجوارح ، ومن إخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه (٢) أ.هـ .

الدراسة :

١- قول النبي ﷺ لأصحابه « سلوني » وهو جالس معهم لهو دليل على مشروعية السؤال ، وأن النبي عليه السلام كان يعلم أهمية أن يسأله الصحابة السؤال الشرعي المنضبط ، ليتعلموا به دينهم ، ويبلغ هو العلم الذي أوحى الله به إليه ، والنبي ﷺ يعلم أن طريق السؤال هو أسرع الطرق وأثبتها في تعلم العلم وفهمه ، وأن السؤال هو مفتاح العلم ، ولذلك حرص عليه السلام أن يطلب السؤال منهم لما لم يبادروا بالسؤال ، وعليه فإن الداعي والمعلم والمبلغ لهذا الدين عن رسول الله ﷺ أن يطلب السؤال ممن حوله إذا ناسب المجلس لعله يبلغهم شيئاً من هذا الدين ، فيتعلموه وينقلوه لغيرهم أيضاً .

٢- لما رأى الرسول ﷺ عدم مبادرة الصحابة بسؤاله ، وهم قعود معه في المجلس أراد أن يجرئهم على السؤال لأهميته في تعلم العلم ، فقد يكون في قلوبهم رهبة وخوف من المسؤول

---

(١) المفهم للقرطبي ١/١٥٢ .

(٢) إرشاد الساري ١/٢٠٧ .

والمعلم ، ولذا فعلى كل من تصدى لمثل هذه الوظيفة ، وظيفة التعليم والتبليغ أن يعطي طلابه أو من هم محل التعليم دافعاً وجرأة على السؤال ، وذلك بطلب السؤال منهم . وحينئذ من كان لديه سؤال أو استفسار يريد الإجابة عنه ، ولكنه متردد أو خائف أو متهيب أن يسأل فسوف يتجرأ ويتشجع حين يبدي المسؤول الاستعداد لمثل هذه الأسئلة ويتبين ذلك لهم بقوله «سلوني» أو بطلب السؤال منهم بأي طريقة ، فيسري الأمان والإطمئنان إلى قلوب المتعلمين ، فيقدمون على السؤال والتعلم .

٣- حين هاب الصحابة رضي الله عنهم سؤال النبي ﷺ جاء جبريل عليه السلام ، يقوم مقام السائل المعلم ، الذي يسأل الرسول ﷺ والرسول يجيب وجبريل عليه السلام عارف بجواب سؤاله ، وهذا يدلنا على أن السؤال مطلوب وأنه لابأس به لطلب العلم وتعلم الدين ، وهو يدل دلالة واضحة على أن السؤال والإجابة عنه بطريقة مثلى للتعلم ولتبليغ هذا الدين .

قال القرطبي في معرض كلامه عن النهي عن السؤال في قوله تعالى : ﴿ لاتسألوا عن أشياء .. .﴾ في شرح حديث جبريل قال : فانكفَّ الناس عن سؤال النبي ﷺ ، ولذلك قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، فلما انكفّوا عن ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى ، وتعظيماً لحرمة رسول الله ﷺ ، عَلِم الله ذلك منهم ، فأرسل السائل البصير فأجابه العالم الخبير ، فجعل العلم للسامعين الممتثلين من غير سؤال ، كما قد كفى الله المؤمنين القتال ، وقد نبَّه على ذلك النبي ﷺ بقوله : « هذا جبريل أراد أن تعلّموا إذ لم تسألوا » [(١)] .

قلت : بل هذا يدل أيضاً - مَقْدِم جبريل وسؤاله النبي عليه السلام - على القول : إنه كان ينبغي لكم أن تسألوا إذ طلب منكم رسول الله ﷺ ذلك ، وإنه بالسؤال يحصل المراد ، وهو تعلم العلم وبلوغ هذا الدين للناس ، وأيضاً إن رسول الله ﷺ ، لديه الرغبة وعدم الممانعة في أن تسألوه ، وذلك بالأدب الشرعي ، والسؤال فيما ينفع ، وأن عنده من العلم الشيء الكثير الذي يجب ، أن تحصلوا عليه من خلال طلب ذلك بسؤاله ، واستماع إجابته عن ذلك .

---

(١) المفهم ١٥٣/١ .

قال القسطلاني : « يحتمل أن في سؤال جبريل النبي ﷺ ، في حضور الصحابة، أنه يريد أن يربيهم ، أنه عليه الصلاة والسلام مليء من العلوم وأن علمه مأخوذ من الوحي ، فتزيد رغبتهم ونشاطهم فيه ، وهو المعنى بقوله : جاء يعلم الناس دينهم أ.هـ [١] .وفي قوله « إذ لم تسألوا » فيه نوع عتاب لأصحابه أنهم لم يسألوا مع طلبه منهم ذلك ليتعلموا دينهم .

٤- أيضاً ، سؤال جبريل عليه السلام ، للنبي عليه السلام مع علمه بالجواب دليل أنه يستحب للعالم أن يسأل العالم ، وهو العارف بالسؤال والجواب لينتفع السامعون .

قال ابن المنير : ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث - حسن السؤال من العالم - لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معاً [٢] . وقال العسقلاني : وأنه يسأل العالم ليعلم السامعون [٣] . وقال النووي : وفيه ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لايسألون عنها أن يسأل هو عنها ، ليحصل الجواب للجميع [٤] .

٥- حسن سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ ، يعطي مثالاً لما ينبغي أن يكون عليه السائل ، من الأدب وحسن السؤال .

قال ابن المنير : في قوله « يعلمكم دينكم» دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما ، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال ، ومع ذلك فقد سماه معلما ، وقد اشتهر قولهم : «حسن السؤال نصف العلم» [٥] .

قال النووي : « وأنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله » [٦] .

٦- يفيد سؤال جبريل عليه السلام ، المتكرر للنبي ﷺ في المجلس ، والنبي عليه السلام لايعلم أنه جبريل حتى ولّى ، أن السؤال أو الأسئلة عن أمور الدين ولتعلم العقائد

---

(١) إرشاد الساري ٢٠٧/١ .

(٢) الفتح ١٢٥/١ .

(٣) ارشاد الساري ٢٠٧/١ .

(٤) شرح صحيح مسلم ١٣٣/١.

(٥) الفتح ١٢٥/١ .

(٦) شرح صحيح مسلم (١٣٣/١) .

والأحكام لابأس بها حتى لو كانت من شخص واحد ، أو في مجلس واحد ، ويدل على ذلك أن النبي عليه السلام ، كان يجيب وهو مقبل على السائل ، بل ويفصل له إذا كان هناك فائدة من ذلك دون انتظار السائل أن يسأل عنها مثل إجابته عن سؤال « متى تقوم الساعة ؟ » فقال عليه السلام : ماالمسئول عنها بأعلم من السائل ، ولم يقف على ذلك بل واصل الحديث عن نفس أصل السؤال وهو الساعة ، فقال « سأحدثك عن أشراطها » أي علاماتها : وهذا شيء لم يسأل عنه السائل ولكن للفائدة المحتومة والمرجوة كان ذكر ذلك مطلوباً وهو مافعله ﷺ ، ولو كان عليه السلام غير راغب من كثرة الأسئلة لأجاب الإجابة الأولى ولم يتكلم عن الأشراط ، وكل هذا يفيد في أن السؤال مطلوب ولو كثر إذا كان فيه فائدة وعلم وتبليغ لهذا الدين .

وخلاصة القول في دراسة هذا الحديث :

إن إحدى طرق تعليم الناس وتبليغ هذا الدين هو طلب السؤال منهم عن أمور الدين ، وهذا مافعله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم ، ثم الإجابة عنه ، وهي طريقة يستخدمها ﷺ في تبليغ هذا الدين ، وإن المطلوب هو السؤال المنضبط الشرعي الذي يتحلى بالأدب ، والسؤال عما ينفع ، فينبغي أن يقتدي كل معلم وداعية ومبلغ بما جاء عن النبي ﷺ ، في طلبه للسؤال بهذه الطريقة ، إذا ماناسب المجلس والزمان والمكان لتعليم الأمة أمر دينها .

طلب السؤال بصورة غير مباشرة

وأما ماكان من طلبه للسؤال ، بصورة غير مباشرة كأن يثيرهم بشيء حتى يسألوه عليه السلام ، فمن ذلك :

عن أبي قتادة بن ربعيّ رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ ، مرَّ عليه بجنازة فقال : «مستريح ومستراح منه » قالوا : يارسول الله : ماالمستريح والمستراح منه ؟ فقال : «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد ، والشجر والدواب» [١] .

وفي رواية : « يستريح من أذى الدنيا ونصبها إلى رحمة الله »[٢] .

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ ، حال الناس بعد الممات ، فهم على حالين لاثالثة لهما ، وهو أنه إما مستريح ، وهو المؤمن ، من عناء الدنيا ونصبها ، أو مستراح منه ، وهو الفاجر ، يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب ، فإنه كان يؤذيها ، ويمنع القطر من السماء بسبب معصيته .

الدراسة :

١- استفاد النبي ﷺ من الموقف حيث مُر عليه بالجنازة ، فقال مقولته المختصرة غير المفهومة ، إذا بقيت كما هي ، وكان ﷺ يعلم ذلك ولكنه أراد حين قال مقولته تلك : « فمستريح ومستراح منه » أن يثير السؤال عند أصحابه رضي الله عنهم ، عما قاله ، حتى يخبرهم العلم فهو أثبت في ذلك ، فجاء سؤال الصحابة عن ذلك ، فأخبرهم الخبر .

٢- أراد النبي ﷺ ، بهذه الطريقة أن يعلمهم ويدربهم على السؤال عند الحاجة ، فهو يستطيع ﷺ أن يبين معنى ماقاله ، دون انتظار السؤال من الصحابه لأنه يعلم أن الصحابة ، لن يفهموا أو يعقلوا قصده ، ﷺ من كلمته « فمستريح ، ومستراح منه » لكنه انتظر حتى

(١ ، ٢) رواه البخاري برقم (٦٥١٢) كتاب الرقائق ، باب سكرات الموت ، ومسلم برقم (٩٥٠) كتاب الجنائز ، باب الميت مستريح ومستراح منه ، واللفظ له .

سأله الصحابة عن ذلك .

٢- عن أنس بن مالك ، قال :مُرَّ بجنازة فأُثْني عليها خياراً، فقال نبي الله ﷺ :«وجبت، وجبت ، وجبت » ومر بجنازة فأُثْنيَ عليها شراً ، فقال نبيُّ الله ﷺ : « وجبت ، وجبت ، وجبت» فقال عمر : فداك أبي وأميَّ ، مُرَّ بجنازة فأثنى عليها خيراً فقلت : وجبت ، وجبت ، وجبت ، ومُرَّ بجنازة فأثني عليها شراً فقلت : وجبت ، وجبت ، وجبت ؟ فقال النبي ﷺ :« من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض » [١] .

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ أن ثناء الناس على الجنازة هو تزكية لها عند الله عز وجل ، فتزكيتهم توجب الجنة ، وذمهم يوجب النار والعياذ بالله .

قال النووى : « وأما معناه ففيه قولان للعلماء ، أحدهما أن هذا الثناء بالخير لمن أثنى عليه أهل الفضل فإن كان ثناؤهم مطابقاً لأفعاله فيكون من أهل الجنة ، فإن لم يكن كذلك فليس هو مراداً بالحديث ، والثاني : وهو الصحيح المختار أنه على عمومه وإطلاقه ، وأن كل مسلم مات فألهم الله تعالى الناس أو معظمهم الثناء عليه ، كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الجنة ، سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا ، وإن لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة بل هو في خطر المشيئة ، فإذا ألهم الله عز وجل الناس الثناء عليه استدللنا بذلك على أنه سبحانه وتعالى قد شاء المغفرة له ، وبهذا تظهر فائدة الثناء » [٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٤٢) كتاب الشهادات ، باب تعديل كم يجوز ، ومسلم برقم (٩٤٩) كتاب الجنائز ، باب المسلمون شهداء الله في الأرض واللفظ له .

(٢) النووى ١٩/٧ .

فلا يصلي عليه ، أو أن يدرك أبويه أو كليهما فلم يدخلاه الجنة ، حيث إن إدراك هذه الأمور من أعظم الفرص في حصول الأجر الوفير وحصول المغفرة والرحمة ، وأيضاً بيان عظم حق النبي ﷺ

الدراسة :

بدأ النبي ﷺ ، بشيء يلفت فيه أنظارهم وأفهامهم ، حيث طلب منهم حضور المنبر فحضروا ، ثم قال آمين ، آمين ، آمين ، وهذا الفعل وهو الحضور عند المنبر ، ثم القول آمين ، آمين ، آمين ، لاشك أنه يلفت الانتباه ويثير السؤال عند كل واحد من الصحابة الحضور ، وهو ماحصل ، حيث قال الراوي :« قلنا » بصيغة الجمع ، لأن هذا الاستفهام سيصدر من الجميع حيث أثار الجميع ، وهناك يكمن سر هذا الأسلوب الذي يستدر الأسئلة من قبل المتعلمين ، فعلى المربين والمعلمين أن يستفيدوا من فعل النبي ﷺ هذا ، وأن ينوعوا من طرقهم في إثارة المدعوين ، حتى يسألوا فيتعلموا العلم وليبلغهم هذا الدين .

المبحث الثاني

السؤال المباشر من قبل الناس وإجابته عنه

إن السؤال المباشر من قبل الناس ، للنبي ﷺ ، كثير جداً في السنة ، مما يعجز عن إحصائه ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على سؤاله عما ينفعهم ويفيدهم في أمور دينهم ، وهم كانوا يعلمون منه ﷺ ، رغبته في ذلك حيث كان يستقبل أسئلتهم بكل رغبة واستعداد وصبر على مراجعتهم له في جوابه ، و بهذه الطريقة ، بلّغ النبي ﷺ كثيراً من أمور الدين ، وعلّم الصحابة رضي الله عنهم مسائل كثيرة في الدين .

وهنا يلزم أمور حين يريد السائل أن يسأل عنها :

١- أن يسأل عن مفيد ومهم شرعاً .

٢- أن يتحلى بأدب السؤال .

٣- أن يسعى إلى حفظ مايسأله عنه ويعمل به .

اهتمامه بالسائل وإجابته ولو بعد حين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابيٌّ فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث ، فقال بعض القوم : سمع ماقال فكره ماقال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع .حتى إذا قضى حديثه قال : أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال : هاأنا يارسول الله ، قال :« فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » قال : كيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وسِد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » [(١)] .

المعنى الإجمالي :

بين ﷺ ، علامة من علامات قرب قيام الساعة ، وهو تضييع الأمانة ، حين يوسد الأمر لغير أهله ، وذلك من خلال السؤال ثم الإجابة عنه من قبله عليه السلام .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩) كتاب العلم ، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل .

الدراسة :

١- لفت النبي ﷺ انتباه الصحابة حين قال : « وجبت ، وجبت ، وجبت » ، وهو يعلم عليه السلام أن هنا أمراً مبهماً لابد أن يعقبه بيان ولكنه انتظر طلب البيان من أصحابه حتى إذا فعلوا بين لهم ، وبذلك عوّد أصحابه على أن يسألوه ، عما خفى عنهم وأن هذا أمر محمود ، وهذا ماحصل مع عمر رضي الله عنه حين رأى أنه لابد من أن يسأل النبي عن الذي قال

٢- حسن سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنه قدم لسؤاله بـ «فداك أبي وأميّ يارسول الله » ، وكرر كلام النبي عليه السلام ، كما هو في السؤال فعلم ﷺ مراد عمر فأجابه عن ذلك .

٣- عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«احضروا المنبر» ، فحضرنا ، فلما ارتقى درجة قال :«آمين » ، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال :«آمين » ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال :«آمين » ، فلما نزل قلنا : يارسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ماكنا نسمعه ، قال : «إن جبريل عليه الصلاة والسلام عرض لي فقال :بُعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له ، قلت : « آمين » ، فلما رقيت الثانية قال : بُعداً لمن ذُكرت عنده فلم يصل عليك . فقلت : (آمين) ، فلما رقيت الثالثة قال : بُعداً لمن أدرك أبواه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة .قلت : (آمين) »[1]

غريب الحديث :

بَعُدَ : البعد الهلاك ، وقال : وفي شهادة الأعضاء يوم القيامة « بُعْداً لَكُنّ وسحقاً » أي هلاكا ، ويجوز أن يكون من البُعْد ضد القرب[2] .

المعنى الإجمالي :

حذر النبي ﷺ ، من أن يدرك المرء رمضان ، فلا يغفر له ، أو أن يذكر عليه السلام عنده

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه برقم (٧٢٥٦) كتاب البر والصلة ، وقال :« صحيح الاسناد ولم يخرجاه » واللفظ له ووافقه الذهبي ، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٦٤٤) باب من ذكر عنده النبي ﷺ ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٥٠٠) .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة : «بعد» .

الدراسة :

١- كان النبي ﷺ يجلس مجالسَ للتعليم فيأتيه الصحابه وغيرهم يسألونه عما بدا لهم عن الدين ، فجاء ذلك الأعرابي وسأله عليه السلام ، وهو منشغل بحديث غيره ، فأكمل حديثه ثم ناداه وأجابه . وفي ذلك اهتمام ظاهر من النبي ﷺ ، وأدب رفيع يحسن بكل معلم وداعية أن يقتدي به وهو أنه ، لم يغفل السائل أولاً واستوعب سؤاله ثانياً ، وأكمل حديثه مع الآخر ، ثم أجاب عن السائل بعد ذلك .

قال ابن حجر : وفيه العناية بجواب السائل ولو لم يكن السؤال متعينا ولا الجواب [١] .

٢- ترك النبي ﷺ ، زجر السائل حين قاطع حديثه ، ومضى عليه السلام يكمل مابدأ الحديث فيه ثم رجع إليه وأجاب سؤاله دون زجر حيث كان رفيقاً بأصحابه ، والناس أجمعين ، قال ابن حجر :« أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل ، بل أدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ماكان فيه ، ثم رجع إلى جوابه فرفق به لأنه من الأعراب وهم جفاة » [٢] ، قلت : وهذا ديدنه عليه السلام مع الجميع ، وليس مع الأعراب فقط ، مالم تنتهك حرمات الله.

ولذلك فقد يخطئ السائل والمتعلم في توقيت طرح السؤال ، أو أن يكون السؤال في غير محله ، أو أنه لاينبغي السؤال عنه ، فإن الرفق به ، وعدم زجره مطلوب من العالم ، والمعلم وأن يكون فعله عليه السلام هادياً ودليلاً في مثل هذه الأحوال التي قد يحصل من نوع هذا السائل كثيراً ، فلابد من التحمل والصبر وسعة الصدر ، حتى يؤدي المعلم مهمته على أكمل وجه ، والله أعلم .

٣- لما أجاب عليه السلام السائل عما سأل عنه راجعه السائل فيما أجاب ، فأبان عليه السلام له ماراجع فيه دون ضجر ، وهذا هو المطلوب أيضاً من كل معلم وداعية أن يصل مع المتعلم إلى نهاية تعليمه المسألة ، وإذا راجعه مراجعة تحتمل الإجابة أجابه دون ضجر وضيق ،

(١ ، ٢) فتح الباري ١٤٢/١ .

ومانلحظه الآن أن كثيراً من المعلمين بل والعلماء من يضجر من مراجعة السائل على اختلاف أحوالهم ، فيشتد غضبهم أو يتجاهلون السائل أو حتى يرفضون الإجابة عنه ، وهذا مخالف لفعله عليه السلام ، وهو قدوتنا ومعلمنا الأول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

قال ابن حجر : وفيه مراجعة العالم إذا لم يفهم مايجيب به حتى يتضح ، لقوله :« كيف إضاعتها » [(١)].

فرحه عليه الصلاة والسلام بالسؤال من قبل السائل وتحريه منه

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «قيل يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة » ؟ قال رسول الله ﷺ : «لقد ظننت ياأبا هريرة أن لايسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لاإله إلا الله خالصاً من قلبه ، أو نفسه » [(٢)] .

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ أكثر الناس فرحاً بشافعته وهو من قال لاإله إلا الله بشرط أن تكون خالصة من قلبه، وظهر فرحه ﷺ بسؤال أبي هريرة عن ذلك حيث كان يتحرى منه هذا السؤال لعلمه بأبي هريرة وحرصه على العلم .

---

(١) فتح الباري ١٤٢/١.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٩) ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، وبرقم (٦٥٧٠) كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .

الدراسة :

١-كان النبي ﷺ ، يتحرى سؤالاً معيناً من أبي هريرة ، وقد سأله رضي الله عنه لمكانة أبي هريرة من العلم والفطنة ، وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على أن يسأله الصحابة ، وخاصة بعض الأسئلة المهمة المفيدة .

٢- كون النبي ﷺ ينتظر السؤال من أبي هريرة عن الشفاعة ، ودلالة الحديث أن الشفاعة سبق أن بينها النبي عليه السلام للصحابة ، كل هذا يدل على أن هناك بقية علم كان لدى النبي ﷺ وهو «من أسعد الناس بالشفاعة» لكنه أخرها حتى يأتي سؤال عنها من قبل الصحابة ، وهذا يعني أهمية السؤال، وأنه أحد طرق التبليغ والتعليم .

٣- مكانة أبي هريرة رضي الله عنه عند النبي ﷺ ، وكثرة علمه وفطنته ، وحرصه على العلم ، حيث توقع النبي ﷺ هذا السؤال من أبي هريرة رضي الله عنه بالذات ، وهنا فإن المعلم حين يبين العلم لابد أن يتوقع ويتحرى بعض الأسئلة المتعلقة بما يطرح ، وخاصة من المتعلمين النجباء ، وهذا مما يجعله أكثر استعداداً للإجابة وأكثر تفاعلاً مع التعليم والتبليغ .

إجابته ﷺ عن السؤال بقاعدة عامة والزيادة فيها لاستيفاء العلم

عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه ، قال : أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ، مايمنعني من الهجرة إلا المسألة ، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ، قال : فسألته عن البر والإثم ؟ فقال رسول الله ﷺ :« البر حسن الخلق ، والإثم ماحاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس »(١) .

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ ، معنى البر والإثم ، بعدما سأل عنهما أحد الصحابة ، رضي الله عنه ، وأن البر هو حسن الخلق ، يعني : أن حسن الخلق أعظم خصال البر ، كما قال :« الحج عرفة » ويعني بحسن الخلق : الإنصاف في المعاملة ، والرفق في المجادلة ، والعدل في الأحكام ، والبذل ، والإحسان (٢) .

وأن الإثم هو : ماحاك في النفس وكره أن يطلع عليه الناس ، أي الشيء الذي يؤثر نفرة وحزازة في القلب ، وإنما أحاله النبي ﷺ على هذا الإدراك القلبي ، لما علم من جودة فهمه ، وحسن قريحته ، وتنوير قلبه ، وأنه يدرك ذلك من نفسه (٣) .

وقال النووي :ومعنى حاك في صدرك أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنباً (٤) .

الدراسة :

١- دل هذا الحديث والأثر على حسن سؤال الصحابي رضي الله عنه ، حيث سأل عن أمر مهم ، بلا تكلف ، وعن أمر جامع ، ونأخذ منه أنه لابد حين السؤال عن أمر شرعي ، طلباً للفتيا أو لطلب علم ، أن يكون واضحاً مهماً ، لاتكلف فيه .

---

(١) أخرجه مسلم برقم ، كتاب البر والصله ، باب تفسير البر والإثم .

(٢) ، (٣) المفهم ٦ /٥٢٢ ، ٥٢٣ .

(٤) النووي شرح مسلم ٨٦/١٦ .

٢- كانت إجابة النبي ﷺ ، عن سؤال الصحابي مميزة ، حيث أجاب عليه السلام بقاعدة عامة لمثل هذا السؤال ، وبشكل مجمل يغني عن التفصيل ، لأنه غير منتهي ، قال القرطبي :« فأجابه النبيُّ ﷺ ، بجواب جُمليٍّ أغناه به عن التفصيل [١] .وفي هذا علم النبي ﷺ أن مثل هذا السؤال لايصلح أن يجاب عنه بالتفصيل ، أو بذكر أمر واحد من أعمال البر أو الإثم ، فيحصل بذلك لبس على السائل في الأشياء التي لم يذكرها عليه السلام ، وهكذا لابد للمعلم والداعية إذا سئل عن أمر كهذا فلينظر فيه ، فإن كان من الأشياء التي لايصلح فيها التفصيل ، أو أنها أمور كثيرة ، ذكر لها جامع وقاعدة عامة يستطيع السائل فيما بعد أن ينزل كل أموره ومايعرض له على هذه القاعدة ، فيعلم العلم وهذا أكمل وأحسن .

الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سأل رجل رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، إنّا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ، أفنتوضأ من ماء البحر ، فقال رسول الله ﷺ : هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » [٢] .

الدراسة :

١-كانت إجابة النبي ﷺ على شكل قاعدة ، ولم يكتف ﷺ بقوله « نعم » مع وفائه بالغرض ، وإنما أجاب بجملة هي أحسن مايكون من البيان في جواز الوضوء من البحر والاغتسال منه ، فقال : « هو الطهور ماؤه » ، أي البالغ في الطهارة ، فهو طاهر ومطهر لغيره ، قال الزرقاني : أي البالغ في الطهارة ، ومنه قوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) أي طاهر في ذاته مطهر لغيره ، قال : ولم يقل في جوابه ، «نعم» مع حصول الغرض به ، ليقرن الحكم بعلته ، وهي الطهورية المتناهية في بابها [٣]

(١) المفهم ٦ /٥٢٢ .

(٢)أخرجه الترمذي (٦٩) أبواب الطهاره ، باب ماجاء في ماء البحر أنه طهور ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٥٩) .

(٣) تحفة الأحوذي ١/٢٢٥ .

ونستفيد منه أنه مما ينبغي لمن يُجيب عن سؤال يحتمل إجابة عامة أو قاعدة عامة يُقطع بها أى لبس ويجاب بها عن أي سؤال فليفعل ، فإن ذلك مفيد ، وهو مايتبين من فعله ﷺ ، وهو من جــوامع كلمه ﷺ .

٢- لم يكتف ﷺ بالإجابة فقط عن السؤال محل اهتمام السائل ، بل زاد فيه لما رأى حاجة السائل إلى ذلك ، فالسائل ينطلق في البحر ويمكث وقتاً طويلاً ، وهو يحمل معه الزاد القليل والماء القليل ، الذي من أجله سأل عن طهورية ماء البحر ، فعلم ﷺ جهله بطهورية البحر ، ومن باب أولى سيكون جهله بحل ميتته التي قد يحتاج إليها لقلة زاده فأراد ﷺ أن يبين ذلك ، ويشكل قاعدة أيضاً ، فقال :«الحل ميتته» ، وبهذا يدخل فيه كل ميتة من البحر . قال الرافعي : لما عرف ﷺ اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر أشفق أن يشتبه عليه حكم ميتته ،وقد يبتلى بها راكب البحر ، فعقب الجواب عن سؤاله بيان حكم الميتة (١) . وقال ابن العربي : وذلك من محاسن الفتوى أن يجاء في الجواب بأكثر مما يُسأل عنه تتميماً للفائدة وإفادة لعلم آخر .غير مسئول عنه ، ويتأكد ذلك عند ظهور الحاجة إلى الحكم ، كما هنا، لأن من توقف في طهورية ماء البحر، فهو عن العلم بحل ميتته مع تقدم تحريم الميتة ، أشد توقفاً (٢) . ومن هنا يظهر حسن الزيادة في الإجابة حين علم حاجة السائل لها، وهكذا المعلم البصير يجيب عن السؤال ويزيد عليه إن كان هناك متعلق بالسؤال ، فإنه للفائدة أتم ، فكم من سائل يسأل فيجاب على قدر مسألته « بنعم » أو «لا » ، وقد يكون هناك إجابة أفضل وأعم ، أو لايزاد عليها مع أن الزيادة متعينة ، حيث علاقتها الوثيقة بالسؤال ، إلا أن السائل لم ينص عليها وبذلك يضع العلم والنفع بالإجابة الكاملة ، وهذا -والله - كمال الإجابة ، وهو من فطنة المعلم ، حيث فطن لكل ماهو متعلق بالسؤال وإجابته ، وكذلك ماهو متعلق بالسائل كما حصل مع النبي ﷺ ، حيث فطن للإجابة المطلوبة وزيادة عليها ، وهي مهمة في الموضوع ،

(١) ، (٢) تحفة الأحوذي ١/٢٢٦ .

وفطنته لوضع السائل ، و كيف يكون حاله في البحر، فصلاة الله وسلامه على إمام المعلمين وقدوة الدعاة والناس أجمعين .

وإتماماً للفائدة ننقل كلاماً نفيساً لابن القيم رحمه الله ، قال : «يجوز للمفتى أن يجيب السائل بأكثر مما سأله عنه ، وهو من كمال نصحه وعلمه وإرشاده ، ومن عاب ذلك فلقلة علمه وضيق عطنه [1] وضعف نصحه ، وقد ترجم البخاري لذلك في صحيحه ، فقال : باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل عنه ، ثم ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما : مايلبس المحرم ؟ فقال رسول الله ﷺ :« لايلبس القُمُصَ ولا العمائم ، ولا السراويلات ، ولا الخفاف ، إلا أن لايجد نعلين فيلبس الخفين ، وليقطعهما أسفل من الكعبين » ، فسئل رسول الله ﷺ عما يلبس المحرم ، فأجاب عما لايلبس ، وتضمن ذلك الجواب عما يلبس ، فإن مالايلبس محصور ومايلبسه غير محصور ، فذكر لهم النوعين ، وبين لهم حكم لبس الخف عند عدم النعل ، وقد سألوه عن الوضوء بماء البحر ، فقال لهم : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[2] .

---

(١) عطنه :حيلته ومشربه ، انظر المعجم الوسيط ، مادة : « عطن » ، كلمة (العطن) .

(٢) أعلام الموقعين ١٥٨/٤ ،١٥٩ .

إجابته السائل بأهم مما سأله عنه وأنفع في موضوع السؤال

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « إن رجلا سأل النبي ﷺ : متى الساعة يارسول الله ؟ قال : ماأعددت لها ؟ قال : ماأعددت لها من كثير صلاة ولاصوم ولاصدقة ، ولكني أحب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت » (١) .

المعنى الإجمالي :

بين النبي ﷺ في هذا الحديث منزلة محبة الله ورسوله ، وأنها من أعظم مايعده المرء ليوم القيامة وقيام الساعة .

الدراسة :

لفت الرسول ﷺ ، انتباه السائل إلى أمر أهم ، من سؤاله « متى الساعة ؟ » ، حيث إن الجواب عنه غير متعين وغير معلوم إجابته ، وهو وقت الساعة ، فلفته إلى ماهو أهم فيما يتعلق بموضوع السؤال ، وهو الإعداد للساعة ، وماذا قدم بين يديها ، فقال : «ماأعددت لها». فما أعظمه من رسول وأفضله من معلم ، لم يترك السائل ولم يجبه بالنفي ، ثم سكت ، بل انتقل إلى مرحلة أعلى وأكبر ، فعلمه ماهو أهم ، ونبهه إلى ماهو أولى السؤال عنه ، وهو أن يقدم بين يديها عملاً مقبولاً عند الله ينجيه يوم القيامة ، وهي تربية من معلم قدوة للمتعلمين أن يسألوه عن الذي ينفع في أمر دينهم .

قال الكرماني : سلك مع السائل أسلوب الحكيم ، وهو تلقي السائل بغير مايطلب ، مما يهمه أو هو أهم (٢) .

وقال ابن القيم : يجوز للمفتي أن يعدل عن جواب المستفتي عما سأله عنه إلى ماهو أنفع له منه ، ولاسيما إذا تضمن ذلك بيان ماسأل عنه ، وذلك من كمال علم المفتي وفقهه ، ونصحه (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٧١) ، كتاب الأدب ، باب علامة الحب في الله .

(٢) فتح الباري ١٠/ ٥٦٠ .

(٣) أعلام الموقعين ٤ /١٥٨ .

اختلاف الإجابات باختلاف الأحوال والأشخاص

ورد في السنة كثير من الإجابات المختلفة لسؤال واحد كان يسأل عنه النبي ﷺ ، وتكرر هذا الأمر في أكثر من سؤال ، فتارة كان يسأل عن أفضل الأعمال ، وأخرى عن أي الإسلام خير ؟ وتارة أخرى كان يُطلب منه الوصية ، كما في قول أحدهم : « أوصني » ، فكانت الإجابات والوصايا تختلف ، فما هو سبب هذا الإختلاف ؟!

وسنجيب عن هذا السؤال بعد ذكر بعض الأمثلة على ذلك إن شاء الله ، ونذكر بعض أقوال العلماء على مثل هذا الاختلاف .

الأحاديث :

« أي الأعمال أفضل ؟ »

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سُئل رسول الله ﷺ :أيُّ الأعمال أفضل؟فقال: « إيمان بالله ورسوله » ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » (١) .

٢- عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قلت : يارسول الله ، أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله » قال : قلت : أيُّ الرقاب أفضل ؟ قال : « أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمناً » ، قال : قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : « تعين صانعاً » ،أو تصنع لأخرق ، قال : قلت : يارسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : « تكف شرك عن الناس ، فإنها صدقة منك على نفسك » (٢) .

٣- عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله ﷺ ، أيُّ العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة لوقتها » ، قال : قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : « بر الوالدين » قال : قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » ، فما تركت أستزيده إلا إرعاء (٣) عليه (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦) كتاب الإيمان ، باب من قال إن الإيمان هو العمل ، ومسلم برقم (٨٣) كتاب الإيمان ، باب الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥١٨) كتاب العتق ، باب أي الرقاب أفضل ، ومسلم برقم (٨٤) كتاب الإيمان ، باب الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، واللفظ له .

(٣) أي عدم إحراجه وانتقاص حرمته ، انظر المفهم (٢٧٩/١) .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧٥٣٤) كتاب التوحيد ، باب وسمّى النبي ﷺ الصلاة عملاً ، ومسلم برقم (٨٥) كتاب الإيمان ، باب الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، واللفظ له .

«أي الإسلام خير ؟ » :

١- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . أن رجلاً سأل النبي ﷺ أيُّ الإسلام خير؟ قال :«تُطعم الطعام ، وتَقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » [١]، وفي أخرى : أيُّ المسلمين خير ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » [٢] .

٢- عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال : « يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال لايزال لسانك رطباً من ذكر الله » [٣] .

٣- عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : «قلت يارسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً ، لاأسأل عنه أحداً بعدك » ، وفي حديث أبي : «غيرك » ، فقال : «قل آمنت بالله فاستقم » [٤] .

وفي رواية : « قلت يارسول الله حدثني بأمر اعتصم به ، قال : قل ربي الله ثم استقم ، قلت : يارسول الله ماأخوف ماتخاف علي ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : هذا » [٥] .

أحاديث أوصني :

١- عن أبي ذر رضي الله عنه قال :« قلت يارسول الله ، أوصني ، قال : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » [٦] .

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني ، قال : لاتغضب ، فردد مراراً ، قال : لاتغضب » [٧] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢) كتاب الإيمان ، باب إطعام الطعام من الإسلام ، ومسلم برقم (٣٩) كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٠) ، كتاب الإيمان ، باب خير المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده .

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٥) كتاب الدعاء ، باب ماجاء في فضل الذكر وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٨٧) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٨) ، كتاب الإيمان ، باب قل آمنت بالله فاستقم .

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٠) ، كتاب الزهد ، باب حفظ اللسان ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٩٦٥) .

(٦) أخرجه أحمد ١٥٨/٥ ، وفي الموسوعة برقم (٢١٤٠٣) ، وقال : حسن لغيره .

(٧) أخرجه البخاري برقم (٦١١٦) ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب .

ومثل ذلك حديث : « ففيهما فجاهد » :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد ، فقال : « أحيٌّ والداك ؟ » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » [1] .

وغير ذلك من الأحاديث ، ولكن نكتفي بما تقدم ، ففيه يتضح المراد .

الدراسة :

١- الناظر في الأحاديث السابقة يجد أن هناك اختلافاً في إجابة الرسول ﷺ عن سؤال واحد أو قريب منه ، وهذا يدل على أن هناك اختلافاً في الطرف الثاني ، غير طرف المسئول ، ألا وهو السائل ؛ فالنبي ﷺ كان يخاطبه ويسأله كثير من الناس ، على مختلف مشاربهم وأفهامهم ، وفي أوقات مختلفة ، وأحوال متباينة ، وكان ﷺ من أعرف الناس بالناس ، وأكثرهم فراسة فيهم ، فكان يجيب كل أحد بما يحتاجه ، ويفهمه بما يناسب الحال والزمان والأحوال .

وقد ذكر العلماء كلاماً طويلاً في سبب تعدد أجوبة النبي ﷺ ، وأنه قد يستشكل الجمع بينها ، فنذكر شيئاً مما ورد عنهم يفيد في الباب .. وبالله التوفيق .

قال النووي :

أما معاني الأحاديث وفقهها قد يثقل الجمع بينها مع ماجاء في معناها من حيث أنه جعل في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الأفضل ، الإيمان بالله ثم الجهاد ، ثم الحج ، وفي حديث أبي ذر ، الإيمان والجهاد ، وفي حديث ابن مسعود الصلاة ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد ، وتقدم في حديث عبد الله بن عمرو ؛ « أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام ، وتقرأ السلام ، على من عرفت » ومن لم تعرف وفي حديث أبي موسى وعبد الله بن عمر « وأي من المسلمين خير ؟ قال من سلم المسلمون من لسانه ويده» ، وصح في حديث عثمان ؛«خيركم من تعلم القرآن

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٤) كتاب الجهاد ، باب الجهاد بإذن الوالدين ، ومسلم برقم (٢٥٤٩) كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين . .

وعلمه » ، وأمثال هذا في الصحيح كثيرة ، واختلف العلماء في الجمع بينهما ، فذكر الإمام الجليل أبو عبد الله الحليمي الشافعي ، عن شيخه الإمام العلامة المتقن أبي بكر القفال الشاش الكبير .. قال الحليمى : « وكان القفال أعلم من لقيته من علماء عصره ، أنه جمع بينهما بوجهين أحدهما ، إن ذلك اختلاف جواب ، جرى على حساب اختلاف الأحوال ، والأشخاص ، فإنه قد يقال خير الأشياء ، كذا ولايراد به خير . جمع الأشياء من جميع الوجوه وفي جميع الأحوال والأشخاص بل في حال دون حال أو نحو ذلك ، واستشهد في ذلك بأخبار منها عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : «حجة لمن لم يحج ، أفضل من أربعين غزوة ، وغزوة لمن حج أفضل من أربعين حجة » .

الوجه الثاني : أنه يجوز أن يكون المراد من أفضل الأعمال كذا ، أو من خيرها أو من خيركم ، من فعل كذا فحذفت « من » وهي مرادة كما يقال فلان أعقل الناس ، وأفضلهم ، ويراد أنه من أعقلهم ، وأفضلهم ، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ ، خيركم خيركم لأهله ، ومعلوم أنه لايصير بذلك ، خير الناس مطلقاً ... [1] إلى آخر كلامه رحمه الله .

قلت : والذي يظهر ، والله أعلم ، إمكان حصول الأمرين ، إلا أن الأول أكثر الأحوال والأشخاص ، ومن ذلك حديث « لاتغضب » ، وبر الوالدين مقدم على الجهاد ، لأنه لو كان الجهاد متعيناً في تلك الفترة ، ماقال له النبي ﷺ ذلك ، فعلم أن هناك من يقوم بواجب الجهاد ، فأخبره بما هو أصلح له وأنفع وأكثر أجراً . ونقل النووي عن القاضي عياض في الجمع بينهما وجهين يتبين من خلالهما ماقصدنا ، قال القاضي عياض : «قيل اختلف الجواب لاختلاف الأحوال فأعلم كل قوم بما بهم حاجة إليه ، أو بما لم يكملوه بعد من دعائم الإسلام ولابلغهم علمه ، والثاني : أنه قدم الجهاد على الحج لأنه كان أول الإسلام ومحاربة أعدائه والجد في إظهاره » . [2] .

---

(١) ، (٢) النووى شرح مسلم (٢٥٨/٢ ، ٢٥٩) .

ومن هنا يظهر أن الأحوال تختلف ، فقد يكون الوقت وقت جهاد فيقدم ، وقد يكون فيه كفاية فيوجه السائل إلى ماهو أنفع وأصلح له .

وقال ابن حجر في شرحه لحديث « لاتغضب » : وقال غيره : لعل السائل كان غضوباً ، وكان النبي ﷺ يأمر كل أحد بما هو أولى به، فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب [1] .

وقال القرطبي :« لأنه إنما اختلفت أجوبته لاختلاف أحوال السائلين ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان يجيب كل سائل بالأفضل في حقه ، وبالتأكد في حقه ، فمن كان متأهلاً للجهاد وراغباً فيه كان الجهاد في حقه أفضل من الصلاة وغيرها ، وقد يكون هذا الصالح للجهاد له أبوان يحتاجان إلى قيامه عليهما ، ولو تركهما لضاعا ، فيكون بر الوالدين في حقه أفضل من الجهاد ، كما قد استأذن رجل النبي ﷺ في الجهاد فقال :«أحي والداك » قال : نعم ، فقال :«ففيهما فجاهد» ، وهكذا سائر الأعمال ، وقد يكون الجهاد في بعض الأوقات أفضل من سائر الأعمال ، وذلك في وقت استيلاء العدو وغلبته على المسلمين ، كحال هذا الزمان ، فلا يخفى على من له أدنى بصيرة أن الجهاد اليوم أو كد الواجبات ، وأفضل الأعمال ، لما أصاب المسلمين من قهر الأعداء ، وكثرة الاستيلاء شرقاً وغرباً ، جبر الله صدعنا ، وجدد نصرنا .

الحاصل من هذا البحث أن تلك الأفضلية تختلف بحسب الأشخاص والأحوال ، ولابُعد في ذلك [2] .

ومما يؤيد ذلك أيضاً قول ابن حجر ، حيث قال :« ومحصل ماأجاب به العلماء عن هذا الحديث - الصلاة لوقتها ... - وغيره مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه ، أو بما لهم فيه رغبة ، أو

(١) الفتح ١٠ / ٥٢٠ .

(٢) المفهم ١ /٢٧٥ .

بما هو لائق بهم .أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره ، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكن { من } أدائها ، وقد تضافرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة ، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل » [١] .ثم ذكر الوجه الآخر .... إلى آخر ماقال .

ومن خلال ماسبق يتبين أن هناك مراعاة من قبل النبي ﷺ للأحوال واختلاف السائلين ، فكانت إجابته عليه السلام بحسب مايصلح لكل أحد منهم ، حسب الزمان والحال ومايعلم عن السائل وصفاته .

وهنا يأتي دور المربي ، والمعلم والمبلغ ، حين يسأل ، أو أراد أن يبلغ ويعلم شيئاً ، أن يعلم حال السائل ، والمتعلم ، ويجيبه حسب مايصلح له ، فإنه ليست كل إجابة ، تصلح لكل أحد ، ولا الأحوال ، والظروف المحيطة ، والزمان هي واحدة عند كل سائل ، وهذا والله نباهة المعلم ، وفطنته حين يعطي كل أحد مسألته ، ومايناسبه في شرع الله بلا تكلف ولاحيف وحَيْدة عن الحق كما كان يفعل عليه السلام وعلى آله وصحبه أتم التسليم ،

٢- المشاهد من بعض تلك الأحاديث المذكورة ، أن النبي ﷺ ، يجيب إجابة عامة وبقاعدة عامة ، تصلح أن تكون لكل أحد ، ويستطيع السائل وغيره ، أن يطبقها على جميع الأحوال التي تناسب السؤال ، فقد أوتي ﷺ ، جوامع الكلم ، وفي حديث :« قل آمنت بالله فاستقم » ، قال النووي : قال القاضي عياض رحمه الله :« هذا من جوامع كلمه ﷺ ، وهو مطابق لقوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ أي وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد، والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك» [٢] .

---

(١) الفتح ٢ /٩ .

(٢) النووي شرح مسلم ٩/٢ .

المبحث الثالث

سؤاله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم وطلبه الإجابة عنه

كان ﷺ كثيراً مايستخدم هذه الطريقة في تبليغه الدين وتعليمه للصحابة ، حيث كان يتحين الفرص لمثل هذا حتى يسألهم ، فتارة ليختبر علمهم وفطنتهم ، وأخرى ليثير انتباههم وعقولهم ، وتارة أخرى كان يمهد لهم مايريد أن يوصله لهم من العلم والدين ، ومرة أخرى كان يريد أن ينقل مفهوماً لديهم إلى مفهوم آخر له معنى آخر ، وغير ذلك كثير ، وهذا في الحقيقة تنويع وتجديد في أسلوب التبليغ والتعليم وخروج عن المألوف والقوالب الجامدة غير الجذابة ، وهذه الطريقة تعين على أمور منها :

١- الاستعداد الجيد لتلقي العلم وفهمه والتهيؤ له .

٢- رسوخه وحفظه ، حيث جاء بمثل هذه الطرق ، مما يسهل على العقل حفظه بسرعة وعدم نسيانه .

٣- إثارة المنافسة بين المتعلمين ، وهذا مفيد في تعلمهم السريع وتوقد أذهانهم وتنشيط بعضهم البعض .

وأما من أمثلة أحاديث المبحث فهي كمايلي :

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس ، إذ أُتِي بِجُمَّار نخلة ، فقال النبي ﷺ : إنّ من الشجر لما بركته كبركة المسلم ، فظننت أنه يعني النخلة ، فإذا أنا عاشر عشرةٍ أنا أحدثهم ، فسكت . فقال النبي ﷺ : هي النخلة » [(١)] .

وفي رواية أخرى :

« أخبروني بشجرة مَثَلُها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ولاتَحتُّ ورقها ، فوقع في نفسي النخلة ، فكرهت أن أتكلم وثمَّ أبو بكر وعمر . فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ : هي

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٤٤٤) ، كتاب الأطعمة ، باب أكل الجمار ، ومسلم برقم (٢٨١١) ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب المؤمن مثل النخلة .

النخلة . فلما خرجت مع أبي قلت : ياأبتاه ، وقع في نفسي النخلة . قال : مامنعك أن تقولها ؟ لو كنت قلتها كان أحبَّ إليَّ من كذا وكذا . قال : مامنعني إلا أني لم أرك ولاأبابكر تكلمتما ، فكرهت » [١] .

الغريب :

جمار : الجمار هو شحم النخل ، وقلبها [٢] .

المعنى الإجمالي :

يعقد الرسول ﷺ ، مشابهة بين المسلم في نفعه المتعدي ، والنخلة في منافعها للناس ، فالمسلم كثير النفع للناس في عمل الخير ، والدعوة وحسن المعاملة والأخلاق الكريمة ، كالنخلة في كثرة منافعها ، حيث يستفاد من ثمرها وجمارها وورقها وسيقانها وظلها وغير ذلك .

الدراسة :

١- استغلاله ﷺ للموقف لغرض تعليمي حين أوتي بالجمار فوقع في نفسه سؤاله عليه السلام لأصحابه عن النخلة وتشبيهها بالمؤمن ، ثم قام بطرح السؤال عليهم .

٢- كان طرحه ﷺ للسؤال في هذه المسألة غير مباشر ، حيث قدم مقدمة ، حَفَّز فيها العقول وأثار الانتباه ، ثم قام بطرح السؤال ، وهذا فيه تجديد في الطرح ، وأن لايكتفي المعلم بالأسلوب التقليدي في طرح السؤال المباشر وإن كان لاغنى عنه ، ولكن التجديد مطلوب إذا سنحت الفرصة لذلك .

٣- هذا النوع من الإثارة للعقول والأفهام قبل طرح المسألة ، أدعى إلى ترسيخ العلم وحفظه ، حين تلقيه ، وفيه أيضاً تسهيل على المتعلم في محاولته التوصل إلى الإجابة ، فكانت غايته ﷺ ، حصول الفائدة والعلم ، وليس التعنت والتحجز ، وهذا ظاهر في تفصيله للشيء المراد السؤال عنه ، وكذلك يجب أن يكون الداعية والمربى ، والمعلم حين يطرح المسائل

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٤٤) ، كتاب الآدب ، باب إكرام الكبير ، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال .

(٢) الصحاح للجوهري مادة «جمر» ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة : « جمر » .

، أن يجعل هدفه إيصال العلم دون مشقة على المتعلم أو محاولة إغلاق جميع المنافذ التي قد توصل إلى الإجابة ، فالغرض في النهاية هو إيصال العلم وإدراك الفهم للمسألة .

٤ - عرض النبي ﷺ موقفه التعليمي ، بوضوح ويسر بمقدمة يسيرة واضحة ، وأعقبه بسؤال عنها دون تعقيد .

٥- عدم استعجاله لهم في الإجابة ، حيث أعطاهم الفرصة كاملة ، حتى وقعوا في شجر من شجر البوادي ، إلى أن سكتوا ، فطلبوا منه عليه السلام أن يحدثهم ماهي ، وهذا لعمري قمة حسن التعليم ، حيث إن ذلك يوصل المتعلم إلى أعلى درجات التشويق ، لمعرفة الجواب ، وكذلك منتهى الاتقاد الذهني ، الذي مايلبث أن يسمع الجواب فيسجله ، وينسخه ، كالنقش على الحجر .

والمعلم المقتدى به ، يجب أن يعطي الفرصة للمتعلمين ، ولايعجل عليهم فيخبرهم بالجواب ، ولما تصل عقولهم وأذهانهم إلى الدرجة المطلوبة من الانتباه ، والتحفز ، لتلقي العلم في مثل هذه المسألة المطروحة من خلال السؤال ؛ والملاحظ أن من المعلمين من يكل ويمل من سماع الإجابات المختلفة عن سؤالهم ، فيسارع إلى الإجابة ، دون إعطاء الفرصة كاملة ، وللموقف التعليمي تمامه ، وبذلك يُنقص كمال الموقف التعليمي .

٦- حرصه ﷺ ، على حصول الفائدة لأصحابه ، دون محاولة تعجيزهم وإقفال الأبواب أمامهم في محاولتهم للإجابة ، وهذا يظهر حين أوتى بالجمار ، وهو من مكونات النخلة وينتفع به سأل سؤاله ﷺ ، وهذا بمثابة التقريب لهم ، للإجابة عن تلك الشجرة ، وهي النخله ، قال ابن حجر :« وفيه إشارة إلى أن المُلْغَز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال ، وأن المُلْغِز ينبغي له أن لايبالغ في التعمية بحيث لايجعل للملغز بابا يدخل منه ، بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه » [(١)] .

(١) الفتح ١ /١٤٦ .

فالتعمية والمبالغة في ذلك وعدم التقريب في الإجابة وفتح الأبواب للمتعلم ، حتى يتوصل إلى الإجابة الصحيحة ، هو أسلوب غير سليم ، جانب الصواب ، وضده أولى وأتم ، حيث يكون التشويق والانتباه أشد ، وعدم يأس المجيب ، حيث لديه ماينطلق من خلاله ويساعده على البحث عن الإجابة الصحيحة ، وهكذا فعل ﷺ من جهتين ، الأولى أنه سأل السؤال ، حين أوتى بجمار ، والثانية حين بدأ يفصل في وصف تلك الشجرة ، وفوائدها ، وهذا لعمري مايجب أن يفعل المعلم في تعليمه للناس ، ويكون غرضه حصول العلم ، لاتعجيز المتعلمين ، ويظهر بمظهر الذي لايجاب له عن سؤال ، وأن هذا يرفع من قدره عندهم ، وهو بخلاف ذلك ، فليكن إمام المعلمين ﷺ قدوته .

٧- دقة النبي ﷺ في طرحه للسؤال ، وموافقته الإجابة للسؤال في دقته ، حيث سأل الرسول عن الشجرة التي تشبه المسلم في كثرة منافعها ، فلما كان الجواب أنها النخلة ، وافقت هذه الإجابة السؤال من جهة شدة الشبه بين المسلم والنخلة في كثرة المنافع ، قال ابن حجر [(١)] :

« وبركة النخلة موجودة ، في جميع أجزائها ، مستمرة في جميع أحوالها ، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً ، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها ، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى ، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته » . وقال النووي [(٢)] :

« قال العلماء وشبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ، ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ووجوده على الدوام ، فإنه من حين يطلع ثمرها ، لايزال يؤكل منه حتى ييبس ، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة ، ومن خشبها وورقها وأغصانها فيستعمل جذوعاً ، وحطباً وعصيا ومخاصر وحصرا وحبالا وأواني ، وغير ذلك ، ثم آخر شيء منها نواها ، وينتفع به علفا للإبل ، ثم جمال

---

(١) المرجع السابق ١ /١٤٥ .

(٢) النووى ١٧ /١٥٤ .

نباتها وحسن هيئة ثمرها ، فهي منافع كلها خير وجمال ، كما أن المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ، ومكارم أخلاقه ، ويواظب على صلاته وصيامه وقراءته وذكره والصدقة والصلة وسائر الطاعات ، وغير ذلك ، فهذا هو الصحيح ، في وجه التشبيه » .

٢- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تدرون من المسلم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قال : تدرون من المؤمن ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال : من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه » [١] .

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ ، المعنى الحقيقي ، لكل من المسلم والمؤمن والمهاجر وذلك على هيئة قاعدة عامة ، يمكن الاكتفاء بها دون الحاجة إلى تفصيل .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (٦٩٢٥) ، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح .

الدراسة :

١- ابتدأ النبي ﷺ بالسؤال حين أراد إيصال معنى المسلم والمؤمن ، بقوله «تدرون» ، وهذا فيه لفت انتباه ، وإثارة للفكر ، للبحث عن الإجابة ، خاصة أن السؤال كان عن كلمة عامة متداولة ومعروفة ، مثل المسلم والمؤمن ، وهذا فيه مزيد إثارة واستغراب تجعل المتلقي يستعد للإجابة وحفظها .

والمراد من المعلم عموماً ، هو أن يثير السؤال بطريقة فيها إثارة ، إما في السؤال أو في المسؤول عنه .

٢- سؤال النبي ﷺ واضح ومختصر ، وسأل عن عظيم ، وهكذا ينبغي لمن يعلم أن يطرح الأسئلة بشكل واضح ومختصر فلا يثقل على المتعلم بعدم فهم السؤال .

٣- كذلك عند إجابته ﷺ عن السؤال ، حين لم يجب الصحابة عنه كان مختصراً واضحاً وعلى شكل قاعدة عامة ، يمكن الانطلاق منها إلى معاني كثيرة غير محصورة أو محدودة ، كما فعل النبي ﷺ في إجاباته عن معنى المسلم والمؤمن والمهاجر ، فمثلاً المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قال ابن حجر :« وخص اللسان بالذكر لأنه المعبر عما في النفس ، وهكذا اليد لأن أكثر الأفعال بها »(١).

٤- إن في أسلوب تعدد السؤال منه عليه السلام ، تدرج لشحذ الذهن ، وإعمال للفكر ، والارتقاء بمستوى الانتباه ، أكثر فأكثر ، وهو مافعله عليه الصلاة و السلام ، في سؤاله عن المسلم والمؤمن .

---

(١) الفتح ١/٥٤ .

٣- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال :« بينما أنا رديف النبي ﷺ ، ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل ، فقال : يا معاذ ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ ، قلت لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل تدري ما حق الله على عباده ، قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بن جبل . قلت : لبيك رسول الله وسعديك . فقال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق العباد على الله أن لا يعذبهم » (١)

الغريب :

آخرة الرحل : هي العود الذي يُجعل خلف الراكب يستند إليه .(٢)

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ حق الله على العباد ، وهو حق واجب ، وحق العباد على الله ، وهو حق تفضل من الله عز وجل على عباده بأن لا يعذبهم مالم يشركوا به .

الدراسة :

١- حين أراد النبي ﷺ إيصال هذا العلم إلى معاذ رضى الله عنه ، أراد قبل ذلك أن يلفت انتباهه إلى أهمية هذا الأمر المراد إيصاله ، فاستخدم ﷺ طريقة النداء المتكرر ، الذي يتخلله سكوت لفترة معينة ، ثم يأتي النداء مرة أخرى ، وهذه الطريقة تعطي السامع ، نوع استعداد ، وتلهف ، لما سيسمعه بعد هذا النداء المتكرر ، ويجعل في حسه وذهنه ، أن الأمر عظيم .وأن العلم الذي سيطرح هام وجاد ، ولذلك لابد من فهمه وضبطه، وحفظه، وقد نجحت هذه الطريقة مع معاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقد اهتم به أشد الاهتمام ، ولم ينسه ، مع أنه

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٦٧) ، كتاب اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل ، و مسلم برقم (٣٢) ، كتاب الإيمان ، باب من شهد أن لا إله إلا الله .. ، والترمذي برقم (٢٧٨١) ، أبواب الإيمان ، باب افتراق هذه الأمة .

(٢) الفتح ١١/٣٣٩ .

أخذ مدة طويلة لم يحدث به لأمر النبي ﷺ له حتى لا يتكل الناس ويدعوا العمل ، كما ورد ذلك في رواية أخرى .[1]

وهذه أحد الأساليب التي ينبغي للمعلمين والداعين أن يستخدموها ، حين الرغبة في التجديد ، وإذا كان الأمر المخبر عنه عظيم وهام ، مطلوب حفظه وفهمه .

قال ابن حجر في حديثه عن التكرار : « وهو لتأكيد الاهتمام بما يخبره به ويبالغ في تفهمه وضبطه »[2] .

٢- ترك النبي ﷺ. فاصلاً زمنياً بين قوله حق الله على العباد ، وبين حق العباد على الله ، وهذه فرصة لأن يرسخ العلم الأول في ذهن المتعلم ، ويفهمه ، ويحفظه ، ويردده في فكره ، ويقلب معانيه ، فيكون أثبت له ، ثم ذكر العلم الثاني ، وهو حق العباد على الله أن لا يعذبهم إن فعلوا الأول ، فيأتي بعد ذلك الربط بين العلم الأول والعلم الثاني فيحصل المراد ، وهو ترسيخ العلم وفهمه وضبطه .

وهذا يهدينا إلي أهمية تنويع أساليب إيصال المعلم للعلم ، ومن بين هذه الأساليب إيصاله بشكل مجزء ، وبهذا يعطي المتعلم وقتاً لفهم العلم ، أولاً بأول ، وأن لايرده عليه فيخل بالمراد ، وهو ضبط هذا العلم ، وفهمه .

٣- وفيه أن النبي ﷺ أراد أن يختبر ما عند معاذ بن جبل رضي الله عنه من العلم، وأن يحرك ذهنه للبحث عن الإجابة ، حتى إذا أخطأ صحح له عليه السلام خطأه ، وعلمه العلم

---

(١) انظر صحيح مسلم رقم (٣٢) .
(٢) الفتح ٣٣٩/١١ .

الصحيح ، قال ابن حجر : «واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ، ليختبر ماعنده ، ويبين له ما يشكل عليه منه »[1] .

وقال صاحب التيسير :« أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ، ليكون أوقع في النفس ، وأبلغ في فهم المتعلم ، فإن الإنسان إذا سئل عن مسألة لا يعلمها ثم أخبر بها بعد الامتحان بالسؤال عنها ، فإن ذلك أدعى لفهمها وحفظها ، وهذا من حسن إرشاده وتعلميه ﷺ »[2].

٤- عن أبي بن كعب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ يا أبا المنذر ، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال : ياأبا المنذر أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت :«الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم » قال : فضرب في صدري وقال والله ليهنك العلم أبا المنذر »[3]

المعنى الإجمالي :

أبان النبي ﷺ أعظم آية في القرآن، عن طريق سؤال عالم بالقرآن من الصحابة ، وهو أبيّ بن كعب رضي الله عنه .

الدراسة :

تبسط النبي ﷺمع المتعلم حين أراد أن يسأله ، فناداه بكنيته ، وهذا تلطف منه عليه السلام ، وفيه رفق بالمسؤول حين مناداته بأحسن أسمائه ، وهو أوقع في نفس المسؤول ، وأقرب إلى قلبه ، وعلى المعلم أن يتلطف مع من يعلم ، فيناديه باسمه أو كنيته حين يسأله ، ويعلمه فينعكس ذلك في انتباهه ورغبته في العلم وضبطه له .

٢- أعاد النبي ﷺ السؤال مرة أخرى على أبي بن كعب رضى الله عنه بعد اعتذاره عن

---

(١) الفتح ١١/٣٤٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص٦٥ .

(٣) أخرجه مسلم بوقم (٨١٠) ، كتاب صلاة المسافرين ، باب سورة الكهف وآية الكرسي .

(٤) عون المعبود ٤/٣٣٤ .

الإجابة بقوله : « الله ورسوله أعلم » وفي طرح السؤال مرة أخرى على المتعلم ، ولو اعتذر عن الإجابة فيه تشجيع وحث على الاجتهاد في الإجابة ، وهذا ما فهمه أبي بن كعب رضى الله عنه ، حيث أجاب بما لديه من العلم ولم يعتذر مرة أخرى ، وهذا أيضاً يعطي ثقة للمتعلم في نفسه ، وأنه لو أخطأ في الإجابة فإنما كان ذلك بعد اعتذار وإلحاح من السائل ، فلا تثريب عليه إذاً . والحقيقة أن هذا حسن تعليم من النبي ﷺ فقد أوحى بطريقته هذه لأبي أن أجب بما لديك من علم ولا تخف ، فإن أخطأت صححت لك الخطأ .

٣- لما أصاب أبي بن كعب رضي الله عنه الإجابة ، أثنى ﷺ عليه ، وضرب على صدره كناية عن سروره ورضاه بما سمع من إجابة أبي بن كعب ، وهذا دعاء له بالتوفيق ، قال ابن الملك [١] : « هذا دعاء له بتيسير العلم له ورسوخه . ومثل هذا الثناء ، يدفع الطالب إلى الحرص والاجتهاد ، بل والتثبيت على الحق .

٥- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« أتدرون ما المفلس ؟ « قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال « إن المفلس من أمتي ، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته ، قبل أن يُقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار »[٢]

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول ﷺ :

« ما تعدون الرقوب فيكم ؟ » قال : قلنا : الذي لا يولد له : قال : « ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئاً » .

---

(١) الفتح الرباني ١٨/٩٣ .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨١) ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، والترمذي برقم (٢٥٤٦) أبواب صفة القيامة - باب شأن الحساب .

قال : « فما تعدون الصُّرَعَةَ فيكم ؟» قال : قلنا الذي لا يصرعه الرجال . قال :« ليس بذلك ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب » . [1]

غريب الحديث :

الرقوب : الرجل والمرأة إذا لم يعشْ لهما ولد ، لأنه يرقب موته ويرصده خوفاً عليه .[2]

الصرعة : المبالغ في الصراع الذي لا يغلب . [3]

وقال النووي [4] : وأصله في كلام العرب الذي يصرع الناس كثيراً .

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ هنا علماً كان خافياً على الصحابة عن طريق السؤال والجواب ، وهو معنى آخر لأشياء لها معانٍ مشهورة ومعروفة لدى العرب ، عند السؤال عنها يكون الجواب المتبادر مباشرة هو ذلك المعنى المعروف ، فأراد النبي ﷺ أن يبين معنى آخر ليس من أمور الدنيا ولكن أمراً من أمور الآخرة ، وهو الذي لابد من معرفته وتعلمه والعمل بموجبه ، كما فعل في سؤاله عن المفلس والرقوب والصُّرعة وغيرها كثير في أحاديث أخرى .

الدراسة :

١- سأل النبي ﷺ ، الصحابة عن معنى المفلس ، والرقوب والصُّرعة ، وقد أضمر ﷺ معنى غير المعنى المعروف والمتبادر إلي الذهن من كلام العرب . ومنه نستفيد أن إمام المعلمين عليه السلام ، حين أراد إعلام الصحابة بالمعاني الحقيقية لتلك الأشياء سألهم عنها ابتداء ليختبر ما عندهم ، مما أثار استغرابهم أولاً ، إذ كيف يسأل عليه السلام عن أشياء معلومة ومشهورة في كلام العرب ، فلما كان جوابهم عنها حسب ما يعلمون ، كانت إجابته عليه السلام

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٠٨) ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، وأبو داود في سننه برقم (٤٧٧٩) ، كتاب الأدب ، باب من كظم غيظاً .

(٢) النهاية لابن الأثير مادة « رقيب » ، وانظر شرح مسلم للنووي ١٦/١٢٤ .

(٣) النهاية لابن الأثير مادة « صرع » .

(٤) شرح النووي ١٦/١٢٤ .

بالنفي ، مما أثار استغرابهم أكثر فأكثر ، وحان هنا إيصال المعنى المراد الذي أراده ﷺ حين حفزهم وأثار إستغرابهم ، فاستعدت أذهانهم وعقولهم لتلقي ما يقوله ﷺ ، وهذا من أقوى الأسباب في ترسيخ العلم المنقول وحفظه وفهمه . وهذا مطلوب من المعلمين والمربين أن يثيروا أذهان طلابهم بأسئلة حسب الأحوال، قبل أن يقذفوا بالعمل مباشرة ، فإنه أحرى بالحفظ والفهم.

٢- نقل النبي ﷺ معنى تلك الأشياء إلى معاني أخرى ، أوسع وأشمل ، لها علاقة بالآخرة والتي هي مآل المسلم ، فكان فهم المعاني المتعلقة بها أولى وأهم .

قال المباركفوري [١] :« والحاصل أنهم أجابوا بما عندهم من العلم بحسب عرف أهل الدنيا كما يدل قولهم «فينا » ، وغفلوا عن أمر الآخرة ، وكان عليهم أن يقولوا : الله ورسوله أعلم ، لأن المعنى الذي ذكروه كان واضحاً عنده ﷺ ، وعليه أقول إنه يجب على المعلمين والمربين أن يركزوا على معاني الأشياء الحقيقية المتعلقة بالآخرة ، والتي لها النفع المباشر لدى عامة الناس حين تعلمها وفهمها ، ولهم أن يستخدموا هذا الأسلوب الجديد المفيد الذي استخدمه عليه السلام في نقل المعاني المعروفة في الدنيا إلي معانيها في الآخرة وهذا نوع من الفهم العميق للمعلم وسعة الإدراك وسرعة البديهة ، حين ينقل معنى معروف في الدنيا إلى معنى غير معروف في الآخرة ، فيكون أوقع في النفس ، ولا بأس أن ننقل كلاماً لابن الأثير يفيد في هذا الباب ، ويعطي صورة لكيفية نقل النبي عليه السلام المعاني الدنيوية إلى معانيها الأخروية ، فيكون مثالاً للمعلمين والمربين حين يرغبون في استخدام هذا الأسلوب الرائع الرفيع مع من يعلمون ويربون .

قال ابن الأثير في معرض كلامه عن « الرقوب » : الرقوب في اللغة : الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد ، لأنه يرقب موته ويرصده خوفاً عليه ، فنقله النبي ﷺ إلى الذي لم يقدم من الولد شيئاً : أي يموت قبله ، تعريفاً أن الأجر والثواب لمن قدم شيئاً من الولد ، وأن

---

(١) تحفة الأحوذي ٧/٢٠١-١٠٣

الاعتداد به أكثر ، والنفع فيه أعظم ، وأن فقدهم وإن كان في الدنيا عظيماً فإن فقد الأجر والثواب على الصبر ، والتسليم للقضاء في الآخرة أعظم ، وأن ولد المسلم في الحقيقة من قدمه واحتسبه ، ومن لم يرزق ذلك فهو كالذي لا ولد له . ولم يقله إبطالاً لتفسيره اللغوي ، كما قال : إنما المحروب من حرب دينه ، ليس على أن من أخذ ماله غير محروب » أ.هـ [1]

ونقل المعاني من معانيها إلي معاني أوسع وأشمل خاصة من الدنيا إلى الآخرة من فصيح الكلام كما قال ابن الأثير في معرض كلامه عن الصرعة ، وهذا من الألفاظ التي نقلها عن وضعها اللغوي لضرب من التوسع والمجاز ، وهو من فصيح الكلام ، لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ ، وقد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها بحلمه ، وصرعها بثباته ، كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولايصرعونه » [2]

---

(١) النهاية لابن الأثير مادة « رقيب »

(٢) المصدر السابق مادة « صرع »

الفصل الثالث

ضرب الأمثال
وتقريب الصورة

الفصل الثالث

ضرب الأمثال وتقريب الصورة

إن ضرب الأمثال والتشبيه ، من أوسع أبواب التعليم والتبليغ التي استخدمها الرسول ﷺ ، والسنة مليئة بمثل هذه الأمثال ، وقد بلغ النبي ﷺ مرتبة عظيمة في دقة ضربه لها وحسن تصويره لما يريد أن يصوره ويقر به للصحابة رضي الله عنهم ، ولاغرو في ذلك ، وهل هو إلا وحي يوحى . وضرب الأمثال والتشبيه سمة من سمات الأسلوب البلاغي ، وقد أكثر الرسول ﷺ منها في أسلوب دعوته وتبليغه وتعليمه لما أنزله الله عز وجل عليه ، وهو بهذا يسير على نهج الأسلوب القرآني ، فقد ضرب الله الأمثال في القرآن كثيراً . وذلك للتفكر والتذكر كما في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) فالمثل به يتضح المعنى وتُقرّب الصورة وتتحرك العاطفة وتهفو إليه النفس ويتمتع به العقل ، وفيه إثارة للذهن وتقليب للفكر ، فهو يمثل البعيد حتى يصبح قريباً والغائب حاضراً ، أو غير المحسوس محسوساً وغير المرئي مرئياً ويجعل الأشياء المعنوية حسية ، وقد عقد ابن القيم رحمه الله فصلاً في الحديث عن ضرب الأمثال في السنة بعنوان :« ضرب الأمثال يوضح المعنى » ، قال فيه : «فهذه وأمثالها من الأمثال التي ضربها رسول الله ﷺ لتقريب المراد ، وتفهيم المعنى ، وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مُثل به ، فإنه قد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لايجحده أحد ولاينكره ، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً ، فالأمثال شواهد المعنى المراد ، ومزكية له ، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته» (٣) .

---

(١) الحشر : ٢١ .

(٢) ابراهيم : ٢٥ .

(٣) أعلام الموقعين ١ /٢٣٩ .

فانظر إلى قوله رحمه الله : « في الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لايجحده أحد ... » وهو المراد من ضرب الأمثال ، أن تنقاد هذه النفوس والعقول إلى الحق الذي جاء به ﷺ ، فهو عليه السلام يدرك هذا الأمر أكثر من أي أحد آخر ، فجاءت السنة بأحسن الأمثال وأوضحها وأدقها ، وأبلغها ، بحيث لاتجد النفس طالبة الحق والفطرة السليمة إلا الخضوع والتسليم لما جاء به الحق .

والمثل هو كل ماعقد مقارنة بين شيئين ، يتشابهان من وجوه ، يعطي أحدهما معنى ينتقل إلى آخر ، فيكون مثيله من حيث الدرجة والمنزلة ، إما شرفاً أو انحطاطاً أو يصوره بشيء سهل مفهوم فَيُفهم الآخر ويُتَصور ، ويمكن للمثل أن يكون شيئاً معنوياً ، أو محسوساً ، وكذلك أن يكون على شكل قصة ، أو صفة وغير ذلك . قال المباركفوري : «وقال البيضاوي في تفسيره : أكثر الله تعالى في كتبه الأمثال ، وفشت في كلام الأنبياء والحكماء ، والمثل في الأصل بمعنى النظير ، يقال مِثل ومَثَل ومثيل كشبيه وشبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائد الممثل المثل مضربه بمورده ولاضرب إلا مافيه غرابة ، ولذلك حوفظ عليه من التغيير ، ثم استعير لكل حال ، أو قصة ، أو صفة لها شأن وفيها غرابة كقوله تعالى :﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ ﴾ [1] أ.هـ .

وقد ذكرنا آنفاً أن الرسول ﷺ أكثر من التمثيل والتشبيه في تبليغه الدين وتعليمه الناس وذلك بصور شتى ومواضيع كثيرة ، فهو يصور لنا المؤمن والكافر والبر والفاجر وأهل الخير والإيمان وأهل الشر والعصيان ، الصادق والمنافق ، ويصور الجنة وأهلها ، والنار وأهلها ، وقارئ القرآن والزاهد فيه ، والبخيل الشحيح ، والمنفق في سبيل الله ، أجل الأمة وأجل اليهود والنصارى مع الفارق في المحصلة والجهد ، ويصور تواد المسلمين وأخوتهم مع بعضهم ، كذلك

(١) تحفة الأحوذي ١٥٢/٨ .

كان ﷺ يأخذ المثال والتشبيه للإقناع في الأمور الغريبة فتصبح عكس ذلك مثل صاحب الغلام الأسود ، ويصور الجليس الصالح والجليس السيء ، والعامل بحدود الله والمخالف لها ، ويصور الأجور للعبادات والأخلاق ، وغير ذلك كثير من أنواع المعاملات والأفعال كما سيأتي معنا شيء منها بإذن الله عز وجل .

مثل الهدى وقبول الناس له :

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماءً ولاتنبت كلأً . فذلك مثل من فقه في دين اللّه ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به » قال أبو عبد الله : قال إسحق : وكان منها طائفة قيّلت الماء قاع يعلوه الماء ، والصَّفصف المستَّوى من الأرض » (١) .

غريب الحديث :

أجادب : الأجادب : صِلاَب الأرض التي تمسك الماء فلاتشربه سريعاً . وقيل هي الأرض التي لانبات بها ، مأخوذ من الجدب ، وهو القحط (٢) .

قيعان : المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض ، يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري : برقم (٧٩) ، كتاب العلم ، « باب فضل من علم وعلم » ، ومسلم برقم (٢٢٨٢) ، كتاب الفضائل ، باب : بيان مثل مابعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة « حدب » .

(٣) المصدر السابق ، مادة « قيع » .

قيّلت : شربَت ، والقيل شرب نصف النهار ، ويقال قيلت الإبل أي شربت في القائلة [(١)]

وقيل : جمع قاع وهو الأرض المستوية الملساء التي لاتنبت [(٢)] .

المعنى الإجمالي :

ضرب الرسول ﷺ مثلاً للهدى الذي جاء به بأنه مثل الغيث ، وأن الناس ثلاثة أصناف في استقبالهم لهذا الغيث ، الذي هو الهدى فذكرهم ، فالأول وهم أحسنهم قبلوا هذا الهدى وانتفعوا به ونفعوا الناس به ، والثاني هم من أدى العلم لغيره دون أن ينتفع به النفع المطلوب والأخير هم من لم يقبل ولم ينتفع بالعلم والهدى وهم الأخسرون .

الدراسة :

هذا من أروع ماضرب رسول الله ﷺ المثال به ، حيث صور شيئاً غير محسوس بشيء محسوس مفهوم لدى كل أحد ، وهو يحدث دائماً أمام الناس ، وله معاني خاصة عندهم ، مثل المطر وهو الغيث الذي يتمناه الناس ، والأرض الجيدة النقية والقيعان وغير ذلك ، فكلها أمور محسوسة ولها معاني مخصوصة شبّه ﷺ بها أموراً غير محسوسة ونتائجها غير محسوسة فكانت بعد التمثيل والتشبيه البديع أموراً محسوسة مفهومة أدت الغرض وحصل التعليم وبلغ الدين ، فصلاة الله وسلامه عليه .

ثم انظر إلى بديع التشبيه ودقته وتوافقه مع المشبه به من وجوه عدة . فالمطر غيث يغاث به الناس ، وهو كثير وخير وبركه ، وبه تكون الحياة ولاغنى للناس عن الماء ، وهو عام للناس ليس بخاص لفئة بعينها إذا نزل بقوم ، فكذلك الدين والهدى به تحيا قلوب القوم وتعم البركات والخيرات ، وهو خير كله ، وهو للناس كافه غير مخصوص لفئة معينه لمن قبل الحق وانقاد له.

ثم التشبيه البديع لأصناف الناس الذين يستقبلون هذا الهدى بأصناف الأرض المختلفة التي تستقبل هذا الغيث ، فمنها :

---

(١) الفتح ١ / ١٧٧

(٢) المصدر السابق ١ / ١٧٧

الأول : الأرض النقية الجيدة التي تستقبل الغيث فتنبت من كل شيء فيستفيد منه الناس والدواب ، وكذلك من أخذ من هذا الهدى والدين أخذ بحظ وافر فَعَلِم وعمل وعَلَّم الناس فكان له بذلك الأجر العظيم والدرجات العلى يوم القيامة .

الثاني : وهناك الأرض التي تمسك المطر والماء ولاتنبت ، فاستفاد الناس والدواب منه دون أن تستفيد هي ، وهو صنف أقل من الأول ، فنفعت ولم تنتفع ، فكذلك من أخذ بهذا الدين والعلم فبلغه لغيره ولم يعمل به أو لم يفقهه ، فكان له بذلك أجر كما قال ﷺ : « نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع »[1] .

الثالث : القسم الأخير وهو القيعان التي لاتمسك الماء ولاتنبت ، فكذلك الذي لايهتم بالدين والعلم فلا يأخذ منه شيئاً فلا يعمل ولايُعلم الناس فيكون خسر الدنيا والآخرة .

هذه ثلاثة أصناف من الناس اختلفت درجاتهم في تلقي الهدى والدين والعلم من النبي ﷺ ، كما اختلفت أنواع الأرض كما بين ﷺ ، وبهذا يتضح للناس الأفضل والمفضول والقبيح فيبقى الخيار له من أي أصناف الناس يريد أن يكون .

ونذكر هنا كلام النووي إتماماً للفائدة ،وقال بمعناه آخرون مثل ابن حجر والقرطبي وغيرهم.

قال النووي :« أما معاني الحديث ومقصوده فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس ، فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتاً ، وينبت الكلأ فتنتفع بها الناس والدواب والزرع وغيرها ، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع . والنوع الثاني من الأرض مالاتقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة ، وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب ، وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ولارسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام ، وليس عندهم اجتهاد في

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٥٨) كتاب العلم ، باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢١٤٠) ، وأبو داود برقم (٣٦٦٠) ، كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣١٠٨) .

الطاعة والعمل به ، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهل للنفع والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به ، فهؤلاء نفعوا بمابلغهم . والنوع الثالث من الأرض السباخ التي لاتنبت ونحوها ، فهي لاتنتفع بالماء ولاتمسكه لينتفع بها غيرها وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولاأفهام واعية فإذا سمعوا العلم لاينتفعون به ولايحفظونه لنفع غيرهم ، والله أعلم » (١) .

ويستفاد من هذا الحديث مايلي :

أولاً : استخدام النبي ﷺ ضرب المثل في التعليم وتبليغ الناس الدين ، وهو من أحسن الطرق فيها وأكثرها تشويقاً وإثارة ، وعلى المعلم والمربي أن يستخدم المثل في تعليمه وتبليغه لهذا الدين ، فإن فيه نفعاً كبيراً على ماذكرنا آنفاً ، قال النووي : « وفي هذا الحديث أنواع من العلم منها ضرب الأمثال » (٢) .

وقال الرامهرمزي : «وهذا مثل للنبي ﷺ في إبلاغه عن الله عز وجل ودعائه إلى سبيله وأنه بعث رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم» (٣) .

ثانياً : دقة ضرب النبي ﷺ المثل وموافقته لما أراد أن يصفه به ، وهذا أمر مهم في طريقة التبليغ والتعليم ، فإنه كلما كان المثل أقرب للواقع كان أثره أقوى وفي النفس أوقع ، فيكون به الانقياد والتصديق ، يقول الملا على القاري : «ثم لايخفى مافي التشبيه من اللطافه حيث جعل العلم الحاصل بسبب الوحي مشبهاً بالماء النازل من السماء ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام ، من حيث إنه قاسم وواسطة في إيصال الفيض من الحق إلى الخلق مشبه بالسحاب العام لجميع العالم ، وقلوب العباد مشبهة بالأراضي المختلفة ، فالأول من تشبيه المعقول بالمحسوس وغيره من قبيل المحسوس بمثله .. والأودية مَثَلٌ للقلوب يريد : ينزل القرآن فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل» (٤) . فعلى من تصدى للتعليم والتبليغ أن

---

(١) ، (٢) النووي شرح مسلم (٤٧٧/٥) .

(٣) أمثال الحديث للرامهرمزى ص ٣٨ .

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٨٥/١ ، ٣٨٦ .

يجتهد في اختيار مايضرب به المثل عند استشهاده على شيء من الدين بحيث يكون موافقاً لما يضرب به المثل ، وإلا فإن الغاية والهدف من ضرب المثال تأتي بأمر عكسي غير مطلوب ، فقد يشتبه الأمر أو يكون الإقبال عليه ضعيفاً حيث لم يلامس قلب المتعلم وعقله وتفكيره أو أن المثال بعيد عن الواقع والتصور للمتعلم فيكون بلا فائدة ومن مثل هذا فليحترز منه .

ثالثاً : عند اختيار المثل حبذا أن يكون مما يشاهده الناس ويعرفونه ، وبأشياء يستخدمونها ويعرفون فائدتها ، فإذا ماجيء بالمثل وتطابق مع مايعرفون ومايستخدمون كان أثره أقوى في نفوسهم وأثبت في أفهامهم وتأثيره أكبر في قبولهم وانقيادهم . فهذا النبي ﷺ استخدم أشياء يعرفها كل أحد ، وهي من المشاهدات في حياة الناس ، مثل : المطر ، الأرض النقيه ، والكلأ ، والأرض الصلبة التي تحفظ الماء ، وورود الناس عليها ، والدواب والقيعان التي لاتحتفظ بالماء فلا يطلب الناس الماء فيها بعد المطر ، وهذا وغيرها مما استخدمه ﷺ في المثل معروفة عند الناس وغير مستغربة ، فكانت أوقع في النفوس ، وعلى المعلم والمبلغ عن الله ورسوله أن يجتهد في ذلك .

مثل الإسلام والقائم على حدوده المستجيب لكتاب الله والإيمان :

عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «ضرب اللّه مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داعٍ يقول ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولاتنفرجوا ، وداعٍ يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لاتفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، والصراط الإسلام ، والسوران حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل ، والداعي فوق الصراط واعظ اللّه في قلب كل مسلم »[1] .

(١) أخرجه أحمد / الفتح الرباني برقم (٢٨) ، كتاب الإيمان والإسلام باب في شعب الإيمان ومَثَلُه ، بسند جيد ، وأخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٨٥٩) ، كتاب الأمثال ، باب ماجاء في مثل الله لعباده ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٢٩٥) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٢٤٥) ، وقال صحيح على شرط مسلم ، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

غريب الحديث :

ويحك : كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لايستحقها ، وقد يقال بمعنى المدح والتعجب [1] .

حدود : الحد المقدار والتناهي الممنوع من تجاوزه ، أأصل الحد المنع [2] .

المعنى الإجمالي :

يصور النبي ﷺ لنا الصراط المستقيم ، ومايبنغي أن نكون من الحق ، ويحذرنا في نفس الوقت من الحيدة والانحراف عن هذا الصراط المستقيم ، وذلك بتعدي حدود الله ، والوقوع في محارمه ، فيكون المآل إلى خسران والحال إلى بوار ، وبين أن هناك أبواباً وطرقاً إذا ولجها الإنسان قرب من الحرام فوقع فيه .

قال في الفتح الرباني : « السوران حدود الله »، أي الحاجز بين الحلال والحرام ، و« محارم الله »، أي ماحرمه الله تعالى ونهى عنه ، فإذا مال الإنسان عن هذا الصراط المستقيم وفتح باب الحاجز زَيّن له الشيطان حب الشهوات ، فيدخل فيه فيهلك ، نعوذ بالله من ذلك . « وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل » أي الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث» [3] .

وقال الرامهرمزي :« وهذا مثل في وضوح الحق وظهور معالم الإسلام لمن أراد قصدها وعدل عن طريق الشُبه والرِّيَبِ مفارقاً لها » [4] .

---

(١) الفتح الرباني ١ /٨٣

(٢) أمثال الحديث للرامهرمزي ص ١٤-١٥ .

(٣) الفتح الرباني ٨٣/١ .

(٤) أمثال الحديث ص ١٥ .

الدراسة :

استطاع النبي ﷺ أن يصور للصحابة وهم جلوس معه مايجب على المسلم أن يسلك ، وهو الصراط المستقيم في حياته ، من تكليفه وتمييزه إلى مماته ، وحذره من أمور قد تحرفه وتبعده عن هذا الصراط الذي يجب أن يكون عليه ولايحيد عنه ، واستعمل ﷺ أشياء توافق المراد منه التمثيل به ، وهي محسوسة عندهم ، فالصراط المستقيم هو إيحاء بالاستقامة ، وعدم الاعوجاج ، وهو ماينبغي أن يكون عليه المسلم في حياته ، والسوران ، وهما الجدران ، حوافز وحدود لايتجاوزها الإنسان ، وهي ممدوده ومنيعة إعمالاً في خطورة تجاوزها ، وهي حدود الله التي ينبغي أن يقف عندها الإنسان ، كما يقف عند الجدار فلا يقتحمه . وهذه الأبواب أو الثغرات الموجود فيها الجدار ، يستطيع الإنسان أن يلج منها في هذا الجدار ، وإن كان عليها ستور وتعني أنها مغلقة لاينبغي الولوج منها ، وأنها هي محارم الله ، من دخل من هذه الأبواب انتهك حرمات الله ، ولذلك نهى أن يفتحها ، لأن بفتحها قد يفتن الإنسان ، ويزين له الشيطان الشهوات فيقع فيها فيهلك ، والعياذ بالله .

إذن الصراط المستقيم ، والسور الذي يكون منيعاً ممتداً ، والباب الذي يكون الدخول منه هي أشياء محسوسة نقل النبي عليه السلام معاني غير محسوسة إليها ليقرب الصورة ويعطي السامع تصوراً واضحاً وكاملاً عن هذه الأمور .

ويمكن أن نلتمس بعض الأمور من خلال مامضى :

الأول : دقة التصوير عند النبي ﷺ واستخدامه لأشياء توافق مراده من التصوير .

الثاني :بلاغة النبي ﷺ ، حيث جمع هذا المعنى العظيم الضخم ، وهو سلوك الإنسان في هذه الحياة ، ومايتجاذبه من أمور ، وماينبغي أن يكون عليه من الاستقامة ، في صورة مبسطة يفهمها الصغير قبل الكبير ، وتعطي تصوراً شاملاً واضحاً لهذا المعنى ، وهذا يساعد على رسوخ المعنى في الذهن ، لأنه على شكل صورة كاملة ومبسطة .

الثالث : نقل النبي ﷺ معنى إلى معنى آخر حيث جعل القرآن وواعظ القلب يتكلمان ويدعوانه ليستجيب لهم ، وهذا فيه فطنة ظاهرة ، حيث كأنه يقول إن مافي القرآن يدعوكم فعليكم الإجابة ، وفيه إثارة للإيمان ، إذ كأنه يستجيش إيمان المسلم ، ويقول إنه يدعوك ، حتى لاتقع في محارم الله .

ولذلك ينبغي على كل معلم ومربٍّ أن يبحث عن الدقة في التمثيل ، وأن يوجد الصورة المبسطة ، غير المعقدة لتحفظ ويكون أثرها ماثلاً دائماً أمام المتعلم ، وأن يحاول استجاشة الإيمان والعاطفة القلبية ، ويوظفها في تليين قلب المتلقي والمتعلم ، فيقبل وينقاد .

مَثَل النبي ﷺ والناس ، هو يصدهم ويمنعهم عن النار وهم يقتحمون فيها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

«إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ماحوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزَعُهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بِحُجَزِكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها » (١) .

غريب الحديث :

يزعهن : يقال : وزعه يزعه وزعا فهو وازع ، إذا كفه ومنعه ، الوزعة : جمع وازع ، وهو الذي يكف الناس ويحبس أولهم على آخرهم (٢) .

بِحُجَزِكم : أصل الحجزة : موضع شد الإزار ، ثم قيل للإزار حجزة للمجاورة واحتجز الرجل بالإزار إذا شده على وسطه (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٣) ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي ، و أخرجه مسلم برقم (٢٢٨٤) ، كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته ...

(٢) النهاية في غريب الحديث مادة : «وزع» .

(٣) المصدر السابق مادة : « حجز » .

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ للمسلمين في هذا الحديث عمله معهم ودعوته لهم وغايته منها ، وهو صدهم عن النار ، وإدخالهم الجنة ، ولكن من الناس من لايقبل ، فتجده يصر على المعاصي ويقتحم في النار جهلاً منه بذلك ، قال الرامهرمزي : يقول - النبي ﷺ - أحذركموها .وأصدكم عنها وأرغبكم في الجنة ونعيمها ، وأنتم في غفلة ساهون لاتشعرون ، كما يقتحم الفراش النار ، وهو لايشعر لميلكم إلى الدنيا وزهرتها ، وإيثاركم لها على ثواب الله تعالى وماعنده الذي هو خير وأبقى ، فهذه موعظة لبعض من أجابوا الدعوة ، ويحتمل أن يكون وعيداً لمشركي قريش [١] .

ويقول ابن القيم : فليتأمل العارف قدر هذا المثل ، وليتدبره حق تدبره ، ويزن به نفسه ، وينظر أين هو منه [٢] .

الدراسة :

شبه النبي ﷺ دعوته إلى الله وصد الناس عن النار ، بصد الرجل الفراش عن النار وهي تقع فيها ، وشبه وقوع الفراش فيها لجهلها ، بوقوع الناس في المعاصي ، وميلهم إلى الدنيا وزينتها وإيثارهم الدنيا على الآخرة .

قال الطيبي : تحقيق التشبيه الواقع في هذا الحديث ، يتوقف على معرفة معنى قوله تعالى : (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) ، وذلك أن حدود الله محارمه ونواهيه ، كما في الحديث الصحيح « ألا إن حمى الله محارمه » ، ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها واستيفاء لذتها وشهواتها ، فشبه ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستنقاذ الرجال من النار ، وشبه فشو ذلك في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ماحول المستوقد ، وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف ، وتعديهم حدود الله حرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حجزهم بالفراش التي تقتحمن في النار وتغلبن المستوقد على دفعهن عن الاقتحام ، كما أن المستوقد كان غرضه من

---

(١) أمثال الحديث ص ٣٦

(٢) أعلام الموقعين ١/ ٢٢٣ .

فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستيفاء وغير ذلك ، والفراش لجهلها جعلته سبباً لهلاكها ، فكذلك كان القصد بتلك البيانات ، اهتداء الأمة واجتنابها ماهو سبب هلاكهم وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم [١] .

ويمكننا استنباط عدة أمور من هذا الحديث ، منها :

أولاً : إيجاز النبي ﷺ فقد طرح مثل هذا التشبيه بأوجز عبارة وأحسن تصوير . يقول الرامهرمزي : وهذا تمثيل من أوجز الكلام وأبلغه وأشده اختصاراً [٢] .

ثانياً : محاكاته ﷺ للأشياء في التشبيه بما يقابله في الطرف الآخر ، مثل تشبيه نار الدنيا ووقوع الفراش فيها بنار الآخرة ووقوع الناس فيها ، والعياذ بالله . قال القاضي عياض : شبه تساقط أهل المعاصي في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا [٣] .وهذا فيه فطنة وحسن اختيار في التشبيه ، وهو المراد من المعلم حين يريد إيصال العلم بالمثل أن يحسن الاختيار وأن يستخدم أقرب شيء لما يريد التمثيل به فإنه أجدى في تحقيق مراده .

ثالثاً :إن استعارة النبي ﷺ أحسن استعارة وأجملها وأدقها ، فتجده مثلاً استعار في قوله « آخذ بحجزكم » وهو الموضع الذي يقبض ويمسك من الرجل حين صده وهو يريد الاقتحام بصد الناس عن النار بدعوته ﷺ ، قال ابن حجر « آخذ بحجزكم» استعارة مثل حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل آخذ بحجزة صاحبه الذي يكاد يهوى في مهواة مهلكة » [٤] .

وتأمل كلمة « يقتحمن» وهي من سرعة دخول الفراش إلى النار كناية عن سرعة وقوة دخول الناس العصاة المنساقين خلف الدنيا وبهرجها ضاربين بالدين وأحكامه عرض الحائط . قال ابن حجر : وحاصله أنه شبه تهافت أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سبباً في الوقوع في النار بتهافت الفراش بالوقوع في النار إتباعاً لشهواتها ، وشبه ذبه العصاة عن المعاصي بما حذرهم به وأنذرهم بذب صاحب النار الفراش عنها [٥] .

---

(١) فتح الباري ٣١٩/١١.
(٢) أمثال الحديث للرامهرمزي ص ٣٥
(٣) فتح الباري ٣١٨/١١-٣١٩ .
(٤) المرجع السابق ٣١٩/١١ .
(٥) المرجع السابق ٣١٨/١١ ، وانظر : النووي شرح مسلم ١٥ / ٥٠ .

مثل أجر الأمة وأجر ما قبلها من الأمم :-

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أوتي أهل التوراة ، فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا ، فأعطوا قيراطاً ، ثم أوتي أهل الإنجيل فعملوا إلي صلاة العصر ثم عجزوا ، فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس ، فأعطينا قيراطين قيراطين . فقال أهل الكتابين ، أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً، ونحن كنا أكثر عملاً ، قال :قال الله عز وجل : «هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا . قال : فهو فضلي أوتيه من أشاء » [١]

غريب الحديث :

القيراط : من الوزن ، وهو نصف دانق ... ، وأما القيراط الذي في حديث ابن عمر وأبي هريرة في تشييع الجنازة ، فقد جاء تفسيره فيه أنه مثل جبل أحد . [٢]

المعنى الإجمالي :

يبين النبي ﷺ فضل الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم التي سبقتها من جهة الأجر وأنه ﷺ بين أن وقت عملهم أقل وأجرهم أكثر وهو فضل الله يؤتيه من يشاء دون ظلم لأحد .

قال المباركفوري :« ففي الحديث دليل على أن الثواب للأعمال ليس على قدر التعب ، ولا على جهة الاستحقاق ، لأن العبد لا يستحق على مولاه لخدمته أجرة، بل المولى يعطيه من فضله، وله أن يتفضل على من يشاء من العبيد على وجه المزيد ، فإنه يفعل ما يشاء ويحكم مايريد [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٥٧) كتاب المواقيت باب ، من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ، والترمذي برقم (٣٠٣٥) أبواب الأمثال ، باب :ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٢٠٦).

(٢) لسان العرب مادة :« قرط » .

(٣) تحفة الأحوذي ١٧٧/٨ .

الدراسة :

شبه النبي ﷺ زمن حياة الأمم بزمن اليوم الواحد إلى غروب الشمس ، وقسمه بين أهل الكتابين وأمته ﷺ ، وبين أن كلاً منهم يعمل ويأخذ أجره ، وأن الأمة الإسلامية عملت آخر النهار وأخذت أكثر الأجر .

فاستعارة النبي ﷺ زمن اليوم الواحد وتمثيله بزمن الأمم ، ثم تقسيمه هذا اليوم بين الأمم وكان عمل الأمة الإسلامية من صلاة العصر إلي غروب الشمس . فيه تشبيه بديع وتقريب للصورة والعلم المراد إيصاله ، وهو فضل الأمة الإسلامية على سائر الأمم ، وفضل الله ورحمته على هذه الأمم .وذلك في صورة محصورة وظاهرة محسوسة يعرفها الجميع ، فالناس يعرفون مقدار الأيام وما بين الصلوات ، ويمايزون بينها ، فاختار النبي ﷺ هذا التشبيه القريب من أذهان الناس وشبه بهم أزمان الأمم . ثم شبه أيضاً عمل الأجير الذي يعمل ثم يترك العمل وينال أجر عمله الذي لم يكمله ، والأجير الذي يكمل آخر العمل ثم ينال أكثر من الذي قبله وهي حال الأمة الإسلامية مع الأمم السابقة ،حيث كانت آخرهم وأخذت أكثر من أجرهم تفضلاً من الله عز وجل ، فتصور حال ذلك الأجير الذي يأتي ليكمل عملاً بدأ به غيره من أول النهار وجاء هو في آخره من صلاة العصر إلى غروب الشمس وهو بكامل نشاطه وهمته ولم يبق من النهار إلا قليل فأنهى ذلك العمل وحصل على أجر النهار كله ، وهذا هو حال الأمة الإسلامية حين عملت آخر الأمم قبل قيام الساعة ، فنالت أجراً مضاعفاً عن الأمم الأخرى السابقة .

ونأخذ من هذا التشبيه أموراً :

أولاً : استعارة النبي ﷺ للوقت المعروف عند الناس في النهار وتقسيماته ما بين الصلوات وقابله بمثيل له من حيث الزمن ، ولكن يقاس بحياة الأمم . فالمشبه قريب من المشبه به وبينهم قاسم مشترك وهو الزمن .

كذلك استعارة أجر الأجير وعمله مع أجر الأمم ومقدار عملها ، وكل هذا يساعد على التصور الصحيح والسريع للسامع والمتعلم ، فعلى المعلم أن يقابل في التمثيل المشبه بالمشبه به بشيء قريب ومن نفس النوع والجنس .

ثانياً : سهولة إيصال المعنى والصورة التي قدمها ﷺ في التمثيل وذلك لدقة التشبيه وللإيجاز في تصوير المثل ، وحين يكون المثل دقيقاً وموجزاً فإن المراد يصل بأحسن صورة وأسرع ما يكون ، فعلى المعلمين والداعين الانتباه لذلك .

ضرب المثل للمؤمن والمؤمنين :

١- عن أبي رزين قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيباً ولا تضع إلا طيباً » [(١)]

المعنى الإجمالي :

يمثل الرسول ﷺ المؤمن بالنحلة ، غذاؤها طيب ، فهي تنتقي أحسن الغذاء وتقع على أحسن الأزهار ذات العطر الطيب الشذي المفضل عندها ، فإذا بها تحوله بإذن الله إلى عسل مصفى ، حلو المذاق طيب الطعم فيه شفاء للناس ، قال تعالى :﴿ وأوحى ربك إلي النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾[(١)] فالنحلة طيبة في كل أحوالها وحياتها ، فكذلك المؤمن مثلها فكل أحواله طيبة ولا يعمل إلا طيباً ، ولا يبدر منه إلا

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٤٧)، ذكر تمثيل المصطفى ﷺ المومن بالنحلة في أكل الطيب ووضع الطيب .وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم ٢٥٣ ، ١٤٧/١ ، وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٥٥)، وساق طرقه ، وقال الحديث حسن أو صحيح .

(٢) النحل : ٦٨، ٦٩ .

طيب ولا يقع إلا على أطايب الكلام ، ومحاسن الأخلاق ، ويترك مساوئها ، ويعمل كل عمل صالح ، وفيه خير ويترك سيئها وشرها ، وكما أن الفائدة فيما تضع النحلة من العسل الذي فيه شفاء وطعام وحلاوة فكذلك المؤمن لا يقول إلا خيراً فهو يدعو الناس ، ويعلم الناس ، ويبشر الناس بدين الله ، ويذكر الله على سائر أحواله ، فهو طيب في كل أحواله ، وهو ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن الحقيقي .

قال الرامهرمزي : هذا مثل للمؤمن في صحة عقده وعهده وسره وعلانيته وسائر أحواله. والمؤمن في حالة منشطه ومكرهه وعسره ويسره على بينة من ربه ويقين من أمره لا ينقصه الاختبار ولا يزيله عن إيمانه ويقينه تفرق الأحوال . والنحلة كريمة تتغذى بألطف الغذاء وأشرف ما يغتذي به ذو حياة ، وتمج العسل وهو أطيب طعام وأعذبه . وإليه المثل في الحلاوة التي هي أعجب الطعوم مذاقاً وأفضلها مأكولاً ومشروباً وأوقعها من النفوس مواقع الغاية . (١)

٢- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع : من حيث أتته الريح كفأتها ، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء . والفاجر كالأرزة صماء معتدلة ، حتى يقصمها الله إذا شاء » (٢)

وفي بعض روايات البخاري .... « ومثل المنافق » وفي بعض روايات مسلم « ومثل الكافر » ..« ومثل المنافق » .

---

(١) أنظر أمثال الحديث للرامهرمزي ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٣)، (٥٦٤٤) ، كتاب المرضى ، باب : ما جاء في كفارة المرض ، و برقم (٧٤٦٦) كتاب التوحيد باب : في المشيئة والإرادة ، وأخرجه مسلم برقم (٢٨٠٩)، (٢٨١٠) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : المؤمن كالزرع والمنافق كالأرزة .

غريب الحديث [1] :

الخامة : هي الطاقة الطرية اللينة أو الغضة أو القضبة . قال الخليل : الخامة : الزرع أول ما ينبت على ساق واحد .

كفأتها : أمالتها .

الأرزة : وهي الشجرة الثابتة في الأرض .

صماء : صلبة شديدة بلا تجويف .

المعنى الإجمالي :

يضرب الله مثلاً للمؤمن أنه مثل الساق اللين من النبت الجديد يميل مع الرياح ويعتدل مرة أخرى ويبتليه الله عز وجل فيصيب منه ، وهو ميلان الساق ، ثم يعود مرة أخرى إلى مكانه ، وهكذا ، أما الفاجر فإنه لا يصيبه البلاء إلا قليلاً ، أو إذا أصابه لا يذكر الله ولا يصبر حتى يأتي أخذ ربك الشديد له . قال المهلب : معنى الحديث أن المؤمن حيث جاءه أمر الله انطاع له ، فإن وقع له خير فرح به وشكر ، وإن وقع له مكروه صبر ورجا فيه الخير والأجر ، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكراً .والكافر لا يتفقده الله باختياره ، بل يحصل له التيسير في الدنيا ليتعسر عليه الحال في المعاد ، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه فيكون موته أشد عذاباً عليه ، وأكثر ألماً في خروج نفسه [2]. وقال النووي : قال العلماء : معنى الحديث أن المؤمن كثير الآلام في بدنه أو أهله ، أو ماله وذلك مكفر لسيئاته ، ورافع لدرجاته . وأما الكافر فقليلها وإن وقع به شيء لم يكفر شيئاً من سيئاته ، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة . [3]

---

(١) فتح الباري ١٠/١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) المصدر السابق ١٠/١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) مسلم بشرح النووي ١٧/١٥٣ .

٣- عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال :

« مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح فيها . ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن ، كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن ، كمثل الحنظلة طعمها مر ، ولا ريح لها »(١)

وفي رواية مسلم « مثل المؤمن ..... ، ومثل المنافق .... » .

المعنى الإجمالي :

ضرب النبي ﷺ هنا مثلاً بالمؤمن الذي يقرأ القرآن بنوع فاكهة تجمع الطعم الطيب والريح الطيب ، وهي الأترجة ، والذي لا يقرأ القرآن مثَّل له بثمرة لها الطعم الحلو ، ولا ريح لها وهي التمرة . وأما الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة تجمع بين طيب الرائحة ومر الطعم . والذي لا يقرأ مثَّل له بالطعم المر ولا رائحة له وهو الحنظلة .

ومن خلال ذلك يتبين منزلة من جمع الإيمان والقرآن ، ومن فقد الاثنين أو جاء بأحدهما ولم يأت بالآخر، إما الإيمان أو قراءة القرآن ، وأراد ﷺ أن يبين فضل الإيمان والقرآن .

قال ابن حجر : قيل خص صفة الإيمان بالطعم ، وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن ، إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة ، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح ، فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه .

---

(١) البخاري برقم (٥٠٢٠) ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل القرآن على سائر الكلام ورقم (٥٠٥٩) ، كتاب فضائل القرآن باب : إثم من راءى بقراءة القرآن أو ... ، (٥٤٢٧) كتاب فضائل الأطعمة باب : ذكر الطعام ، ٧٥٦٠ كتاب التوحيد باب : قراءة الفاجر والمنافق ، مسلم برقم (٧٩٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضيلة حافظ القرآن .

٤- عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١)

وفي رواية « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » (٢)

وفي رواية « المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » (٣)

٥- عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (٤)

المعنى الإجمالي :

يصور لنا ﷺ حقيقة العلاقة بين المؤمنين بعضهم ببعض في المودة والرحمة والعطف فيما بينهم ، وأنهم كشيء واحد يتأثر بعضه ببعضه الآخر ، وهو الجسد حين يشتكي منه عضو تتأثر الأعضاء الأخرى ، ويخرج هذه الأثر على شكل حمى وسهر .

وفي الحديث الآخر يبين صفات أخرى ، وهي ترابطهم فيما بينهم ، وأنهم كالبنيان إذا اجتمع أصبح بنياناً قوياً متماسكاً ، فالمؤمنون يقوي بعضهم بعضاً .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ، كتاب الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم « بلفظ : ترى المؤمنين ... » ، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦)، كتاب البر والصلة ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، واللفظ له .

(٢) ، (٣) أخرجها مسلم (٢٥٨٦) ، كتاب البر والصلة ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦) ، كتاب الأدب ، باب : تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً « وزاد : ثم شبك بين أصابعه » ، وأخرجه مسلم برقم (٢٥٨٥)، كتاب الأدب ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

الدراسة :

لهذه الأحاديث جميعها قاسم مشترك ، وهو الحديث عن المؤمن والمؤمنين وبعض أحوالهم ، والمقارنة بينهم وبين غيرهم من المنافقين أو الكافرين . وقد رأيت جمعها لأجل اشتراكها في ذلك ، ولأن الدراسة حول هذه الأحاديث متفرقة يلزم منه التكرار، فآثرت الحديث عنها مجتمعة بغية الاختصار واجتماع الفائدة ، والتي منها في موضوعنا ما يلي :

١- استخدام النبي ﷺ ضرب الأمثال لغرض إيصال العلم وتبليغ الدين ، وأنه من أحسن الطرق التي تعين على أداء هذه الأمانة العظيمة . قال النووي : وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال كتقريب المعاني إلى الأفهام [(١)] . وقال القاضي عياض : فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب الفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية [(٢)]. ومن هنا يتبين أهمية استخدام التشبيه وضرب المثل ، وأنه يقرب إلى الإفهام ، وأقرب إلى إبراز المعاني المراده .

٢- استعارة النبي ﷺ الصور المشبه بها من الحيوان والشجر والفاكهة والجسد والبنيان وغير ذلك ، واقتباس ما تحمله من صفات ، وتوظيفها التوظيف الأمثل لإيصال المعنى والعلم المراد إيصاله للسامع والمتعلم ، ومن هنا فللمعلم والمربي والداعي أن ينظر فيما حوله ، ويقتبس ما شاء منه بحيث يساعده في إيصال مايريد إيصاله ، وهذا يحتاج إلي فطنة وإدراك ، ومعرفة كبيرة وسعة خيال، لتكوين تلك الصور ، فتصبح مرئية عند المتعلم ، والسامع ، وكأنه يراها ، أو يحاكيها ، قد ارتسمت في فكره ومخيلته ، على ما يشاهد من الواقع الذي يتعامل معه في حياته الطبيعية ، كما عبر عنها الإمام النووي رحمه الله قبل قليل بقوله :« وإظهار المعاني في الصور المرئية » .

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٦ /١٠٨ .

(٢) فتح الباري ٤٣٩/١٠ .

٣- إن جودة التشبيه والتمثيل التي قام به ﷺ من خلال الأحاديث الماضية يعطي المثال قوة ومتعة وإثارة لدى السامع والمتعلم والمتلقي ، فصورة النحلة التي لا تأكل إلا طيباً ، ولا تقع إلا على الأزهار ، ولا تضع إلا عسلاً طيباً ، وهذه الأترجة التي طعمها طيب وريحها طيب ، وتشبيهها بالمؤمن القاريء للقرآن ، وصورة الجسد الذي تتداعى جميع أعضائه للسهر والحمى كما قال ابن حجر في قوله « كمثل الجسد » قال : «أي بالنسبة إلي جميع أعضائه ، ووجه التشبيه فيه التوافق في التعب والراحة» [(١)] . و« تداعى » قال :« أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في الألم» [(٢)] . وصورة الخامة اللينة التي تميل مع الرياح العاتية فلا تقتلعها ، ثم تعتدل مرة أخرى لتحيا وتكمل دورتها ، وتشبيه المؤمن بها حين يأتيه البلاء فينال منه ، ولكنه بإيمانه يصبر ويحتسب ، فيبقى قوياً لا يهتز إيمانه وعقيدته ، بل يخرج أكثر إيماناً وثقة بدينه على عكس المنافق ، والفاجر ، الذي يدخله الشك والسخط على ماقدر الله عليه فيكون وهناً على وهن ، يبوء بالخسران العظيم ، مثل الشجرة التي لا تميل مع الرياح ، فإذا جاءتها قوية سقطت واجتثت من الأرض ما لها من قرار .

٤- سهولة التمثيل لدى النبي ﷺ وذلك باستخدام أسهل العبارات وأوجزها وأكثرها معنى ، فانظر إلى قوله : « في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم » جمعت كل شيء يمكن أن يكون بين المؤمنين من العلاقات القلبية المعنوية ومالها من آثار في حياتهم العملية وعلاقاتهم اليومية والتمثيل « بالجسد » كجسد الأمة المؤمنة ، وكما قال القاضي عياض : « فتشبيه المؤمن بالجسد الواحد تمثيل صحيح »[(٣)] ، وكلمة « تداعى » فإن فيها صفة التنادي وطلب السرعة في الإجابة ، وقوله « مثل النحلة لا تأكل إلا طيباً ولا تضع إلا طيباً » وتشبيه المؤمن للمؤمن بالبنيان ، حيث إن البنيان لا يقوم إلا بشد أجزائه بعضها ببعض ، فكان اختيار البنيان

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٤٣٩ .
(٢) المرجع السابق ١٠/٤٣٩ .
(٣) المرجع السابق ١٠/٤٣٩ .

، وهي كلمة واحدة تفي بالغرض المراد إيصاله تماماً . فعلى من تصدى للتعليم والتربية والتبليغ أن يراعي ذلك .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُبَّتان من حديد من ثُديِّهما إلى تراقيهما . فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت - أو وفرت - على جلده حتى تخفي بنانه وتعفُوَ أثره . وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها ولا تتسع » (١)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان ... وزاد « وأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بإصبعه في جيبه - فلو رأيته يوسعها ولا توسعُ » وله أيضاً « كلما هم بصدقة قلصت » (٢)

غريب الحديث :

الترقوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والمنكب .(٣)

المعنى الإجمالي :

قال الخطابي و غيره :

وهذا مثل ضربه النبي ﷺ للبخيل والمتصدق ، فشبههما برجلين أراد كل واحد منهما أن يلبس درعاً يستتر به من سلاح عدوه فصبها على رأسه ليلبسها ، والدروع أول ما تقع على الصدر والثديين إلي أن يدخل الإنسان يديه في كميها ، فجعل المنفق كمن لبس درعاً سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه ، وهو معنى قوله : « حتي تعفو أثره » أي تستر جميع بدنه . وجعل البخيل كمثل رجل غُلت يداه إلى عنقه ، كلما أراد لبسها اجتمعت في عنقه

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٤٣)، كتاب الزكاة ، باب : مثل المتصدق والبخيل .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٢١)، كتاب الزكاة ، باب : مثل المنفق والبخيل .

(٣) جامع الأصول ٦٢٣/١١ .

فلزمت ترقوته ، وهو معنى قوله «قلصت» أي تضامت واجتمعت ، والمراد أن الجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه فتوسعت في الإنفاق ، والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه « ومن يـــوق شـح نفسه فأولئك هم المفلحون » (١)

الدراسة :

يمثل النبي ﷺ صورة للمنفق تدل على أثر إنفاقه على حاله ، وصورة للبخيل وشحه وامتناعه عن الصدقة وأثر الشح على حاله . وهو تصوير بليغ استخدم النبي ﷺ في التشبيه شيئاً يراه الناس دائماً ، وخاصة في الحرب ، وأكثرهم قد جربه وعرف كيف يُلْبس ، والمشقة التي قد تعترض من يلبسه من جراء تضام الحلق فيه ، ألا وهو الجبة من الحديد التي تتخذ درعاً للحرب ، فإنها تلبس من الأعلى فتغطي الصدر ثم يدخل يديه حتى يدخلها في أكمامها وما قد يعترض ذلك من عسر عند عدم استرسالها . فاستعارة النبي ﷺ الصورتين ، عند استرسالها وسهولة لبسها فتغطي جسده وعند ضيقها واجتماع حلقاتها فلا يستطيع إرسال يديه فتجتمع إلى ترقوتيه فلا يستطيع أن يغطي جسده بها فيكون عرضة للسهام والطعون . وهذا في الحقيقة فطنة من النبي ﷺ وسعة خيال وحسن تصوير . فكأن المنفق بفعله حمى نفسه وحفظها ، وأما البخيل فعرض نفسه للخطر ولم يحفظها . والمنفق استعد ليوم الحساب كما استعد لابس الدرع كاملة للحرب ، وأما البخيل فلم يستعد لحساب يوم القيامة كما لم يستعد من لم يلبس الدرع كاملة للحرب .

فما أروعه من تشبيه وأحسنه من طريق لإيصال ذلك المعنى المراد ، وهو أن المنفق ينفع نفسه قبل غيره ، وأما البخيل فإنه يخسر نفسه قبل غيره ، وإنما يعمل العاملون لأنفسهم لا تغيرهم في الحقيقة .

---

(١) فتح الباري ٣٠٦/٣ .

خلاصة الباب :

ويمكن أن نوجز هنا المستفاد مما سبق بنقاط محددة ، وفي الباب أمثلة كثيرة وردت في سنة المصطفى ﷺ ، ولولا خشية الإطالة لذكرنا جملاً من الصور البديعة والتشبيهات الرائعة المختلفة والعجيبة التي ذكرها المصطفى عليه السلام . وإليك الفوائد المستخلصة :

أولاً : إثبات أن النبي ﷺ استخدم التمثيل والتشبيه في التبليغ والتعليم وأنها أحد الطرق المتبعة عنده ﷺ .

ثانياً : بيان أهمية استخدام مثل هذه الطريقة في التبليغ والتعليم ، وأن لها مميزات مؤثرة في عملية التبليغ والتعليم وفي إيصال المراد إلي السامع والمتعلم .

ثالثاً : إن حسن اختيار المثال لضربه للسامع أوالمتعلم مهم جداً ، وكلما كان متوافقاً مع المراد كان أكثر تأثيراً وقبولاً .

رابعاً : جودة التمثيل والتشبيه وعرضه ، فقد يكون المثال جيداً ، ولكن طريقة عرضه وضربه للسامع غير جيدة ، وبالتالي يفقد كثيراً من بريقه وتأثيره .

خامساً : إيجاز الصورة عند التمثيل مطلوب ، حيث إنه يساعد في تثبيت الصورة ، وهو يعتمد على اختيار العبارات المستخدمة في التشبيه ، وكذلك اختيار المثال .

سادساً : يمكننا الإستعارة من صور الحياة الكثيرة التي تدور من حولنا ونشاهدها دائماً ، فإن هذا أقرب للفهم وأسرع في إيصال المراد .

سابعاً : استخدم النبي ﷺ كل شيء يمكن استخدامه لخدمة غرضه التعليمي والتبليغي ، مثل الحيوان ، والشجر ، والثمر بأنواعه ، والزمن ، والأدوات المختلفة الكثيرة .

الفصل الرابع
التوجيه المباشر

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أمر النبي عليه السلام المتلقي بالشيء المعين .

المبحث الثاني : إنكار النبي عليه السلام على المتلقي .

الفصل الرابع

التوجيه المباشر

التوجيه المباشر هو أحد الطرق التي كان يسستخدمها النبي ﷺ في تبليغه الدين وتعليمه الناس ، وذلك بأن يبادر بتعليم المتعلم وإرشاد السامع مباشرة ، إما بأمره بأمر معين اقتضاه الحال أو المقال ، وإما بالإنكار المباشر على المتعلم والمتلقي أيضاً ، إنكاراً اقتضاه الحال أو المقال ، وهو كثير في قوله وفعله ﷺ ، و يمكن أن نسمي هذه الطريقة التعليم المباشر للمتعلم بلا واسطة ولاتأخير في الزمان والمكان .

وهناك مواقف وأحداث في عهد النبي ﷺ لزم في حينها أن يبين عليه السلام فيها الصواب من الخطأ ، أو أن يبين الحكم الشرعي المطلوب فيها ، أو أن ينبه غافلاً أو جاهلاً ، أو أن يدل على الأفضل والأحسن وغير ذلك من الأسباب . وسنذكر بإذن الله أمثلة لذلك تفي بالغرض وتدل على المعنى الذي ذكرناه آنفاً ، وإلا فالسنة مليئة بذلك .

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

الأول : أمر النبي عليه السلام المتلقي بالشيء المعين .

الثاني : إنكار النبي عليه السلام على المتلقي .

المبحث الأول

أمر النبي عليه السلام المتلقي بالشيء

الحديث الأول :

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ أدرك شيخاً يمشي بين ابنيه يتوكأ عليهما ، فقال النبي ﷺ : « ماشأن هذا ؟ » .

قال ابناه : يارسول الله كان عليه نذر ، فقال النبي ﷺ : « اركب أيها الشيخ ، فإن اللّه غني عنك وعن نذرك » [١] .

وفي رواية البخاري عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ رأى شيخاً يهادي بين ابنيه قال : مابال هذا ؟ قالوا : نذر أن يمشي ، قال : إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني ، وأمره أن يركب » [٢] .

غريب الحديث :

يُهادي : بضم أوله من المهاداة ، وهو أن يمشي معتمداً على غيره [٣] .

يتوكأ : التوكؤ على العصا : التحامل عليها [٤] . فيكون المعنى يتحامل عليهما .

كان عليه نذر : النذر ، وأنْذُر نذراً ، إذا أوجبت على نفسك شيئاً تبرعاً ، من عبادة ، أو صدقة ، أو غير ذلك [٥] .

المعنى الإجمالي :

رأى النبي ﷺ رجلاً يتحامل على ابنيه فسأل : «ماشأن هذا ؟» فقال ابناه : كان عليه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٤٣) ، كتاب النذر ، باب : من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٦٥) ، كتاب جزاء الصيد ، باب : من نذر أن المشي إلى الكعبة .

(٣) فتح الباري ٩٧/٤ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : « حركأ » .

(٥) المصدر السابق مادة : « نذر » .

نذر أن يمشي إلى الكعبة ، فأمر النبي ﷺ الشيخ أن يركب ، وأخبره أن الله غني عن مثل هذا النذر ، وهو في هذه الحال من العجز والكبر .

الدراسة :

لما رأى النبي ﷺ ذلك الشيخ ، وماهو فيه من عجز وكبر ، وعلم أنه يمشي وفاءً لنذره أمره مباشرة أن يركب ويترك المشي ، وبين له أن الله غني عنه وعن نذره وهو في هذه الحالة ، فالنبي ﷺ هنا أبلغه وعلمه بطريقة مباشرة ، وفي الحال ، أن يفعل ماأمر به ، وصحح له فهمه بأن لاوفاء للنذر مع العجز والضرر .

الحديث الثاني :

عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : « مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر ، فقال : اتقي اللّه واصبري ، قالت : إليك عني ، فانك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك . فقال : إنما الصبرُ عند الصدمة الأولى » [١] .

المعنى الإجمالي :

امرأة تبكي عند قبر قد مات لها ميت ، فرآها النبي ﷺ فقال لها اتقي الله واصبري ، فلم ترتدع المرأة ، بل زجرته وهي في مصيبتها ، لم تعرفه ، فلما علمت به ذهبت لتعتذر بعدم معرفتها له ﷺ ، فقال عليه السلام : «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» ، قال النووي : معناه الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه ، وأصل الصدم : الضرب في شيء صلب ، ثم استعمل مجازاً في كل مكروه حصل بغتة [٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨٣) ، كتاب الجنائز ، باب : زيارة القبور ، مسلم برقم (٩٢٦) ، كتاب الجنائز ، باب : الصبر عند الصدمة الأولى .

(٢) مسلم بشرح النووي ٦/٢٢٧ .

الدراسة :

عندما رأى النبي ﷺ المرأة وهي تبكي عند القبر أمرها بتقوى الله والصبر، فقال لها مباشرة في نفس الوقت والمكان : « اتقي الله واصبري » ، قال النووي : فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [(١)] . وقال ابن حجر : «وفي هذا الحديث من الفوائد : ماكان فيه عليه الصلاة والسلام من ..... ، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » [(٢)] .فقد أمر النبي ﷺ بتوجيه مباشر منه بتقوى الله والصبر على المصيبة . ولم يقل إنها في مصيبة ولايصلح أمرها ﷺ بالمعروف ونهيها عن المنكر ، أو قال لعله يبين لها هذا فيما بعد بل أمرها مباشرة بما يقتضيه الحال وذلك برفق ولين وتواضع ، مع احتمال مايأتي من أذى وعدم قبول ، قال ابن حجر : «وفيه الترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ونشر الموعظة» .[(٣)] .

---

(١) مسلم بشرح النووي ٦/٢٢٧ .

(٢) فتح الباري ٣ / ١٥٠ .

(٣) المرجع السابق ٣ / ١٥٠ .

المبحث الثاني

انكار النبي ﷺ على المتلقي

الحديث الأول :

- عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسْد يقال له ابن اللّتَبية على صدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي لي ، فقام النبي ﷺ على المنبر - قال سفيان أيضاً : فصعد المنبر - فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : مابال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا لك وهذا لي ، فهلا جلس في بيت أبيه وأمِّه فينظر أيهدي له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لايأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرةً لها خُوار أو شاةً تيْعر - ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه -ألا هل بلغت ؟ ثلاثاً » [(١)]

غريب الحديث[(٢)] :

رغاء : صوت البعير .

خوار :صوت العجل .

تيْعر : صوت الشاة .

عفرتي ابطيه :العُفرة بضم المهملة وسكون الفاء بياض ليس بالناصع .

المعنى الإجمالي :

كلف الرسول ﷺ رجلاً ليجبي الزكاة من أهل البحرين ، فكان إذا جاءهم ليأخذ الزكاة أعطوه هدية من غير الزكاة ، فلما جاء إلى المدينة ليعطي النبي ﷺ ماجبى ، فإذا به يقول هذه

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٧٤) ، كتاب الأحكام ، باب : هدايا العمال ، وأخرجه مسلم برقم (١٨٣٢) ، كتاب الإمارة ، باب : تحريم هدايا العمال ، وأبو داود برقم (٢٩٤٦) ، كتاب الخراج والامارة والفئ ، باب في هدايا العمال .

(٢) فتح الباري ١٣/١٦٥ - ١٦٧ .

الصدقة وهذا أهدى لي ، فغضب النبي ﷺ ، وصعد المنبر وبين عدم جواز أخذ شيء مادام أنه مكلف من قبل النبي ﷺ ، وأن ماجاءه لم يكن ليأتيه لولا تكليفه بذلك العمل فهو غير مستحق له . وماأخذه فهو غلول والعياذ بالله .

الدراسة :

أنكر النبي ﷺ إنكاراً شديداً حتى أنه صعد المنبر وتكلم على الملأ وبين الحكم الشرعي في مثل هذه الحالة وأن هذا الأمر لايحتمل التأخير أو التنبيه والإنكار المنفرد أو على انفراد فالقضية أكبر من ذلك وتحتاج إلى بيان عام ، إذن النبي استخدم هذه الطريقة في الإنكار المباشر ، وعلى المنبر لأن الحال يقتضي ذلك ، وأن هذا خطأ في الفهم للتكليف والإنابة على عمل للمسلمين فيحصل له عن ذلك مالٌ فيستحله ، ويأخذه في ماله ، ولعمري مايفعله بعض الكفار في هذا الوقت من سن قوانين تمنع صاحب السلطة أيا كان موقعه من أن يتملك الهدايا التي تأتيه بحكم منصبه ، ويعتبرون ذلك من أملاك الدولة ، لاحق لصاحب المنصب فيه لأنه ماجاءه إلا بسبب هذا المنصب الذي جعله الناس فيه ، فأين المسلمون الآن من قول النبي ﷺ : « فهلا جلس في بيت أبيه وأمِّه فينظر أيهُدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لايأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته .... » .

وعموماً فالحديث فيه إنكار مباشر من النبي ﷺ وتحذير لعموم الناس من الوقوع في مثل ماوقع فيه هذا الرجل ، قال ابن حجر : « وفيه جواز توبيخ المخطئ » [(١)] . وهذا تبليغ منه ﷺ حيث قال في آخر هذا الحديث « ألا هل بلغت ؟ » ثلاثاً وهو في الوقت نفسه تعليم للناس ، حيث بين لهم سبب عدم أحقية الرجل في هذا المال ، ومثّل لهم بجلوسه في بيت أبيه وأمّه فهل سيأتيه المال ؟ فالإجابة بداهة : لا ، فبان الحكم هنا ، وتعلم الصحابة رضي الله عنهم ذلك .

---

(١) فتح الباري ١٣/١٦٧ .

الحديث الأول :

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيهما تماثيل ، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال : أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله .

قالت : فجعلناه وسادة أو وسادتين » [1] .

غريب الحديث :

قِرَام : هو ستر فيه رقم ونقش ، وقيل ثوب من صوف ملون يفرش في الهودج أو يغطى به [2] ، وقيل الستر الرقيق وراء الستر الغليظ ، ولذلك أصناف [3] .

سَهْوة : هي صفة من جانب البيت ، وقيل الكوة ، وقيل الرف [4] .

وقال آخرون : السهوة : بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً ، شبيه بالمخدع والخزانة . وقيل هو كالصفة تكون بين يدي البيت ، وقيل شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء [5] .

فيه تماثيل : جمع تمثال وهو الشيء المصور ، أعم من أن يكون شخصاً أو يكون نقشاً أو دهاناً أو نسجاً في ثوب [6] .

هتكه : أي نزعه [7] .

يضاهون : المضاهاة : المشابهة [8] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٤) ، كتاب اللباس ، باب : ماوطيء من التصاوير ، وأخرجه مسلم برقم (٢١٠٧) ، كتاب اللباس والزينه ، باب : تحريم تصوير صورة الحيوان .

(٢) فتح الباري ٣٨٧/١٠ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة :(قرم) .

(٤) فتح الباري ٣٨٧/١٠ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : (سها) .

(٦ ، ٧) فتح الباري ٣٨٧/١٠ .

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة :(ضها) .

المعنى الإجمالي :

سترت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها ناحية من الدار بستار رقيق فيه تصاوير منقوشة عليه ، فلما رآه النبي ﷺ غضب وهتكه ، وقال :« أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » فاستفادت منه رضي الله عنها فجعلت منه وسادة أو وسادتين .

الدراسة :

أنكر النبي ﷺ على أم المؤمنين وضعها الستر الذي فيه التماثيل وذلك بهتكه ونزعه من مكانه ، وهذا أعلى درجات الإنكار ، وذلك أنه أنكره بيده الشريفه عليه السلام ، ثم علمها سبب نزعه ، وإزالته للستر ، وأن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ، وكيف لاينزعه وهو في بيته وتحت ولايته ، وهذا في الحقيقة توجيه مباشر منه ﷺ لعائشة رضي الله عنها وتعليم منه لها الحكم الشرعي في ذلك بإنكاره ، وذلك بنزعه ثم بتعليمها سبب ذلك

الحديث الثالث :

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجتريء عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلم رسول الله ﷺ فقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال ياأيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايمُ اللّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[(١)] .

غريب الحديث :

يجترئ : الجرأة من الجراءة : الإقدام على الشيء[(٢)] .

حِبُّ : بمعنى محبوب[(٣)] .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٧٨٨) ، كتاب الحدود ،باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦٨٨) ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : « جرأ » .

(٣) فتح الباري ١٢/٨٨ .

أتشفع : الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم [١] .

المعنى الإجمالي :

أن امرأة مخزومية سرقت فجلبت الهم إلى قومها قريش لعلمهم حكم السرقة ، وهو قطع اليد، فأرادوا أحداً يشفع ، ويسأل النبي ﷺ ، وهو الذي لايرخص في الحدود أن يعفو عنها ، أو تفدى بذلك ولايستطيع ذلك إلا أسامة بن زيد رضي الله عنهما حب رسول الله ، وهو القائل فيه « اللهم إني أحبه فأحبه » [٢] .

فكلمه أسامة في ذلك فغضب وقال : أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام فخطب لِيُعلِّم الجميع ، ويبين إنكاره لهذه الشفاعة في حد من حدود الله ، وأن من كان قبلنا إنما ضلوا لما تركوا الشريف وأقاموا الحد على الضعيف ، ثم قال قولته المشهورة عليه السلام : وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ، وهي من هي عنده ﷺ .

الدراسة :

أنكر النبي ﷺ على أسامة حين جاءه يشفع في المرأة إنكاراً شديداً ومباشراً ، ويدل ذلك على قوله « أتشفع » ، وهو استفهام إنكاري [٣] . وفي رواية أخرى عند النسائي « فكلمه فزَبره » ، أي أغلظ له في النهي حتى نسبه إلى الجهل ، لأن الزَبْر هو العقل [٤] . وكذلك قال ابن الأثير : أي تنهره وتغلظ له في القول والرد [٥] . وقال ابن حجر : وفي الحديث الإنكار على من رخص فيه - الحد - أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه ، وفيه جواز ضرب المثل بالكبير القدر للمبالغة في الزجر عن الفعل [٦] . والمقصود بالاستدلال السابق أن الإنكار والزجر لأسامة رضي الله عنه حاصل في القصة ، وهذا دليل على أن النبي ﷺ وجَّه أسامة توجيهاً

---

(١) النهاية مادة : «شفع» .

(٢) صحيح البخاري ٣٧٣٥ .

(٣ ، ٤) فتح الباري ١٢/ ٩٣ ، ٩٤ .

(٥) النهاية مادة : « زبر » .

(٦) فتح الباري ١٢ /٩٦ .

مباشرا بالإنكار عليه أولاً ثم ثانياً بتعليمه والناس الحكم الشرعي في ذلك .

الحديث الرابع :

عن عبد الله بن عمرو قال :تخلف النبي ﷺ عنا في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقنا العصر ، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته « ويل للأعقاب من النار » مرتين أو ثلاثاً [1] .

غريب الحديث :

أرهقنا : الإرهاق الإدارك والغشيان [2] .

الأعقاب : جمع عقب ، وعقب القدم وعَقْبُها : مؤخرها [3] .

المعنى الإجمالي :

كان الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ في سفر فتخلف عليه السلام عنهم في المسير وقت صلاة العصر ، فأخروا الصلاة عن أول وقتها طمعاً أن يدركهم ﷺ فيصلوا معه ، فلما أدركهم الوقت وغشيهم وقت العصر بادروا إلى الوضوء على عجل حتى يدركوا الوقت ، فأخذوا يمسحون أرجلهم على عجلة منهم ، فأدركهم وهم يفعلون ذلك ، فنادى بأعلى صوته تنبيهاً وتحذيراً قائلاً « ويل للأعقاب من النار » وكرر ذلك عليه السلام .

الدراسة :

حين أدرك النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم وهم يمسحون على أرجلهم عجلة منهم لإدراك الوقت أنكر عليهم في الحال ، ونادى بصوت عالٍ « ويل للأعقاب من النار » مرتين أوثلاثاً .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٦٣) ، كتاب الوضوء ، باب : غسل الرجلين ولايمسح على القدمين ، وأخرجه مسلم برقم (٢٤١) ، كتاب الطهارة ، باب : وجوب غسل الرجلين بكمالهما « دليل للأعقاب من النار » .

(٢) فتح الباري ١/ ٢٦٥ .

(٣) لسان العرب مادة : « عقب » .

وهذا توجيه مباشر للصحابة رضي الله عنهم بالإنكار عليهم مباشرة ، قال ابن بطال : فلما ضاق الوقت بادروا إلى الوضوء ، ولعجلتهم لم يسبغوه ، فأدركهم على ذلك فأنكر عليهم [١] . بل إنه رفع صوته بالإنكار ليعلم الجميع خطأ ماوقعوا فيه ، قال ابن حجر : وفي الحديث رفع الصوت بالإنكار [٢] .وهذا التوجيه المباشر بالإنكار هو تبليغ وتعليم منه ﷺ لصحابته رضي الله عنهم .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فجلس ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما » ، ثم قال : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما » [٣] .

المعنى الإجمالي :

دخل رجل إلى المسجد يوم الجمعة والرسول ﷺ يخطب ، فقعد ولم يصل تحية المسجد جهلاً منه أن الأفضل أن يجلس ويستمع إلى الخطبة فأمره النبي ﷺ أن يصلي ركعتين ويتجوز فيهما ، أي يخففهما ، ثم قال للناس « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما » كحكم شرعي ثابت .

الدراسة :

أمر النبي ﷺ الرجل وهو سليك رضي الله عنه مباشرة حين جلس ولم يأت بركعتي التحية أن قم فاركع ركعتين ، وأمره بتخفيفهما ، وهذا توجيه مباشر وفي الحال بأمره أن يركع الركعتين . ثم بعد التوجه الفردي للرجل قام النبي ﷺ بالتوجيه الجماعي مباشرة للناس حين قال :

« إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما » ،وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يكتف بأمر الرجل فقط ثم أكمل خطبته ، بل نبه الجميع على الحكم

(١ ، ٢) فتح الباري ١ /٢٦٥ .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٩٣٠) ، كتاب الجمعة ، باب : إذا رأى الإمام رجلاً جاء وهو يخطب أمره أن يصلي ركعتين ، وأخرجه مسلم برقم (٨٧٥) ، كتاب الجمعة ، باب : التحية والإمام يخطب ، واللفظ له .

الشرعي في ذلك لجميع الناس وهو تعليم منه وحسن تبليغ عليه السلام . قال ابن حجر :« وأن للخطيب أن يأمر في خطبته وينهي ويبين الأحكام المحتاج إليها »[(١)] . كما أن الشافعي رحمه الله قال : « أرى للإمام أن يأمر الآتي بالركعتين .. »[(٢)] .

١- عن عمر بن أبي سلمة يقول : كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصَّحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : «يا غلام ، سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك» . فمازالت تلك طعمتي بعد[(٣)] .

٢- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : إن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال :«كل بيمينك» قال : لا أستطيع ، قال «لا استطعت » ، ما منعه إلا الكبر،قال :فما رفعها إلى فيه[(٤)]

غريب الحديث :

غلاماً : أي دون البلوغ ، يقال للصبي من حين يولد إلي أن يبلغ الحلم غلام[(٥)] .

الحجر : يطلق على الحضن ، وعلى الثوب[(٦)] .

تطيش : الطيش : الخفة ، وهي هنا أي تخف وتتناول من كل جانب[(٧)] .

الصحفة : إناء كالقصعة المبسوطة ونحوها[(٨)] .

طعمتي : أي صفة أكلي[(٩)] .

المعنى الإجمالي :

حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه : أنه حين كان غلاماً في حجر النبي ﷺ أي : في تربيته وتحت نظره وأنه يربيه في حضنه تربية الولد[(١٠)] .

(١ ،٢) فتح الباري ٢ /٤١٢ .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٣٦٧) ، كتاب الأطعمة ، باب : التسمية على الطعام والأكل باليمين ، وأخرجه مسلم برقم (٢٠٢٢) ، كتاب الأشربة ، باب : آداب الطعام والشراب وأحكامها .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٠٢١ ، كتاب الاشربة ، باب : آداب الطعام والشراب وأحكامهما .

(٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠) فتح الباري ٥٢١/٩ .

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : « طيش » .

(٨) المصدر السابق مادة : « صحف » .

وعند الأكل كانت يده رضى الله عنه تتحرك فتميل إلى نواحي القصعة ولا تقتصر على موضع واحد ، فعلمه ﷺ آداب الأكل بأن يسم الله ، ويأكل بيمينه ، ومما يليه ، فاستجاب رضى الله عنه فقال : فما زالت تلك طعمتي ، أي صفة أكلي بعد ذلك .

- وفي الحديث الآخر أيضاً أمر النبي ﷺ الرجل أن يأكل بيمينه مباشرة لما رآه وعلمه الأدب الشرعي في الأكل ، وهو أن يأكل باليد اليمنى ، لكنه لم يستجب تكبراً فناسب دعاء النبي ﷺ .

- المعنى الإجمالي لحديث سلمة رضي الله عنها :

شاهد النبي ﷺ رجلاً يأكل بشماله فأمره أن يأكل بيمينه ، فقال إني لا أستطيع تكبراً وهو يستطيع فدعا عليه ﷺ بقوله لا استطعت ، فلم يرفعها إلى فيه بعد ذلك ، والعياذ بالله .

الدراسة :

لما رأى النبي ﷺ الغلام تطيش يده في الصحفة أمره عليه السلام ، وذلك بتوجيه مباشر منه ، أن يسم الله ويأكل بيمينه ومما يليه ، وهذا تعليم منه ﷺ لآداب الطعام للغلام ولغيره .
إذن النبي عليه السلام أمر الغلام حالاً وفي نفس اللحظة التي رآه تطيش يده في الصحفة وكذلك لم يقتصر كلام النبي ﷺ على طيشان اليد في الصحفة فقال كل مما يليك ولكن أيضاً زاد في ذلك ما يجب أن يزيد مادام أنه يناسب الموقف يدل هذا على أن الموقف موضع تعليم .
قال ابن حجر : وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في حال الأكل ، وفيه استحباب تعليم آداب الأكل والشرب (١) . إذن فالموقف موقف أمر بالمعروف وتعليم للآداب .

وفي الحديث الآخر أيضاً أمر النبي ﷺ الرجل أن يأكل بيمينه مباشرة لما رآه يأكل بشماله وعلمه الأدب الشرعي في الأكل ، وهو أن يأكل باليد اليمنى ، لكنه لم يستجب تكبراً فناسب دعاء النبي ﷺ .

---

(١) فتح الباري ٥٢٣/٩

الخلاصة :

يتبين من خلال ما سبق أن النبي ﷺ كان يستخدم طريقة التوجيه المباشر ، سواء كان على صفة الأمر أو النهي والإنكار ، فهو ﷺ لم يتوان لحظة واحدة في التوجيه على أي الصفتين ، الأمر والإنكار ، إذا اقتضى الأمر وذلك في الحال ، وحاشاه أن يؤخر البيان والتعليم عن وقت الحاجة ، فهو يعلم بذلك الجاهل وينبه الغافل و يبلغ الدين للناس . ويمكن إيجاز ذلك في النقاط التالية :

أولاً : استخدامه ﷺ طريقة التوجيه المباشر لتعليم الناس وتبليغهم .

ثانياً : أنه يستخدم الرسول ﷺ الأمر المباشر للمتلقي ، أو الإنكار عليه أيضاً بشكل مباشر .

ثالثاً :لا يؤخر عليه السلام البيان عن وقت الحاجة .

رابعاً :لا يكتفي عليه الصلاة والسلام بالتوجيه المباشر الفردي لصاحب الحادثة أو الموقف ، بل كان يتعداه إلى التوجيه الجماعي لمن يسمع ويرى ، مثل حديثه للناس بعد أن أمر الرجل بصلاة ركعتين ، وصعوده ﷺ المنبر حين أنكر على أسامة رضي الله عنه في شفاعته للمرأة المخزومية التي سرقت .

خامساً : كان عليه الصلاة والسلام يزيد في التعليم في الموقف إذا كان مناسباً ، له مثل توجيهه المباشر للغلام الذي كانت يده تطيش في الصحفة بأن زاد على ذلك وعلمه أشياء أخرى مثل : « سم الله ، وكل بيمينك » ثم قال له « وكل مما يليك » .

سادساً : رفع الصوت بالإنكار حال التوجيه إن كان له حاجة ، كما فعل ﷺ حين رفع

صوته بقوله « ويل للأعقاب من النار » وكرر ذلك .

سابعاً : يمكن أن يكون التوجيه بالقول والفعل ، أما القول معروف وظاهر ، وأما الفعل فيظهر في هتكه ونزعه للستر الذي وضعته عائشه رضى الله عنها .

وكل ما مضى هو من طريقته عليه السلام في التعليم والتبليغ ، وهو ما ينبغي أن يكون عليه المعلم والمربي والداعي إلي الله ، أن يفعل ما يجب فعله ، ويزيد في الأمر وقت الحاجة ، ولا يكتفي بتعليم وتوجيه المخطيء أو الجاهل وهناك من يسمع ويرى ، بل يلتفت إلى كل الناس ويعلمهم أيضاً .

الفصل الخامس

التبليغ والتعليم بالقدوة

الفصل الخامس

التبليغ والتعليم بالقدوة

كان التبليغ والتعليم بالقدوة ضرباً من الضروب التي استخدمها النبي ﷺ لتبليغ هذا الدين وتعليم الناس أحكامه وشرائعه وأخلاقه ومايحتاجون إليه في حياتهم المرتبطة بهذا الدين ، وقد أمر الله عز وجل الناس أن يتخذوا رسول الله قدوة ، وأسوة في أقواله وأفعاله ، ورتب عليها الأجر العظيم ، فقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ (١) .

وكان النبي ﷺ أيضاً يأمر أصحابه رضي الله عنهم أن يقتدوا به في كل شيء ، فقال :« صلوا كما رأيتموني أصلي » (٢) . وقال :« خذوا عني مناسككم » (٣) . و كان ﷺ يُعلم أصحابه أن يقتدوا به ويروا مايفعل فيفعلون ، بل إنه ﷺ كان يفعل الفعل فيفعلون مثله ، ويفعل الفعل ليروه ويأخذوا عنه لا لشيء إلا للتعليم . وكان الصحابة رضي الله عنهم أشد حرصاً على الاقتداء بالنبي ﷺ في كل شيء ، وكانوا ينظرون أفعاله وأقواله بانتباه شديد ، ومانرى من السنة بين أيدينا ماهو إلا من هذا الباب ، بل إنهم كانوا ينقلون أدق التفاصيل عنه ﷺ ، وماذلك إلا بسبب الحرص الشديد على الاقتداء به عليه السلام ورضي الله عنهم وأرضاهم ، حيث اشتهر عنهم تنافسهم في الخير وتسابقهم في التأسي بسنة النبي ﷺ وأيهم أتقن لها ، كما هو مشهور عن ابن عمر وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

وسنأتي على بعض الأمثلة التي وردت في السنة ، والتي تبين استخدامه للطريقة العملية وطريقة القدوة في تعليم الناس وتبليغهم أمر هذا الدين ، إنما هي أمثلة ، والسنة مليئة بمثل ذلك ، وحرصت أن تكون الأمثلة صريحة تدل على فعله للأمر ليس لشيء إلا لغرض التعليم

---

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١) .

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٧) .

فقط كما سيأتي مثاله .

عن أبي حازم بن دينار « أن رجالاً أتَوا سهل بن سعد الساعدي ، وقد امتروا في المنبر ممَّ عُودُه ؟ فسألوه عن ذلك فقال : واللّه إني لأعرف مما هو ، ولقد رأيته أول يوم وضع ، وأول يوم جلس عليه رسول الله ﷺ :أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة - امرأةٍ سمّاها سهل - مُري غلامك النجار أن يعمل لي أعواداً أجلس عليهن إذا كلمت الناس ، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة ، ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فأمر بها فوضعت هاهنا . ثم رأيت رسول الله ﷺ صلى عليها وكبر وهو عليها ، ثم ركع وهو عليها ، ثم نزل القهقري فسجد في أصل المنبر ثم عاد . فلما فرغ أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنما صنعت هذا لتأتموا ، ولتعلموا صلاتي » (١)

غريب الحديث :

امتروا : من المماراة وهي المجادلة ، وقال الكرماني : من الافتراء الشك .

وقال الراغب : الامتراء والمماراة المجادلة ، ومنه (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً) وقال أيضاً : « المرية التردد في الشيء ، ومنه (فلا تكن في مرية من لقائه) (٢) .

المنبر : قال أهل اللغة المنبر مشتق من النبر وهو الارتفاع (٣) .

طرفاء الغابة : أى أثل الغابة ،و الغابة معروف من عوالي المدينة (٤) .

القهقري : وهو المشي إلى الخلف من غير أن يعيد وجهه إلى وجهة مشية ، قيل : إنه من باب القَهْر (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٩١٧ ، كتاب الجمعة باب : الخطبة على المنبر ، أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٥٤٤ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب: جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة .

(٢) فتح الباري ٣٩٧/٢ .

(٣ ، ٤) مسلم شرح النووي ٥ / ٢٠١ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : « قهقر » .

المعنى الإجمالي :

تجادل مجموعة من الناس في عود المنبر ممّ هو ومن أي شيء صنع فذهبوا إلى أحد الصحابة ليسألوه ، فبين لهم ممّ هو ، وكيف صُنع ، ومن الذي صنعه حين أمر النبي ﷺ بذلك ، فلما صُنع أمر النبي ﷺ به فوضع في مكانه ، فقام النبي ﷺ ليعلم الناس كيف تكون الصلاة وسنته في ذلك .

الدراسة :

لما صُنع للنبي ﷺ المنبر ووضع في مكانه ، كان من أول ماصَنع أنه رقى عليه فقام فصلى عليه ، وكبر وهو عليه ثم ركع وهو عليه ، فلما أراد أن يسجد رجع القهقري فسجد في أصل المنبر ثم عاد ، فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس ليبلغهم لماذا فعل ذلك ، فقال عليه السلام : « أيها الناس ، إنما صنعت هذا لتأتموا ، ولتعلموا صلاتي » ، وهذا هو الشاهد من الحديث ، فالنبي عليه السلام لم يفعل ذلك إلا لكي يقتدي به الناس في الصلاة ، وأراد أن يكون بارزاً لهم ، وهو يعلمهم الصلاة ، فرقى على المنبر ، وقام بحركات الصلاة كما ينبغي للمصلي أن يصلي فتعلم الناس السنة في ذلك وبلغهم دين الله في الصلاة . وهذه الطريقة العملية في تعليم الصلاة من أحسن وأنجح الطرق في التعليم ، لأنها تكون أسهل ، وأرسخ في الذهن ، وأسرع في الفهم ، وأقل في الكلام والإسهاب والتطويل . فالصلاة فيها قيام وركوع ورفع منه ثم سجود وجلوس ثم سجود وهنا جلوس للتحيات وسلام وغير ذلك ، وكلها حركات وخفض ورفع بمقدار معين ، فلو أراد شخص أن يبين صلاة النبي عليه السلام بالكلام لطال المقام وقد لايتصور المراد ، ولكن بالصلاة العملية أمامهم ، اختصر كل هذا وبان حتى الدقيق منها . ويكفي من ذلك فعله عليه السلام فوق المنبر ، وقوله بعد ذلك «لتأتموا ، ولتعلموا صلاتي » فاختياره عليه الصلاة والسلام هذه الطريقة في هذا الموضع لأنها أفضل طرق التعليم لمثل هذه الشعيرة .

(١) شرح مسلم للنووي ٥ / ٢٠١ .

وإضافة إلي هذا فإن قوله عليه السلام « لتأتموا » حثٌ على الاقتداء به عليه السلام ، وأنهم يجب أن يُصَلّوا مثل صلاته كما رأوها منه عليه السلام . وقوله « لتعلموا صلاتي » أي تتعلموا الصلاة الصحيحة الموافقة للسنة ، قال النووي : أي تتعلموا فبين ﷺ أن صعوده المنبر ، وصلاته عليه إنما كان للتعليم ليرى جميعهم أفعاله ﷺ [1] . كما قال ابن حجر في الموضع نفسه : أي لتتعلموا ، وعرف منه أن الحكمة في صلاته على المنبر ليراه من قد يخفى عليه رؤيته إذا صلى على الأرض [2] . ونأخذ من هذا أيضاً استحباب أن يبرز المعلم للمتعلمين إذا كان مايعلمه يحتاج إلى نظر وحركات ، فيكون بذلك أظهر للجميع وأبين حتى لايخفى عليهم ماقد يفعله المعلم . إذن فالتعليم والتبليغ بالفعل والاقتداء هو من طرق تعليمه عليه السلام وتبليغه هذا الدين .

االحديث الثاني : وهو طويل نذكر الشاهد منه :

عن عروة بن الزبير عن المِسّور بن مخرمة ومروان بن الحكم - يُصدِّق كل واحد منهما حديث صاحبه - قالا[3] «خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق فذكرا الحديث ... إلى أن قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا ، قال فو اللّه ماقام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها مالقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يانبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة ، حتى تنحر بُدْنك ، وتدعو حالِقَك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً .. الحديث » [4] .

---

(٢) فتح الباري ٢/٣٩٧ .

(٣) في أول كتاب الشروط برقم (٢٧١١) ، (٢٧١٢) صرحا بأنهما « يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ » .

(٤) أخرجه البخاري في عدة مواضع برقم (٢٧٣١) ، (٢٧٣٢) ، كتاب الشروط ،باب : الشروط في الجهاد .

(١) فتح الباري ٥/٣٤٧ .

المعنى الإجمالي :

عندما أبرم صلح الحديبية ، وكان من شروطه أن يرجع المسلمون عامهم هذا ويعودوا السنة القابلة ، أمر النبي ﷺ الصحابة أن ينحروا ويحلقوا ، لكنهم من فرط حزنهم وغمهم أنهم لم يقضوا مناسكهم ، وعلى الرغم مما هم عليه من قوة ومنعة ، ثم يُردون عن حاجتهم بغير حق ، كان هذا سبباً في عدم امتثالهم السريع لقول النبي ﷺ ، أو ظناً منهم أن الأمر فيه سعة وليس الأمر للفور ، أو أن النبي رخص لهم في ذلك وأنه سيأخذ بالعزيمة فرغبوا أن يقتدوا به كما ذكر ذلك بعض العلماء ، قال ابن حجر : قيل كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب ، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور ، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم ، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ ، ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم مع ظهور قوتهم وقدرتهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم ، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لايقتضي الفور ، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم (١) . ثم إن النبي ﷺ لما رأى أنهم لم يقوموا ، دخل على أم سلمة رضي الله عنهما وحكى لها ماحصل ، فأشارت عليه رضي الله عنها أن يخرج ولايكلم أحداً منهم ، فينحر ويحلق ، ففعل ، ففعلوا اقتداء به عليه السلام إذ لم يعد في الأمر غاية تنظر ، فقد حَسم فعله كل مايجول بخواطرهم .

الدراسة :

لما لم يقم أحد من الصحابة رضي الله عنهم لينحر ويحلق ، دخل على أم سلمة رضي الله عنها فأشارت عليه أن يخرج ولايكلم أحداً منهم فينحر ويحلق ، فإن هم رأوا ذلك نحروا وحلقوا ، فقالت " يانبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك ، وتدعو حالقك فيحلقك » فلما فعل ذلك رأوا منه ذلك ، وتمثل لهم ذلك عملياً فاقتدوا به عليه السلام

---

(١) فتح الباري ٥/٣٤٧ .

، فكان الفعل في مثل هذه الحالة أبلغ من القول المجرد . وقد أخذ النبي ﷺ بمشورة أم سلمة ، لما رأى صواب ذلك ، قال ابن حجر : وعرف النبي ﷺ صواب ماأشارت به ففعله ، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ماأمرهم به إذ لم يبق بعد ذلك غاية تنتظر .. » وقال : وإن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد [(١)] .ولذلك تردد الصحابة لما قال لهم انحروا واحلقوا ، فلما قام بذلك عملياً كان الأمر أوقع وآكد ففعلوا .

الحديث الثالث :

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة في رمضان فصام ، حتى بلغ الكديد أفطر ، فأفطر الناس » .

قال أبو عبد الله : والكديد ماء بين عُسفان وقُديدٍ [(٢)] .

وفي رواية لمسلم : « سافر رسول الله ﷺ في رمضان فصام حتى بلغ عُسفان ، ثم دعا بإناء فيه شراب فشربه نهاراً ليراه الناس ثم أفطر حتى دخل مكة »

٢- عن أم الفضل بنت الحارث أن ناساً تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ فقال بعضهم : هو صائم ، وقال بعضهم : ليس بصائم ، فأرسلت إليه بقدح لبن ، وهو واقف على بعيره بعرفة ، فشربه [(٣)] .

وفي رواية « .... فشرب منه ، والناس ينظرون إليه »

المعنى الإجمالي :

في رواية ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي كان في رمضان فلما سافر أفطر في الطريق وأفطر الناس بفطره عليه السلام ، وكان قد دعا بإناء فيه شراب فشربه ليراه الناس فيفطرون بفطره .

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٤٤) ، كتاب الصوم ، باب : اذا صام أياماً من رمضان ثم سافر .

(٣) أخرجه مسلم برقم (١١١٣) ، كتاب الصيام ، باب : جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر ، أخرجه مسلم برقم (١١٢٣) كتاب الصيام ، باب : استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفه .

(١) انظر فتح الباري ٤/ ١٨١ .

ورواية أم الفضل رضي الله عنها : أنه كان في الحج يوم عرفة ، فتجادل الناس هل هو صائم عليه السلام أم لا ، فأرادت أن تتبين ذلك رضي الله عنها فأرسلت له بقدح ، وهو الكأس فيه لبن ، وكان على بعيره فشربه عليه السلام والناس ينظرون إليه ، فعلموا بذلك أنه مفطر .

الدراسة :

أراد النبي ﷺ أن يبين للناس الرخصة في الفطر في نهار رمضان للمسافر ، وكان الناس بين صائم ومفطر ، فدعا عليه السلام بإناء من لبن ، أو ماء فوضعه على راحلته ، وشرب منه والناس ينظرون [1] . فأفطر الناس لما رأوا النبي ﷺ ، وهذا تعليم منه ، وتبليغ حيث استخدم الطريقة العملية في إبلاغ الناس جواز الفطر في نهار رمضان للمسافر ، وكان يستطيع عليه السلام أن يخبر الناس بالقول ، ولكن بفعله عليه السلام كان أوقع في النفس .

كذلك لما كان في الحج وكان يوم عرفة أراد أن يبين للناس أنه مفطر فشرب من اللبن الذي أرسلته أم الفضل رضي الله عنها وهو على راحلته والناس ينظرون ، وهو عليه السلام يفعل ذلك ليراه الناس ويقتدوا به فهو يعلم أنه محل الأنظار والاقتداء ، والناس في هذا الجمع الغفير لو أراد إخبارهم بالقول فماذا عساه يفعل لكن حين شرب من القدح كان الأمر محسوماً والكل ينظر إليه فحصل المطلوب وتم إيصال المراد .

الحديث الرابع :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : « أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، كيف الطهور ؟ فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً ثم مسح برأسه فأدخل أصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه وبالسباحتين باطن أذنيه ، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً ، ثم قال : « هكذا الوضوء ، فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم » أو « ظلم أو أساء » [1] .

المعنى الإجمالي :

جاء رجل إلى النبي ﷺ يريد تعلم الوضوء فعلمه عليه السلام بأن دعا بماء في إناء فتوضأ أمامه ثلاثاً ثلاثاً .

الدراسة :

حين أراد النبي عليه السلام أن يعلم ذلك الرجل الطهور وهو الوضوء لم يخبره بالقول ، وإن كان يستطيع ذلك لكنه عليه السلام أراد أن يعلمه بطريقة عملية فدعا بإناء فيه ماء ، وأخذ يتوضأ وضوءه للصلاة ، والسائل ينظر ، والصحابة من حوله كذلك فأخذوا عنه الوضوء بشكل عملي واقتداء بفعله عليه السلام .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٣٥) ، كتاب الطهارة ، باب : الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١٢٣) دون قوله « أو نقص » فإنه شاذ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٢) ، وصححه الالباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٣٩) وقال : حسن صحيح ، بدون ذكر أو «نقص » ، و أخرجه النسائي في سننه برقم (١٤٠) ، كتاب الطهاره ، باب الاعتداء في الوضوء .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧) ، كتاب الحج ، باب رمي جمرة العقبة .

الحديث الخامس :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول : « لتأخذوا مناسككم ، فإني لاأدري لعلي لاأحج بعد حجتي هذه » [1] .

المعنى الإجمالي :

كان النبي ﷺ يرمي الجمرة في حجة الوداع ، وكان على راحلته ، فقال للناس : « لتأخذوا مناسككم » ، أي خذوا عني صفة الأقوال والأفعال والهيئات في الحج ، فإني لاأدري لعلي لاأحج بعد حجتي هذه ، قال النووي : « لتأخذوا مناسككم » .. وتقديره هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته ، وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها للناس [2] .

الدراسة :

قال النبي ﷺ للناس « لتأخذوا مناسككم » وكان على ظهر الراحلة وهو مرتفع يراه الناس فأخذ يرمي الجمرة وينبه الناس ليقتدوا به في الرمي ، وسائر مناسك الحج ، وهي أقوال وأفعال وهيئات علم عليه السلام أنه لابد من رؤيته ، وهو يؤديها حتى يَعْلَموها ثم يُعَلِّمونها مَنْ بعدهم وكان صعوده على الراحلة يساعد كثيراً في إيصال المراد من تعليمهم وإبلاغهم مناسك الحج ، قال النووي : وفيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه وانتهاز الفرصة من ملازمته وتعلم أمور الدين ، وبهذا سميت حجة الوداع [3] . فهذه دعوة منه ﷺ ليقتدي به الناس في ذلك .

(٢ . ٣) النووي شرح مسلم ٩ / ٤٢٠ .

الخلاصة :

استخدم النبي ﷺ الطرق العملية الفعلية لتعليم الناس ، وتبليغهم هذا الدين ، وكان يفعل أموراً لايفعلها إلا للتعليم فقط ، كما مر بنا من الصلاة ، والوضوء ، وحتى الفطر فإنه عليه السلام كان مفطراً في عرفة لكنه شرب اللبن ليراه الناس فيتأكدوا من فطره لمن لم يعلم ، وهذا كثير في سنته عليه السلام ومامر بنا ماهو إلا مثال ، ويمكن أن نخلص إلى أمور منها :

أولاً : كان عليه الصلاة والسلام يستخدم طريقة التعليم العملي ، و يفعل الفعل للاقتداء به وبشكل صريح .

ثانياً : إن طريقة التعليم بالقدوة من أحسن الطرق في التعليم والتبليغ ، فهي ميسرة وأوقع في النفس وأرسخ في الفكر وأسرع في الفهم .

ثالثاً :إن التبليغ والدعوة بالفعل أبلغ من القول المجرد ، ولذلك كان يستخدمه ﷺ في أماكن كثيرة متى مارأى الحاجة لذلك .

وبالنظر إلى ذلك ، فإن المعلم والمربي والداعية مطالب بأن يكون هناك نصيب في طريقته في التعليم والتربية للدروس العملية الفعلية ، وأن لايكتفي فقط بالتلقين وإلقاء المعلومات تلو المعلومات مجردة من أي مثال بالطرق العملية ، متى ماكان ذلك مناسباً ، خاصة في العبادات والمعاملات التي تحتمل الحركات واختلاف الهيئات .

الفصل السادس

الإيضاح بالخط والرسم

الفصل السادس

الإيضاح بالخط والرسم

لما كانت المعارف كثيرة ومتنوعة احتيج إلى توصيلها بطرق مختلفة حتى تثبت في الأذهان ، وتدفع السآمة والملل عن الإنسان ، ولما كانت المهمة الملقاة على عاتق النبي ﷺ عظيمة ثقيلة ، كانت طريقة استخدام الخط والرسم ، وبعض الأدوات الأخرى هي إحدى الطرق التي عمل بها النبي ﷺ لإيصال تلك المعارف إلى الناس بمختلف درجاتهم من حيث العلم والكبر وغير ذلك .

وهذه الوسيلة تساعد كثيراً المعلم في إيصال ما يود إلى المتعلم بأوضح وسيلة ، حيث إنها أشد تأثيراً لما فيها من المشاهدة والمعاينة .

قال ﷺ : «ليس الخبر كالمعاينة ، وإن الله أخبر موسى بما صنع قومه في العجل ، فلم يلق الألواح ، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت» (١).

قال القاضي عياض : «وللمشاهدة زيادة في اليقين ، والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين ، منها إلى علم اليقين ، وإن كان كل عندها حقاً» (٢).

ونعرض فيما يأتي نماذج من استخدام النبي ﷺ للخط والرسم لإيضاح مقصوده ، وتثبيت المعنى الذي أراده ﷺ .

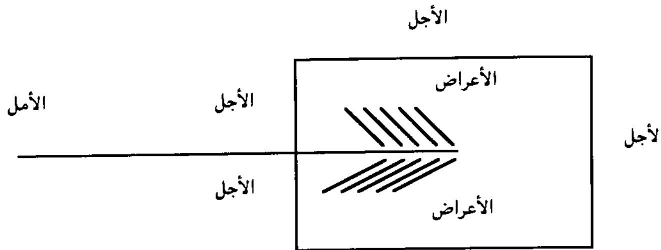
---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٤٤٧) ، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح ، والحاكم في المستدرك (٢/٣٥١) وصححه ، وقال : على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
(٢) شرح الشفا للقاضي عياض ملا علي القارى (١/٢٧٦) .

النموذج الأول :

أ - حديث طول الأمل

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط النبي ﷺ خطاً مربعاً ، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه ، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، وقال : هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هوخارج أمله ، وهذه الخطوط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا » [1].



شكل (١)

وفي رواية من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «خط النبي ﷺ خطوطاً ، فقال: هذا الأمل وهذا أجله ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب»[2].

غريب الأحاديث :

الأمل : «رجاء ماتحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى ، وهو قريب المعنى من التمني»[3].

الأعراض : جمع عَرَض بفتحتين ، وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير وفي الشر [4].

نهشه : أي أصابه [5].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٧) ، كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٨) ، كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله .
(٣)،(٤) ، (٥) فتح الباري (١١/٢٣٦-٢٣٨) .

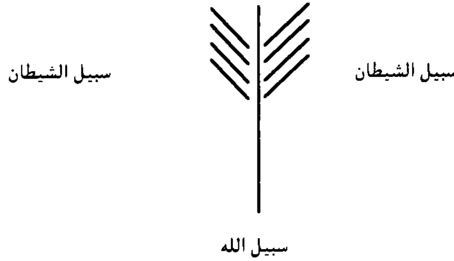
المعنى الإجمالي :

أراد النبي ﷺ أن يبين كيف يُحال بين المرء وبين آماله العريضة التي يقف دونها حائل وهكذا الإنسان دائماً يمني نفسه بطول الأمل ، وكثرة الأماني دون النظر إلى دنوٍّ أجله الذي وقت له كما وضحه النبي ﷺ بالخط والرسم .

وفي الحديث - كما قال ابن حجر [1] - إشارة إلى الحض على قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل . وعبر بالنهش ..... مبالغة في الإصابة والإهلاك .

النموذج الثاني :

عن جابر رضي الله عنه قال : «كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط بيده في الأرض خطاً هكذا أمامه ، فقال: هذا سبيل الله عز وجل وخط خطتين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : هذه سبل الشيطان ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية : «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون»[2].



شكل (٢)

(١) فتح الباري (١١/٢٣٨) .

(٢) أخرجه أحمد ١٢٨/٣ ، برقم (١٥٢٧٧) في الموسوعة وقال عنه : « حسن لغيره » ، ٤١٨/٢٣ ، وعن ابن مسعود ٤٣٥/١ ، برقم (٤١٤٢) في الموسوعة وقال : « اسناده حسن » ، وقال أحمد شاكر اسناده صحيح ٨٩/٦ .

غريب الحديث :

قال الراغب : السبيل الطريق الذي فيه سهولة ، وجمعه سُبْلُ ... ويستعمل السبيل لكل ما يتوصل به إلى الشيء خيراً كان أو شراً قال : «ادع إلى سبيل ربك» (النحل : ١٢٥)(١).

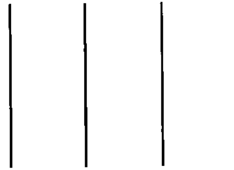
قال ابن الأثير : «السبيل : في الأصل الطريق .... وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداد الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات»(٢).

المعنى الإجمالي :

بين النبي ﷺ طريقين : الأول : طريق الله تعالى ، والثاني ، طريق الشيطان ، وحث على اتباع الطريق الأول ، ونهى عن اتباع الثاني ؛ لأنه فيه الهلاك والخسران المبين .

والنموذج الثالث :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط وقال : أتدرون لِمَ خططت هذه الخطوط ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ : «أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»(٣).



شكل (٣)

---

(١) المفردات للراغب مادة : «سبل» .
(٢) النهاية لابن الأثير مادة: «سبل» .
(٣) أخرجه أحمد ٢٩٣/١ ، برقم (٢٦٦٨) ، وقال أحمد شاكر : اسناده صحيح .

المعنى الإجمالي :

يحدد النبي ﷺ أربعاً من المؤمنات الصالحات الفاضلات ، هن أفضل نساء أهل الجنة مكانة وفضلاً وسمواً لتميزهن في إيمانهن وأعمالهن .

الدراسة :

١ - استخدم النبي ﷺ وسيلة الرسم هنا لإيصال المعنى بشكل سهل وميسر ، حيث كان ﷺ يعلم أن هذه الطريقة مُعينة على الفهم والتصور السريع أيًّا كان هذا المتعلم الذي أمامه ، وهكذا ينبغي للمعلم أن يستخدم الوسيلة التي تصلح لكل أحد مهما اختلفت درجته من الفهم والإدراك كما فعله ﷺ .

٢ - مبادرته ﷺ قبل أن يتكلم أو يبين مراده وفي هذا مزيد إثارة وشد انتباه للمتعلم حيث تصبح كل حواسه رهناً لحديث النبي ﷺ بعد هذا الرسم .

ومنه نأخذ أن من أراد أن يستخدم وسيلة معينة مثل هذه أن يبادر إلى عرضها وتوضيحها أمام المتعلمين قبل أن يتكلم ويشرح بناءً عليها ، فيكون في الحقيقة قد أثار انتباههم وحفز عقولهم لمعرفة ما يتبع عرض هذه الوسيلة والمراد منها .

٣ - سهولة رسمه عليه السلام الشكل دون تعقيد أو تطويل ، وهذا أمر مهم لأنه يساعد كثيراً على إيصال المعنى بأقصر طريق وأدق تصور ، وبذلك يتبين لنا أهمية الوسيلة حين تكون سهلة واضحة العلامات والخطوط قليلة التداخلات والتقاطعات كما فعل ﷺ ، وعليه فينبغي لنا في مثل هذه المواقف التعليمية أن نستخدم أسهل الوسائل الموصلة لذلك الهدف التعليمي .

٤ - استخدم النبي ﷺ الأدوات السهلة المتاحة دون تعقيد أو تكلف ، فقد استخدم التراب والخطوط السهلة ، وكذلك الأعواد - كما ذكر في بعض الروايات [١] - وهكذا ينبغي

---

(١) أخرجه أحمد (٣/١٢٣-١٣٥-٢٥٧) .

أن يكون المعلم في استخدامه لما هو متاح أمامه في تلك اللحظة ، فيستخدم عقله في تسخير هذه الأدوات السهلة لإيصال معنى معين أو فكرة ما ، فقد لا يتوافر له من الأدوات المتطورة شيئاً في تلك اللحظة .

٥ - نلاحظ من فعله عليه السلام تطابق المعنى والفكرة مع ما يقابلها في الرسم التوضيحي :

أ - في النموذج الأول نجد أن الأمل طويل وبعيد وهو في الأمام وهذا يدل عليه الخط الطويل الذي يسير إلى الأمام خارجاً من المربع ، ونجد أن المربع مغلق من كل جهة ، وهو الأجل الذي لا مفر للإنسان منه مهما طال العمر ، فلابد من حصوله فهو يطبق عليه من كل جهة لا يستطيع الفكاك منه . كما في الشكل (١).

ب - وكذلك نجد هذا التطابق في النموذج الثاني : وفيه ذلك الطريق الحق الذي يمثل الاستقامة ، وطاعة الله سبحانه هو الخط المستقيم الطويل الذي رسمه النبي ﷺ .

والطرق المتشعبة والمنحرفة هي تلك الخطوط التي انحرفت من الخط المستقيم ، وهكذا الانحراف دائماً كما في الشكل (١) .

ج - وفي حديث النساء الأربع يظهر التطابق في الفكرة من خلال توازي الخطوط وتشابهها مع تساوي النساء في الفضل والإيمان والأجر والثواب في الجنة ، فهن متوازيات في تلك الأشياء كتوازي هذه الخطوط الأربع .

٦ - إن استخدام مثل هذا الرسم التوضيحي فيه خروج عن المألوف بحيث يعطي انطباعاً عن أهمية المراد منه ، بحيث ينطبع في الذاكرة ويسهل تذكره ومعرفته ، ففي :

أ - النموذج الأول : كان الموضوع الذي أوضحه الرسول ﷺ من خلال هذا الرسم يعد من الموضوعات المهمة والرئيسة في حياة الإنسان ، بحيث يُنتبه إلى عدم ضياع الفرصة التي لديه في الحياة فيغفل عن الآخرة ويلهه الأمل فيتوقف فجأة عن العمل بموته ولم يكن قد ادخر شيئاً للآخرة .

ب - والنموذج الثاني : يبين النبي ﷺ الوجهة التي ينبغي للمسلم أن يتخذها طريقاً له في الحياة ، وهو صراط الله المستقيم ، والحذر كل الحذر من اتباع سبل الشيطان المؤدية إلى الهلاك والخسران ، وهذا يحدد مآله في الآخرة ، وهنا تكمن أهمية الموضوع محل الدراسة في هذا النموذج .

ج - والنموذج الثالث : يتأكد هذا الوضوح في حديث النساء ، حيث تكمن أهمية حديث النبي ﷺ عن فضل هؤلاء النساء ، وأنهن وصلن إلى هذه الدرجة العظيمة من الفضل ، كما قال ﷺ : «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون»[(١)]. فيقتدى بهن نساء العالمين ، ويعلمن أن النساء يصلن إلى درجات عليا من الفضل والأجر فيعملن بعملهن .

٧ - نلحظ عند رسم الخط المستقيم وسبل الشيطان وضع يده في الخط المستقيم الأوسط وتلا الآية ولم يعلق عليه . ومنه نأخذ أن النبي ﷺ أوصل المعنى المراد بمجرد إشارة وآية وهذا يدل على أحسن أساليب التعليم والتي كانت سجية النبي ﷺ ، وهكذا ينبغي لكل معلم أن يتحرى الوصول إلى المعنى المراد بأوضح إشارة وأوجز عبارة خاصة إذا كان يستخدم وسيلة تعليمية . والله أعلم .

وبالجملة .. نجد أن النبي ﷺ قد وظّف ما كان متاحاً عنه من أدوات ووسائل لإيصال المعنى المراد بل وإبراز هذا المعنى وتمييزه بطريقة سهلة ، وكل هذا بلا تكليف أو تطويل . وهذا ما يميز المعلم الماهر عن غيره ، فالنبي ﷺ أوصل معنى كبيراً بأدوات سهلة وطريقة يسيرة بخلاف ما نجده من بعض المعلمين من تكلف في الأدوات والوسائل لإيصال معنى صغير لايحتاج إلى هذا التكلف وذلك العناء .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٦٩) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي الله عنها .

الباب الثالث

أسلوب النبي ﷺ في البيان

الفصل الأول : التصريح والتلميح

الفصل الثاني : التكرار

الفصل الثالث : استخدام الكنايات

الفصل الرابع : عن طريق القرائن (التمعر ، الغض ، الإعراض ، الابتسامة ...)

الباب الثالث

أسلوب النبي ﷺ في البيان :

كان للنبي ﷺ أسلوب خاص في البيان ومتنوع حسب ما يقتضيه الحال . وأقصد بالأسلوب هنا ذلك النوع من كلام النبي ﷺ الذي تحدث به ، والعبارات المستخدمة في ذلك ، والغاية من استخدامه لهذه العبارات أو هذا النوع من الكلام . فعلى سبيل المثال كان النبي ﷺ حال التبليغ أو التعيم للناس كان يصرح بالأمر دون موارية أو تلميح وتارة أخرى كان ﷺ يلمح بالأمر دون تصريح وكل هذا حسب ما يقتضيه الحال ، وفي حالات أخرى كان يكرر الكلام والحديث لأهداف وغايات معينة ، وفي أخرى كان يستخدم الكنايات في الألفاظ لغرض معين ، وغير ذلك كثير . هذا هو المراد من قولنا أسلوب النبي ﷺ في البيان ، وهو باب واسع لا ينتهي ، وحاولت هنا أن أجمع بعض تلك الأنواع من حديثه الشريف ، وذلك بعض الأمثلة التي تدل عليها وتثبت أن النبي ﷺ كان يستخدم هذه الأنواع في الكلام والبيان عند تبليغه عليه السلام هذا الدين أو أراد أن يلم أحداً من الناس حكماً شرعياً أو أدباً إسلامياً .

وقد قسمت هذا الباب إلى أربعة فصول ذكرت في كل فصل نوعاً من أنواع أسلوبه عليه السلام في البيان ، وهي كالتالي :

الفصل الأول : التصريح والتلميح .

الفصل الثاني : التكرار .

الفصل الثالث : استخدام الكنايات .

الفصل الرابع : البيان عن طريق القرائن (التمعر ، الغضب ، الإعراض ، الابتسامة ، الموافقة ...) .

الفصل الأول

التصريح والتلميح

الفصل الأول

التصريح والتلميح

استخدم النبي ﷺ هذا النوع من البيان في كلامه عليه السلام كثيراً ونقصد بالتصريح : تعلم المتعلم في الموقف الذي يحتاج فيه إلى تعليم ، أو في الإجابة عن سؤال من المتعلم حالاً ، أو غير ذلك،بأن يعلمه بأسلوب صريح واضح لا غموض فيه ولا تلميح.

وأما التلميح : فنقصد به التعلم بأسلوب فيه إشارة للمقصود دون تعيين . وإجابة عن السؤال دون تفصيل ؛ واستخدام أسلوب التصريح والتلميح من النبي ﷺ له غايات ومقاصد كثيرة ، فالتصريح في مواضع يُحتاج فيها إلى المصارحة لا يصلح فيها استخدام التلميح ، فالحكمة تقتضي استخدام التصريح حتى يُعلم الأمر ويستقيم الحال وأما التلميح فإن إذا قيل له بصيغة التلميح يكون أخف وقعاً على نفس الملمحّ له وأكثر قبولاً لقلبه ، فالإنسان بطبعه صاحب أنفة وكبرياء ، ومن جهة أخرى فالشيطان له بالمرصاد ، فإذا كان هذا الموضوع يحتمل التلميح و يصرح فيه ، فإن ذلك قد لا يجد قبولاً عند هذا الإنسان ، فيكون المعلم قد خسر المتعلم و أخطأ الطريق في التعليم والتبليغ ويكون المتعلم قد خسر قبول الحق والعلم يقول الزركشي : « ووجه حسنه - أي التعريض - ظاهر ، لأنه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر كأنك لم تَعْنِه ، وهو أعلى محاسن الأخلاق وأقرب للقبول وأدعى للتواضع »[1] .

ويقول الإمام الغزالي في بيان وظائف المرشد المعلم ، في الوظيفة الرابعة ما يلي : « من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار »[2] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٣١٣ .

(٢) إحياء علوم الدين ١ / ٧٦ .

والتلميح وهو التعريض يؤدي الغرض والمطلوب أحسن ما يكن إذا كان بالطريقة السليمة كما يقول الزمخشري : « يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح »(١) . كذلك قال الطيبي : « ووجه حسنه إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه ، إذ لم يصرح بنسبته للباطل ، والإعانة على قبوله ، إذا لم يُرد له إلا ما أراد لنفسه » (٢) .

وكما قلنا من قبل ، إن هذا ليس على إطلاق ، لكن إذا احتيج إليه فهو أحق باستخدامه، وإلا فالتصريح لابد منه في مواضع لا يصلح فيها إلا المكاشفة والمصارحة . ثم أيضاً هناك أمر آخر مهم يُستخدم التلميح فيه ، وهو ما يُستحى من ذكره دون حاجة إلى التصريح به ، فإنه كان ﷺ حيياً شديد الحياء ، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها » (٣) فإذا كان هذا من خلقه عليه السلام ، فلا شك أنك تجده يتجنب ذكر ما يستحي من ذكره دون الحاجة إلى التصريح به إلا ما كان لابد منه ، فما أحسنه من مربٍ ومعلم ﷺ ، وسنأتي على تلك الفوائد والأغراض ، وسنتحدث عنها من خلال الدراسة لبعض الأمثلة من الأحاديث التي وقع عليها الاختيار كنموذج لأحاديث كثيرة أخرى ، ونلخصها في آخر الفصل بإذن الله عز وجل .

في التصريح :

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاءت أم سليم وهي جدة إسحاق (٤) إلى رسول الله ﷺ فقالت له وعائشة عنده : يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى ما يرى الرجل من نفسه فقلت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال النبي ﷺ لعائشة : بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأيت ذاك » .(٥)

---

(١) الكشاف ١١٦/٣ .

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، للسيوطي ١ / ٢٢١ .

(٣) أخرجه البخاري (٦١١٩) ، كتاب الأدب ، باب الحياء .

(٤) اسحاق بن أبي طلحة يروى عن أنس بن مالك في هذا الحديث .

(٥) أخرجه مسلم برقم (٣١٠) ، (٣١١) ، كتاب الحيض ، باب : وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها ، صفة مني الرجل والمرأة .

وفي رواية أخرى : فقالت أم سليم : واستحييت من ذلك ، وهل يكون هذا ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم فمن أين يكون الشبه ؟ إن ماء الرجل غليظ أبيض ، وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه » .

وفي رواية البخاري : « .... إن الله لا يستحي من الحق .... » .[1]

غريب الحديث :

تربت يمينك : كلمة أصلها افتقرت [2] . ولا يقصد معناها .

المعنى الإجمالي :

جاءت أم سليم رضي الله عنها تسأل النبي ﷺ عن المرأة إذا احتلمت في منامها فهل عليها غسل ؟ فقال لها عليه السلام : نعم فلتغتسل إن رأت المني ، فاستحيت رضي الله عنها وتعجبت فقالت : وهل يكون هذا ؟ أي هل ينزل من المرأة المني ، فقال ﷺ : نعم فمن أين يكون الشبه ، وبين ﷺ صفة مني الرجل والمرأة فقال : ماء الرجل غليظ ثخين لونه أبيض وماء المرأة رقيق لونه أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه .

الدراسة :

حين سألت أم سليم رضي الله عنها النبي ﷺ عن المرأة إذا احتلمت أجابها عليه السلام بإجابة صريحة « نعم إذا رأت ذاك » وهو المني ، ثم فصل في إجابته للسؤال الثاني : « وهل يكون هذا ؟ » وذكر لما يشبه الولد أمه أو أباه ، وبين صفة مني الرجل ومني المرأة وأنه « أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه . وعند التأمل نرى أن الموقف كله من المواقف التي يُسْتَحى منها

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٢) ، كتاب الغسل ، باب : إذا احتلمت المرأة .

(٢) النووي شرح مسلم ٣ / ٢٢١ .

لكن الحياء هنا غير مستحب ، وذلك لأن الموقف موقف تعليم ومعرفة دين . وكان النبي ﷺ مسروراً من سؤال أم سليم رضي الله عنها ، ودليل ذلك أنه أجابها بكل وضوح وبأسلوب صريح، وفصّل في ذلك ، هذا أولاً . وثانياً : لما أنكرت عائشة على أم سليم أنكر النبي ﷺ على عائشة وقال : « بل أنت تربت يمينك » ، وهذا يعني أن أم سليم لم تخطئ حين جاءت وسألت هذا السؤال .

قال النووي : وأما قوله ﷺ لعائشة : بل أنت فتربت يمينك فمعناه أنت أحق أن يقال لك هذا ، فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها ، فلم تستحق الإنكار ، واستحققت أنت الإنكار لإنكارك ما لا إنكار فيه [1] . فالموقف لم يكن موقفاً عادياً ، ومع ذلك أجاب النبي ﷺ بشكل صريح لاقتضاء الحال ، والحاجة تدعو إلى ذلك .

٢- عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : إن رجلاً سأل رسول الله [1] ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل ، وعائشة جالسة ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل » [2] .

غريب الحديث :

يكسل : أكسل الرجل : إذا جامع ثم أدركه فتور فلم ينزل . ومعناه صار ذا كسل . [3]

المعنى الإجمالي :

سأل رجل النبي ﷺ إذا جامع أهله ثم فتر وضعف ولم ينزل فهل عليهما غسل ؟ وكانت عائشة جالسة فقال عليه السلام : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل » أي أن النبي ﷺ حصل له مثل ذلك مع عائشة رضي الله عنها ثم اغتسلا .

---

(١) النووي شرح مسلم ٣ / ٢٢١ .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٥٠) ، كتاب الحيض ، باب : الجماع بدون انزال يوجب الغسل .

(٣) النهاية في غريب الحديث مادة : « كسل » .

الدراسة : عندما سأل الرجل النبي ﷺ عن الإكسال لم يجبه عليه السلام بقوله : نعم ، وكان يستطيع ذلك ويحصل المقصود ، ويعلم الرجل الحكم في ذلك لكنه عليه السلام أراد مزيد تأكيد ويقين في الإجابة ، فأجاب إجابة صريحة أبعد ما تكون ، فَمَثَّل بفعله ﷺ مع عائشة ، وأنهما كان يغتسلان في مثل هذه الحال . وقد رأى النبي ﷺ وهو محل القدوة والمعلم المبلغ عن الله عز وجل أن قوله هذا فيه من المصلحة أكثر من قوله وإجابته « بنعم » فقط ، خاصة أن أول التشريع كان الاغتسال فقط مع الإنزال ونسخ بعد ذلك ، فكانت إجابة النبي ﷺ الصريحة وتمثيله ذلك بفعله مع عائشة قاطعة لكل شك وغموض .

قال النووي : قوله ﷺ : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل » فيه جواز ذكر مثل هذا بحضرة الزوجة إذا ترتبت عليه مصلحة ولم يحصل به أذى وإنما قال النبي ﷺ بهذه العبارة ليكون أوقع في نفسه .[1]

في التلميح :

١- عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء رضي الله عنه [2] سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض فقال : « تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها ، ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » فقالت أسماء : وكيف تطهر بها ؟ .

فقال : « سبحان الله تطهرين بها » فقالت عائشة : كأنها تخفي ذلك تتبعين أثر الدم ، وسألته عن غسل الجنابة فقال : « تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطهور » ، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ، ثم تفيض عليها الماء » . فقالت عائشة : نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » .

---

(١) النووي شرح مسلم ٤ / ٣٤ .

(٢) أسماء هي أسماء بنت شَكَل هذا هوالصحيح المشهور (النووي ٤ / ١٥) .

وفي رواية قال : « تطهري بها سبحان الله ، واستتر » . وأشار لنا سفيان بن عيينة بيده على وجهه ... » . [1]

غريب الحديث :

سدرتها : السدر : شجرة النبق ، والسدر بنبت على الماء وثمره النبق وورقة غسول .[2]

تدلكه : دلك الشيء يدلكه دلكاً مَرسَه وعركه . [3]

شئون رأسها : أصول شعر رأسها ، وأصول الشئون : الخطوط التي في عظم الجمجمة ، وهو مجتمع شعب عظامها ، الواحد منها شأن . [4]

الفرصة : القطعة . [5]

فرصة ممسكة : قطعة من قطن أو صوف أو خرقة مطيبة بالمسك . [6]

المعنى الإجمالي :

سئل عليه السلام عن غسل المحيض فبين أنْ تتطهر طهورها للصلاة . ثم تغسل رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى يصل ويبلغ أصول رأسها ، ثم تفيض الماء على سائر جسدها ، ثم تأخذ بعد ذلك قطعة مطيبة فتتبع موضع الدم فتطهر بها ، ومثل ذلك غسل الجنابة إلا أنه لم يذكر أن تأخذ قطعة مطيبة وتطهر بها .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٤) ، كتاب الحيض ، باب : دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض وكيف تغتسل ، وأخرجه مسلم برقم (٣٣٢) كتاب الحيض ، باب : استعمال المغتسلة من الحيض المسلك ، واللفظ له .

(٢) لسان العرب مادة : « سدر » .

(٣) لسان العرب مادة : « دلك » .

(٤) ، (٥) ، (٦) النووي شرح مسلم ١٤/٤ .

الدراسة :

حين يبين ﷺ الغسل من الحيض أمر بأن تطهر المحل بقطعة ممسكة بطيب المسك فقال : « ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » .

وكان هذا تلميحاً منه عليه السلام ، وأن المراد تطيب المحل وإزالة الرائحة الكريهة . فكأنها لم تفهم المراد فراجعته وقالت : وكيف تطهر بها ؟ فقال : « سبحان الله تطهرين بها » . وهذا دعوة إلى التلميح مرة أخرى دون التصريح أدباً منه عليه السلام لأن المكان لا يحتاج إلى تصريح ، قال النووي : سبحان الله في هذا الموضوع وأمثاله يراد به التعجب هنا كيف يخفى مثل هذا الذي لا يحتاج الإنسان في فهمه إلى فكر ؟ [(١)] فأدركت عائشة رضي الله عنها الموقف وعلمتها بأن تتبع أثر الدم . والنبي ﷺ حين استحيا من ذلك رادّ تلميحاً وهو مما يفهم ولا يحتاج إلى تفصيل ولا تسمية صريحة باسمه . قال ابن حجر : « وفيه الإكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة ، وإنما كرره مع كونها لم تفهمه أولاً ، لأن الجواب به يؤخذ من إعراضه بوجهه عند قوله « توضيء »[(٢)] أي في المحل الذي يستحى من مواجهة المرأة بالتصريح به ، فاكتفى بلسان الحال عن لسان المقال ، وفهمت عائشة رضي الله عنها ذلك عنه فتولت تعليمها . [(٣)] وقال : وفيه حسن خلقه ﷺ وعظيم حلمه وحيائه ، زاده الله شرفاً [(٤)] .

٢- عن سليمان بن صُرَد استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس ، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه ، فقال النبي ﷺ : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال : إني لست بمجنون ؟ » [(٥)].

---

(١) النووي شرح مسلم ٤ / ١٤ .

(٢) رواية أخرى للبخاري برقم (٣١٥) ، كتاب الحيض ، باب غسل المحيض .

(٣) ، (٤) فتح الباري ١ / ٤١٦ .

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦١١٥) ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، ومسلم برقم (٢٦١٠) ، كتاب البر والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب .

المعنى الإجمالي :

تبادل رجلان السب عند رسول الله ﷺ وكان أحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، والرجل يسمع فقال الصحابة له ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ ؟ ويقصدون قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وكان الغضب قد أخذ منه كل مأخذ فقال : إني لست بمجنون » اعتقاداً منه أن الاستعاذة من الشيطان إنما هي للمجنون .

قال النووي : « فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى ، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة ، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون ، ولم يعلم أن الغضب من نزعات الشيطان ، لهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله ... » . (١)

الدراسة :

حين رأى النبي ﷺ ما حصل مع الرجلين وغضب أحدهما الشديد قال مقولته : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد » ملمحاً بها للرجل المغضب وهو يسمع ، لأنه كان بحضرة النبي ﷺ والصحابة يسمعون كذلك ، ولم يقل النبي ﷺ : يا هذا قل كلمة يذهب بها عنك الغضب ، وإنما قال : « إني لأعلم كلمة لو قالها » ، وكأنه عليه السلام يُسمّعُ بها ، فهو هنا أشار إشارة للرجل وهو يسمع عله يقولها من نفسه ، ولكنه لم يفعل . والشاهد من ذلك أن النبي ﷺ لمح وعّرض بمراده دون توجيه مباشر للرجل لأن الرجل كان في حالة غضب شديد وغير آبه بقول أحد في تلك اللحظة ، فاستخدم النبي ﷺ ذلك الأسلوب في التبليغ والتعليم عله يكون أدعى وأقرب إلى قبوله . وكذلك فيه رأفة بالرجل حين لم يوجه له الخطاب مباشرة ، فقد يرده ويكون بذلك قد رد شيئاً على النبي ﷺ ، فيخسر بذلك دينه وهو في هذه الحالة .

---

(١) النووي شرح مسلم ١٦ / ١٢٥ .

٣- عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن حفصة رضي الله عنها قالت :

قال النبي ﷺ : « نعم الرجل عبد الله ، لو كان يصلي من الليل » قال سالم : فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً . [١]

المعنى الإجمالي :

قال النبي ﷺ هذا الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في نهاية قصة حصلت له ، ويبين ذلك الرواية التي يرويها عن نفسه قال : كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ ، فتمنيت أن أرى رؤى فأقصها على رسول لله ﷺ ، وكنت غلاماً شاباً ، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار . قال : فلقينا ملك آخر فقال لي : لم تُرَعْ » . [٢]

وفي رواية « فقصصتها على حفصة ، فقصتها حفصة على رسول لله ﷺ فقال : نعم الرجل عبد الله لوكان يصلي من الليل . فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً » . [٣]

الدراسة :

كان النبي ﷺ يعمل أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - وقد كان شاباً صغيراً - لا يقوم الليل ، فأراد عليه السلام حين ذكرت له حفصة رؤياه أن ينبهه إلى تقصير أو ضعف في مثله ، وكان هذا عن طريق التلميح والتعريض والإشارة ، فقال : نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » . فهو ﷺ لم يقل لحفصة قولي له أن يقوم الليل ، أو فليقم عبد الله الليل ، أو لماذا لا يقوم عبد الله الليل ؟ أو ناداه وناصحه وحثه على ذلك ، لم يقل هذا كله ، بل قال

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٣٩) ، كتاب فضائل الصحابه ، باب : مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وأخرجه مسلم (٢٤٧٩) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضل مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(٢) ، (٣) أخرجه البخاري (١١٢١) ، (١١٢٢) ، كتاب التمهيد ، باب : فضل قيام الليل .

مقولته السابقة . ففهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما تلميح النبي ﷺ فاستجاب استجابة سريعة ، حتى قالت حفصة رضي الله عنها : فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً » .

وقد ذكر ابن حجر كلاماً للقرطبي في مسألة تنبيه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقيام الليل حين رأى تلك الرؤيا نذكرها للفائدة ، قل القرطبي : «إنما فسر الشارع من رؤيا ابن عمر ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها ، وقيل لا روع عليك وذلك لصالحه ، غير أنه لم يكن يقوم من الليل ، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يُتقي به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك .[1] وأشار المهلب : إلى أن السر في ذلك كون عبب الله كان ينام في المسجد ومن حق المسجد أن يُتعبد فيه ، فنبه على ذلك بالتخويف من النار .[2]

٤- عن عائشة رضي الله عنها : صنع النبي ﷺ شيئاً فرخَّص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب ، فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيئ أصنعه ، فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .[3]

المعنى الإجمالي :

إن النبي ﷺ صنع شيئاً فرُخص له فيه ، فأخذ بالرخصة ، وتنزه عنه قوم من الصحابة رضي الله عنهم ، ظناً منهم أن ذلك أقرب عند الله ، فغضب ﷺ ، فخطب فحمد الله ثم قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » قال النووي : « إنهم يتوهمون أن سَنَنَهم - طريقهم - عما فعلت أقرب لهم عند الله ، وإن فُعِلَ خلاف ذلك ، وليس كما توهموا ، بل أنا أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية . وإنما يكون القرب

(١) ، (٢) فتح الباري ٣ / ٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦١٠١) ، كتاب الأدب ، باب : من لم يواجه الناس بالعتاب ، وأخرجه مسلم برقم (٢٣٥٦) ، كتاب الفضائل ، باب : أسماؤه ﷺ وعلمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته .

إليه سبحانه وتعالى ، والخشية له على حسب ما أمر ، لا بمخيلات النفوس ، وتكلف أعمال لم يأمر بها » .[1] وقال ابن حجر في ذلك أيضاً : « جمع بين القوة العلمية والقوة العملية ، أي أنهم توهموا أن رغبتهم عما أفعل أقرب عند الله ، وليس كذلك ، إذ هو أعلمهم بالقربة وأولاهم بالعمل بها » .[2]

الدراسة :

عرض النبي ﷺ بقوله « ما بال أقوام » ولم يذكرهم أو يشير إليهم بذواتهم مع أنه يعرفهم ، فعرض بهم بأسلوب التلميح لإعراضهم عن فعله عليه السلام ، وترخصه في أمر معين، وأن هذا مخالف لهديه ﷺ . فخطب في الناس جميعاً وهم حاضرون فيسمعون الكلام مع سائر الناس مع معرفتهم أنهم هم المقصودون بالحديث ، وهذا أدعى إلى قبولهم واستحيائهم من فعلهم ، وفيه حفظ لقدرهم وعدم تميزهم بالمخالفة ، قال ابن بطال : « .... مع الإبهام فلم تحصل المواجهة وإن كانت صورتها موجودة وهي مخاطبة من فعل ذلك لكنه لما كان من جملة المخاطبين ، ولم يميز عنهم صار كأنه لم يخاطب » [3] وفي ذلك من الرفق واللطف وحسن المعاشرة ما فيه ، قال النووي : « وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزيز والإنكار في الجمع ، ولا يعين فاعله ، فيقال : ما بال أقوام ؟ ونحوه » [4] . وقال ابن بطال : « كان النبي ﷺ رفيقاً بأمته فلذلك خفف عنهم العتاب ، لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة ، ولو كان ذلك حراماً لأمرهم بالرجوع إلى فعله . قلت - ابن حجر - أما المعاتبة فقد حصلت منه لهم بلا ريب ، وإنما لم يميز الذي صدر منه ذلك ستراً عليه ، فحصل منه الرفق من هذه الحيثية لا بترك العتاب أصلاً » . [5]

---

(١) النووي شرح مسلم ١٥/٤٩٥ .

(٢) ، (٣) فتح الباري ١٠ / ٥١٣ .

(٤) النووي شرح مسلم ١٥ / ٤٩٥ .

(٥) فتح الباري ٥١٣/١٠ .

وهكذا فقد كان ﷺ يُبهم ولا يصرح ، ويعرض ولا يعين ، وذلك في مواضع كثيرة ، متى كانت الحاجة لا تدعو إلى التصريح والتعيين ، مع معرفته بهم .

ومثل هذا الحديث أحاديث كثيرة ، تدل على أن النبي ﷺ كان يتخذ مثل هذا الأسلوب باستمرار إذا اقتضى الحال . والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ؟ فاشتد قوله في ذلك حتى قال : لينتهُن عن ذلك أو لتُخطفن أبصارهم » . (١)

٢- عن الحكم بن ميناء أن عبد الله بن عمر وأبا هريرة رضي الله عنه حدثاه أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره : « لينتهن أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » . (٢)

٣- عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما بال رجال يواصلون ؟ إنكم لستم مثلي ، أما والله لو تَمَادَّ لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم » . (٣)

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٠) ، كتاب الأذان ، باب : رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، ومسلم برقم (٤٢٨) ، (٤٢٩) ، كتاب الصلاة ، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة .

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٥) ، كتاب الجمعة ، باب في التغليظ في ترك الجمعة .

(٣) أخرجه مسلم (١١٠٤) كتاب الصوم ، باب : النهي عن الوصال .

الخلاصة :

إن النبي ﷺ كان يستخدم أسلوب التصريح والتلميح في تبليغ الناس وتعليمهم هذا الدين ، وأن ذلك يكون حسب مقتضى الحال ، وأن تكون المصلحة في ذلك إما تصريحاً أو تلميحاً ومن خلال ما سبق يمكن أن نخلص إلى أمور منها :

أولاً : استخدم النبي ﷺ أسلوب التصريح والتلميح في التبليغ والتعليم .

ثانياً : كان تصريحه لأسباب منها : ما تدعو الحاجة إليه للتفصيل في ذلك ، لتأكيد الشيء ، ولكون أقوى من البيان وأوقع في النفس .

ثالثاً : كان التلميح لأسباب منها : مالا تدعو الحاجة إلى التفصيل فيه ، ولعدم ذكر ما يُستقبح أو يُستحىَ من ، مع إمكان فهمه دون تصريح ، وإذا كان التلميح أقرب إلى قلب السامع ونفس المتعلم ، أو مما يخشى منه رد الحق ،

رابعاً : أن يكون استخدام هذا الأسلوب حسب ما يقتضيه الحال .

الفصل الثاني

التكـــرار

الفصل الثاني

التكرار

التكرار هو أسلوب من أساليب التعليم التي كان يستخدمها النبي ﷺ بكثرة في تبليغ الدين ، وتعليم الناس ، ويدل على ذلك حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : «أنه كان إذا سلم سلم ثلاثاً ، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً»(١). وعنه عن النبي ﷺ : «أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً»(٢). وقال ابن المنير : نبه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث ، وأنكر على الطالب الاستعادة وعده من البلادة ، قال : والحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح ، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة إذا استعاد ، ولا عذر للمفيد إذا لم يعد بل الإعادة عليه آكد من الابتداء ، لأن الشرع ملزم (٣). وقال ابن التين : فيه إن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان (٤). وله ﷺ في ذلك صور كثيرة مختلفة متعددة . وأقصد بذلك أن النبي ﷺ ما كان يكرر الكلمة أو الجملة دون قصد ، ولا يؤخر التكرار أو يقدمه في أول الكلام دون غاية ، بل كان عليه السلام له أغراض مختلفة في ذلك ، ويدل على ذلك اختلاف أنواع التكرار لديه ، والتقديم والتأخير كل بحسب مايريد عليه السلام . فمن حيث الموقع نجد أن التكرار يكون في أول الحديث ، أو وسطه ، أو آخره ، وقد يكون بكلمة بيان أو جملة ، أو قسم، أو نداء ، أو سلام ، وكل هذا لأغراض وغاية معينة يدل عليها سياق الحديث ، وموقع التكرار ، ومن هذه المقاصد مثلاً : الإعذار والإنذار ، أو ليفهم عنه ويُعقل ويُحفظ ، أو لتأكيد المضمون ، أو للزجر ، أو التهديد والوعيد ، أو التنبيه والتعظيم ، والاستعداد للتلقي ، وغير ذلك . وأسلوب التكرار أسلوب مفيد ، وهو من أحسن أساليب التعليم ، وبه يحصل خيرٌ كثير ، ولا أدل على ذلك من استخدام النبي ﷺ له ، بل إن بعض الصحابة يراجع النبي ﷺ فيما

---

(١)(٢) أخرجه البخاري (٩٤) ، (٩٥) ، كتاب العلم ، باب : من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه .

(٣)(٤) فتح الباري ١/١٨٩ .

قال فيكرر عليه السلام ما قال له من قبل ، ومنهم من يطلب الإعادة والتكرار بصورة صريحة كما فعل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - كما سيأتي بإذن الله .

ولعلنا نعرض فيما يلي النماذج المختارة والتي من خلالها نطلع على أسلوب النبي ﷺ ومنهجه في أسلوب التكرار ، وبالله نستعين .

(١) التكرار للتأكيد :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الدين النصيحة ، ثلاث مرات» ، قالوا يارسول الله : لمن ؟ قال : «لله ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١].

غريب الحديث :

النصيحة : كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له [٢].

المعنى الإجمالي :

وأنقل هنا شرحاً للإمام النووي عن هذا الحديث بتمامه وذلك لفائدته العظيمة لمن أراد ذلك وأكتفي بذلك :

قال الإمام النووي رحمه الله : وأما شرح هذا الحديث فقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له . قال : ويقال : هو من وجيز الأسماء ، ومختصر الكلام ، وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة . كما قالوا في الفلاح ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن تميم الداري برقم (٥٥)، كتاب الإيمان ، باب : الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، و أخرجه الترمذي في سننه برقم (١٩٩٠) ، واللفظ له ، أبواب البر والصلة ، باب : في النصيحة . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٥٧٠) .

(٢) النووي شرح مسلم ، ٢/٢٢٩ .

قال : وقيل : النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه . فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب . قال : وقيل : إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع ، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط . قال : ومعنى الحديث : عماد الدين وقوامه النصيحة . كقوله : «الحج عرفة» أي عماده ومعظمه عرفة . وأما تفسير النصيحة وأنواعها فقد ذكر الخطابي وغيره من العلماء فيها كلاماً نفيساً أنا أضم بعضه إلى بعض مختصراً . قالوا : أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ، ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته، وشكره عليها ، والإخلاص في جميع الأمور ، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة ، والحث عليها ، والتلطف في جميع الناس ، أو من أمكن منهم عليها . قال الخطابي رحمه الله : وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه ، فالله تعالى غني عن نصح الناصح ، وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله ، لايشبهه شيء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها والخشوع عندها ، وإقامة حروفه في التلاوة وتحسينها ، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه ، والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته . وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه ، وتوقيره ، وإحياء طريقته وسننه ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ، ونفي التهمة عنها ، واستثارة علومها والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها ، وإعظامها ، وإجلالها ، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ،

والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته ، أو تعرض لأحد من أصحابه ، ونحو ذلك . وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم . قال الخطابي رحمه الله : ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح . وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات . وهذا هو المشهور . وحكاه أيضاً الخطابي . ثم قال : وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين ، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه ، وتقليدهم في الأحكام ، وإحسان الظن بهم . وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم ، وكف الأذى عنهم فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ، ويعينهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم ، وتخولهم بالموعظة الحسنة ، وترك غشهم وحسدهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه ، والذب عن أموالهم وأعراضهم ، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل ، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة ، وتنشيط هممهم إلى الطاعات . وقد كان في السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه . والله أعلم .هذا آخر ما تلخص في تفسير النصيحة . قال ابن بطال رحمه الله في هذا الحديث : إن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول . قال : والنصيحة فرض يجزى فيه من قام به ، ، ويسقط عن الباقين . قال : والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذ علم الناصح أنه يقبل نصحه ، ويطاع أمره ، وأمن على نفسه المكروه. فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة . والله أعلم [١].

---

(١) النووي شرح مسلم ، ٢/٢٢٩ .

الدراسة :

نجد هنا أن النبي ﷺ ابتدأ الحديث بالتكرار ثلاثاً لقوله : «الدين النصيحة» وهذه إشارة إلى تأكيد مضمون هذه الكلمة العظيمة والتي تبين معناها خلال كلام الإمام النووي السابق ، فالصحابة رضي الله عنهم حين سمعوا النبي ﷺ بدأ الحديث بذلك وبهذا الأسلوب الذي فيه تكرار للجملة يعني بذلك أن مضمون هذه الكلمة عظيم ، ويؤكد هذا المضمون تكراره لها . قال المباركفوري : أي ذكرها ثلاثاً للتأكيد بها والاهتمام بشأنها [1].

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اللهم اغفر للمحلقين» ، قالوا وللمقصرين ، قال : «اللهم اغفر للمحلقين» ، قالوا : وللمقصرين ، قالها ثلاثاً قال : «وللمقصرين»[2].

المعنى الإجمالي :

دعا النبي ﷺ للمحلقين في الحج ثلاث مرات ، وكان الصحابة يقولون والمقصرين يارسول الله ، فلم يزد إلا أن يدعو للمحلقين عليه السلام حتى الثالثة ، ثم قال «وللمقصرين» وفيه بيان فضل المحلقين على المقصرين .

الدراسة :

كرر النبي ﷺ الدعاء للمحلقين بقوله : «اللهم اغفر للمحلقين» ثلاث مرات ، وفي ذلك تأكيد فضل ومزية على المقصرين ، قال ابن حجر : وفي الحديث : تكرار الدعاء لمن فعل الراجح من الأمرين المخير فيهما والتنبيه بالتكرار على الرجحان وطلب الدعاء لمن فعل الجائز وإن كان مرجوحاً [3]. فاستخدام النبي ﷺ التكرار هنا هو لتأكيد الفضل والدرجة للمحلقين .

---

(١) تحفة الأحوذي ٦/٥٢ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٢٨) ، كتاب الحج ، باب : الحلق والتقصير عند الإحلال ، ومسلم برقم (١٣٠٢) ، كتاب الحج ، باب : تفضيل الحلق على التقصير .

(٣) فتح الباري ٣/٥٦٥ .

٣ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه على الرحل - قال : «يا معاذ بن جبل . قال : لبيك يارسول الله وسعديك . قال : يامعاذ . قال : لبيك يارسول الله وسعديك (ثلاثاً) .... » [١].

الدراسة :

نادى النبي ﷺ وقد كان رديفه باسمه واسم أبيه ، ثم سكت ، ثم ناداه مرة أخرى باسمه ، ثم سكت ، وفعل الثالثة مثل ذلك ، وكان معاذ يقول : «لبيك يارسول الله وسعديك» ومعاذ لايدري ما يريد النبي ﷺ ، لكنه علم أن هناك أمراً مهماً وعظيماً كان النبي ﷺ يعده لسماعه ، فاستحضر معاذ ذهنه وفكره لتلقي ما سيقوله عليه السلام . فقد أراد النبي عليه السلام من هذا التكرار أن يحضر معاذ ذهنه وفكره ليتلقى ما سيخبره به عليه السلام ، فاستخدم النبي عليه السلام هذا الأسلوب العظيم في تنبيه معاذ وجلب فكره .

(٢) التكرار للإفهام :-

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني ، قال : «لا تغضب». فردد مراراً ، قال «لا تغضب»[٢].

وعند الترمذي قال «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : علمني شيئاً ولا تكثر علي لعلي أعيه... »[٣].

وعند الإسماعيلي عن عثمان بن أبي شيبة قال : «لا تغضب ثلاث مرات» [٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨) ، كتاب العلم ، باب : من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لايفهموا .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١١٦) ، كتاب الأدب ، باب : الحذر من الغضب .

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٨٩) ، كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في كثرة الغضب ، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم (١٦٤٤) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٨٧٢٩) ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح.

(٤) فتح الباري ٥١٩/١٠ .

المعنى الإجمالي :

جاء رجل إلى النبي ﷺ يطلب من النبي أن يرشده إلى ما ينفعه في دينه ودنياه ويقربه إلى الله فقال له : «لا تغضب» . قال المباركفوري : قيل لعل السائل كان غضوباً ، وكان النبي ﷺ يأمر كل أحد بما هو أولى به فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب (١).

وقال الخطابي : معنى قوله لا تغضب : اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه (٢). ومن تأمل مفاسد الغضب عرف عظم هذه الكلمة كما يقول ابن حجر : عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ :«لا تغضب» من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفسدة مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته ، وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الغضب الديني (٣). ثم إن الرجل أعاد على النبي ﷺ أوصني وردد ذلك مراراً فلم يزد النبي عليه السلام على قوله الأول : «لا تغضب» . قال الملا علي القاري : قال بعض المحققين : الغضب من نزعات الشيطان يخرج به الإنسان عن حد الاعتدال صورة وسيرة حتى يتكلم بالباطل ، ويفعل المذموم شرعاً وعرفاً ، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح التي كلها من أثر سوء الخلق، بل قد يكفر ، ولهذا قال : لا تغضب وأصر عليه مع إلحاح السائل مريداً للزيادة أو التبديل فكأنه قال له : حسن خلقك (٤).

الدراسة :

جاء الرجل إلى النبي ﷺ أن يوصيه ، وفي الرواية الأخرى قال : «علمني شيئاً ولا تكثر علي لعلي أعيه» ، فأخبره ﷺ بكلمة موجزه مختصرة جامعة لخير عظيم ، وهي سهلة يسيرة ليفهمها هذا الرجل ، فقال «لا تغضب» ثلاث مرات ، قال ابن حجر : وفي رواية عثمان بن أبي

---

(١)(٢) تحفة الأحوذي ١٦٤/٦ .

(٣) فتح الباري ٥١٩/١٠ .

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ٨٢٥/٨ .

شيبة قال : «لا تغضب ثلاث مرات» ، وفيها بيان عدد المرات ، وقد تقدم حديث أنس أنه ﷺ كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه ، وأنه كان لايراجع بعد ثلاث [١]. فالنبي ﷺ حين كرر على السائل قوله «لا تغضب» كان لأجل أن يفهمها الرجل ويعيها كما طلب السائل ذلك ، وقد اختصر النبي ﷺ معاني عظيمة في جملة أو كلمة صغيرة حتى يحقق مراد السائل ، قال ابن رجب : فهذا الرجل طلب من النبي ﷺ أن يوصيه وصية وجيزة جامعة لخصال الخير ليحفظها عنه خشية أن لا يحفظها لكثرتها فوصاه النبي ﷺ أن لا تغضب ، ثم ردد هذه المسألة عليه مراراً ، والنبي ﷺ يرد عليه هذا الجواب»[٢]. فإذا كان هذه الجملة الصغيرة تحوي هذا المعنى العظيم ثم يكررها النبي ﷺ فإنما قصد من ذلك إفهام السائل ما تحويه هذه الكلمة من معانٍ عظيمة ، قال الملا علي القاري : وهو من جوامع الكلم ، فالحديث من بدائع الكلم ، ثم علاجه معجون مركب من العلم والعمل بأن يرى الكل من الله ، ويذكر نفسه إن غضب الله أعظم وفضله أكثر ، وكم خالف أمره ولم يغضب عليه ويتعوذ ويتوضأ ويشغل نفسه بشيء . قال التوربشتي : قد كان ﷺ مكاشفاً بأوضاع الخلق عارفاً بأدوائهم يضع الهنا موضع النقب بأمرهم بما هو أولى بهم ، فلما استوصاه الرجل وقد رآه مملوءاً بالقوة الغضبية لم ير له خيراً من أن يتجنب عن دواعي الغضب ويزحزح نفسه عنه [٣]. والمراد من الاستشهاد فيما مضى هو بيان ما تحويه هذه الكلمة من عظيم المعاني وتكرار النبي ﷺ إنما هو لتفهم عنه .

---

(١) فتح الباري ١٠/٥١٩ .

(٢) جامع العلوم والحكم ص١٥٧ .

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/٨٢٦ .

٢ - الحديث الثاني :

وعن ابن عباس أن ضماداً قدم مكة ، وكان من أزد شنوءة ، وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون ، فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي ، قال : فلقيه فقال : يا محمد إني أرقى من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد : » قال : فقال : أعد عليّ كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، قال : فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر . قال : فقال : «هات يدك أبايعك على الإسلام» قال : فبايعه فقال رسول الله ﷺ : «وعلى قومك» ، قال : وعلى قومي ، قال : فبعث رسول الله ﷺ سرية ، فمروا بقومه ، فقال صاحب السرية للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ فقال رجل من القوم : أصبت منهم مطهرة ، فقال : ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد [١].

غريب الحديث :

الريح : الجنون ومس الجن ، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس فهم كالروح والريح [٢].

ناعوس البحر : لجته ، وقيل : قعره ، وقيل : وسطه وغير ذلك [٣].

المِطْهَرَةُ : مايُتطهر به ، والمطهرة كل إناء يُتطهر منه ، كالإبريق والسطل والركوة وغيرها . وكذلك مايُتطهر فيه [٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨) كتاب الجمعة ، باب في خطبته صلى الله عليه وسلم .

(٢)(٣) النووي شرح مسلم ٤٦٧/٦ .

(٤) المعجم الوسيط مادة : « طهر » .

الدراسة :

طلب ضماد رضي الله عنه من النبي ﷺ أن يعيد ما قاله في خطبة الحاجة حيث استوقفته حتى يتأملها ، ويفهم معناها ، فأجابه النبي ﷺ لذلك فأعادها له ثلاثاً مع أنه لم يطلب إلا الإعادة ولكن كعادته ﷺ في إعادة الكلام ثلاثاً ليفهم ، وهو ما حصل حين انتهى عليه السلام من الإعادة فهم الكلام ضماد ، فقال وهو العارف : لقد سمعت قول الكهنة ... » إلى آخر كلامه ، والمراد أن ضماداً طلب الإعادة ليفهم الكلام ويعقله عنه عليه السلام وأجابه عليه السلام لذلك وزيادة لما رأى من فائدة ذلك .

(٣) التكرار للزجر والتعظيم :

١ - عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً) ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وجلس وكان متكئاً ، فقال : ألا وقول الزور . قال : فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت»[١].

غريب الحديث :

عقوق : من العق : الشق والقطع ، يقال : عق والده يعقه عقوقاً فهو عاق إذا آذاه وعصاه وخرج عليه [٢].

الزور : الكذب ، والباطل ، والتُّهمة [٣].

المعنى الإجمالي :

أراد النبي ﷺ أن يبين أكبر الكبائر وذكر منها : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ثم جلس لينبه ويؤكد ما يريد قوله فقال : ألا وقول الزور ، وهو الكذب والباطل ، والتهمة للناس حتى كررها كثيراً لأهميتها والزجر عنها ، فأشفق الصحابة عليه ﷺ فتمنوا أن سكت إشفاقاً عليه . قال ابن حجر : أي شفقة عليه ، وكراهية لما يزعجه . وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه [٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤) ، كتاب الشهادات ، باب : ما قيل في شهادة الزور ، و مسلم في صحيحه برقم(٨٧) ، كتاب الإيمان ، باب : الشرك أقبح الذنوب وعقوق الوالدين وشهادة الزور .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : (عَقَّ) .

(٣) المرجع السابق مادة : (زور) .

(٤) فتح الباري ٥/٢٦١ .

الدراسة :

في هذا الحديث حصل التكرار في أول الحديث وفي آخره ، فحين قال ﷺ ابتداء : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» كررها ثلاثاً ، وهذا فيه تنبيه للسامع ، وتهيئة له للتلقي لأهمية ما سوف يسمع ، قال ابن حجر : « قوله «ثلاثاً» أي قال لهم ذلك ثلاث مرات وكرره تأكيداً لينتبه السامع على إحضار فهمه» (١)، وقد ترجم البخاري في العلم «من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ، وذكر فيه طرفاً من هذا الحديث تعليقاً . وهكذا المتعلم حين يسمع مثل هذا التكرار مع بداية حديث المتكلم فيتنبه له ، ويستعد لسماع ما سيقوله بعد ذلك . ومن ثم يتحقق مراد المتحدث من انتباه السامع ، وحفظ ما سيقوله له . وأما التكرار الآخر في آخر الحديث فإن النبي ﷺ أراد أن يعظم قبح قول الزور ، ويزجر عنه ، فلما وصل إلى قوله «ألا وقول الزور» اعتدل في جلسته وقد كان متكئاً ثم ما زال يكررها . وهكذا بين من خلال فعله وقوله عليه السلام عظم قول الزور للزجر عنه وعدم اقترافه ، ودل اعتداله في جلسته عليه السلام دلالة بينة على أهمية وعظم ما سيقول ، ثم لما قال «ألا وقول الزور» كررها مراراً أيضاً ، لتعظيم هذه الكبيرة والزجر عنها، فما أعظمه من معلم ، قال ابن حجر : «وجلس وكان متكئاً» يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئاً ، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه ، وعظم قبحه ، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر ، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم ، والعقوق يصرف عنه بالطبع ، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما ، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه ، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعاً ، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد ، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالباً» (٢). فالسامع حين يرى المتكلم يردد الكلمة ، وهو منزعج لاشك أنه يشعر بعظم هذه الكلمة ، وإن المراد الزجر عنها ، والتحرز من الوقوع فيها ، خاصة

---

(١) فتح الباري ٥/٢٦١ .

(٢) فتح الباري ٥/٢٦٣ .

وإن النبي عليه السلام لم يسكت عند الثالثة بل استمر في تكرارها مراراً على غير العادة ، وهذه إضافة أخرى للتعظيم والزجر عن قول الزور . قال ابن حجر : وفيه ... وانزعاج الواعظ في وعظه ليكون أبلغ في الوعي عنه ، والزجر عن فعل ما ينهى عنه [1]. ويتبين انزعاج النبي ﷺ من قول الصحابة رضي الله عنهم «ليته سكت» إشفاقاً عليه ﷺ وبذلك بلغت الموعظة محلها بأبلغ ما يكون .

٢ - عن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما يحدث قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة من جهينة ، قال فصبحنا القوم فهزمناهم ، قال : ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، قال فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، قال فكف عنه الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته . قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ ، قال : فقال لي : يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ قال : قلت يا رسول الله إنه إنما كان متعوذاً ، قال : قتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ قال فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[2].

غريب الحديث :

غشيناه : لحقنا به حتى تغطى بنا [3].

متعوذاً : معتصماً بها [4].

المعنى الإجمالي :

بعث رسول الله ﷺ بسرية وفيهم أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما لقوم فهزموهم ولحق أسامة برجل منهم فقال الرجل لا إله إلا الله فقتله أسامة لظنه أنه قالها خوفاً من القتل

---

(١) فتح الباري ٤١٢/١٠ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٨٧٢) ، كتاب الديات ، باب قول الله تعالى «ومن أحياها ...» ، وأخرجه مسلم برقم (٩٦) ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله .

(٣) فتح الباري ١٩٥/١٢ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : (عوذ) .

فلما بلغ النبي ﷺ فعل أسامة رضي الله عنه غضب غضباً شديداً ، وزجره وقال : أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ فاعتذر بأنه متعوذ ، فما زال الرسول ﷺ يكررها على أسامة زجراً له ، فقال أسامة : تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم وذلك لأن الإسلام يجب ما قبله وليس المراد أنه لم يرد أن يكون مسلماً قبل هذا . قال ابن حجر في ذلك : أي أن إسلامي كان ذلك اليوم لأن الإسلام يجب ما قبله ، فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن جريرة تلك الفعلة ، ولم يرد أنه تمنى أن لا يكون مسلماً قبل ذلك [١].

الدراسة :

قول النبي ﷺ «قتلته بعدما قال لا إله إلا الله» ؟ قال : فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . فالنبي عليه السلام حين قال لأسامة ذلك كان يستطيع أن يكتفي بما قال دون تكرار ، ولكن النبي عليه السلام أراد أن يبين لأسامة والصحابة جميعاً خطأ فعل أسامة رضي الله عنه ، وأن يعلمهم عظم مثل هذا العمل ، مع علمه يقيناً عليه السلام أن أسامة إنما فعل ذلك متأولاً ، لكنه عليه السلام كرر هذه الكلمة لأجل أن ينزجر أسامة وأن لا يفعل ذلك أحد من المسلمين لو كان في الموقف نفسه ، ثم أنه أراد ﷺ أن يبين عظم منزلة هذه الكلمة ، وهي كلمة التوحيد والتي بها يدخل الكافر الإسلام .

قال القرطبي : «في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك»[٢]. وقال ابن التين : «في هذا اللوم تعليم ، وإبلاغ في الموعظة ، حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد» [٣]. ومن شدة الإنكار والزجر من النبي ﷺ لأسامة رضي الله عنه قال أسامة ما قال : «حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» . قال القرطبي : «وفيه إشعار بأنه كان استصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح في مقابلة هذه الفعلة لما

---

(١) فتح الباري ١٢/١٩٦ .

(٢)(٣) المرجع السابق ١٢/١٩٦ .

سمع من الإنكار الشديد ، وإنما أورد ذلك على سبيل المبالغة» [١]. وأمر آخر ، أن النبي ﷺ لما أخذ يكرر مقولته على أسامة رضي الله عنه لم يكتف بثلاث مرات ، وإنما زاد عليها ، ويتضح ذلك من قوله : «فما زال يكررها علي حتى ....» يدل على أن التكرار في مثل هذ الموضع إنما هو للزجر والتعظيم .

وللمعلم أن يستخدم مثل هذا الأسلوب في مثل هذه المواقف للمصلحة المرجوة من مثل هذا ، فإنه يكون أبلغ في الموعظة وأقوى في الزجر والنهي عن العودة إلى مثل هذا ، فقد يحتاج المعلم والمربي إلى أن يزجر ، أو أن يعظم أمراً عند المتعلمين أو المتربين ، فيكون هذا الأسلوب نافعاً وفعالاً أيما نفع في الموقف الذي يناسبه . والله أعلم .

٣ - عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال : يارسول الله ائذن لي أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني ، فقال نبي الله ﷺ سلني عم شئت ، فقال يانبي الله حدثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيرها ، قال نبي الله ﷺ بَخٍ بَخٍ بَخٍ لقد سألت بعظيم لقد سألت بعظيم ثلاثاً ، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ، فلم يحدثه بشيء إلا قاله ثلاث مرات ، يعني أعاده عليه ثلاث مرات حرصاً لكيما يتقنه عنه فقال نبي الله ﷺ : «تؤمن بالله واليوم الآخر وتقيم الصلاة وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك» فقال : يا نبي الله أعد لي فأعادها له ثلاث مرات...»[٢].

غريب الحديث :

بخ بخ بخ : هي كلمة تقال عند المدح ، والرضى بالشيء وتكرر للمبالغة كما هنا ، وبخبخت الرجل إذا قلت له ذلك ، ومعناه تعظيم الأمر وتفخيمه [٣].

---

(١) فتح الباري ١٢/١٩٦ .

(٢) أخرجه أحمد ٥/٢٤٥ ، الفتح الرباني برقم (٣) ، كتاب الإيمان والإسلام باب ماجاء في فضلهما ، والترمذي (٢٦١٦) كتاب الإيمان ، باب حرمة الصلاة ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢١١٠) .

(٣) الفتح الرباني ١/٦٠ .

المعنى الإجمالي :

سأل معاذ بن جبل رضي الله عنه النبي ﷺ عن أمر يدخله الجنة فبخبخ له النبي ﷺ تعظيماً لسؤاله ، وكرر ذلك وكان يكرر كل كلامه معه عليه السلام ، فأخبره فقال : تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتقيم الصلاة ، وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً حتى تموت ، وأنت على ذلك» فطلب معاذ رضي الله عنه إعادة ما قاله عليه السلام فأعادها عليه ثلاثاً .

الدراسة :

في هذا الحديث استخدم النبي ﷺ التكرار في أربعة مواضع كان لها سبب وأهمية خاصة نعرض لكل واحدة منها على حدة . أما الموضع الأول فهو قوله عليه السلام : «بَخٍ بَخٍ بَخٍ» هي كلمة للتعظيم والتفخيم وأراد ﷺ أن يلفت انتباه معاذ على أن ما سأل عنه أمر عظيم ، وهذا فيه تنبيه جيد وهو ثناء غير مباشر لمعاذ رضي الله عنه حين سأل مثل هذا السؤال ، ويدل على ذلك ما أتبعه النبي عليه السلام بالكلمة التي بعدها كما سيأتي في الموضع الثاني .

الموضع الثاني : قوله عليه السلام «لقد سألت بعظيم لقد سألت بعظيم ثلاثاً» وهذا أيضاً تكرار يؤكد ما قبله من تكرار ، وفيه زيادة تنبيه ، وتعظيم صريح لما سأل عنه معاذ رضي الله عنه ، وهنا أصبح معاذ رضي الله عنه في وضع كله ترقب وإحضار فكر وشوق لما سيسمع من النبي عليه السلام .

ثم قال : إنه لم يحدثه بشيء إلا قاله ثلاث مرات ، يعني أعاده عليه ثلاث مرات حرصاً لكيما يتقنه عنه . وهذا فيه تأكيد لما نتحدث عنه ، وهو أن من أحد أغراض التكرار هو الإفهام وإتقان ما يقوله النبي عليه السلام وحفظه عنه ، وهو ما يمكن أن نجعله الموضع الثالث ، ولعله قصد بالتكرار كل ما مضى ومن ذلك قوله : «وإنه ليسير على من أراد الله به الخير» .

الموضع الرابع وهو طلب معاذ بن جبل من النبي ﷺ أن يعيد له ما قال ، فأعاده النبي ﷺ ثلاثاً ، مع أنه كان يستطيع أن يكتفي بواحدة ، لكن لأن في التكرار مزيد فائدة ومنفعة

وتساعد على الإتقان والحفظ كرره ﷺ ثلاثاً ؛ وانظر إلى فعله عليه السلام فلم يمل من التكرار ولم يضجر من معاذ حين طلب منه الإعادة ، بل وزاده في ذلك ؛ لأن ذلك من أنجع أساليب التعليم والتبليغ التي كان عليه السلام يحرص عليها .

(٤) التكرار للوعيد والتهديد والإنذار :

١ - عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ : «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً[١].

غريب الحديث :

ويل : الويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب [٢]. وهي كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب [٣].

الأعقاب : جمع عقب . وعقب القدم وعَقْبُها : مؤخرها [٤].

المعنى الإجمالي :

حذر النبي ﷺ من عدم إسباغ الوضوء ، وأن الجزء الذي لا يصله الوضوء ويل له من النار ، وكرر ذلك مرتين أو ثلاثاً .

الدراسة :

كرر النبي ﷺ وعيده وتهديده لمن توضأ ولم يسبغ وضوءه ، وذلك مرتين أو ثلاثاً ، وأراد بذلك التكرار التهديد والوعيد الشديد لمن يفعل ذلك بتقصير منه . وعند استخدام كلمة وعيد أو تهديد يتم تكرار هذه الكلمة فإن ذلك يكون أشد في التهديد وأعظم في الوعيد .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٦٣) ، كتاب الوضوء ، باب : غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين ، و مسلم في صحيحه برقم (٢٤٠) ، كتاب الطهارة ، باب : وجوب غسل الرجلين بكمالها «ويل للأعقاب من النار»

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : «ويل» .

(٣) لسان العرب ، مادة : «ويل» .

(٤) المرجع السابق ، مادة : «عقب» .

٢ - عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : اتقوا النار ثم أعرض وأشاح ثم قال : اتقوا النار ، ثم أعرض وأشاح ثلاثاً حتى ظننا أنه ينظر إليها . ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » [١].

غريب الحديث :

أشاح : أشاح بوجهه عن الشيء نحاه عنه ، وقال الفراء : المشيح الحذِر ، والجاد في الأمر ، والمقبل في خطابه ، وحكى ابن التين : أشاح صد وانكمش ، وقيل صرف وجهه كالخائف أن تناله النار [٢].

المعنى الإجمالي :

وعظ النبي ﷺ الصحابة ، وأنذرهم ، وحذرهم من النار بقوله «اتقوا النار» ثلاثاً ، وكان يعرض ويصد بوجهه ، وهو يقول ذلك وكأنه يراها ، وينظر ما فيها فأعرض من شدة ذلك ، ثم قال : «اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة» أي لا يعجز الإنسان أن يتقي النار ، ولو بالعمل اليسير السهل من إطعام الطعام والكلام الطيب .

الدراسة :

كرر النبي ﷺ هنا قوله وتحذيره للصحابة من النار ، وكذلك فعله حين قال «اتقوا النار ثم أعرض وأشاح» وذلك ثلاثاً . وجاء التكرار هنا في معرض الإنذار والتحذير ، واجتمع التكرار في القول والفعل ثلاثاً ، وهذا يعطي الإنذار والتخويف قوة في التحذير ، ويكون أوقع في النفس، فالنبي عليه السلام كان يشيح بوجهه ، وكأنه ينظر إليها ، ويأتيه من حرها وحطمتها ما يجعله يصد عنها ، وهذا قمة في التأثير على المستمع ،فالإنسان حين يسمع كلاماً ، ويرى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٤٠)، كتاب الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عذب ، و مسلم في صحيحه برقم (١٠١٦) ، كتاب الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، و أحمد ، الفتح الرباني (٤١٢) .

(٢) فتح الباري ١١/٤٠٥ .

فعلاً يحاكي هذا الكلام ، فإن ذلك يكون أوقع في فكر السامع . وهنا لابد من استخدام هذا الأسلوب في التعليم والتربية والدعوة من قبل من تصدى لذلك ، وذلك في الوقت المناسب والمكان المناسب .

٥ - التحذير بالقسم المكرر :

عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال : «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه» [١].

غريب الحديث :

البوائق : جمع بائقة ، وهي الغائلة والداهية والفتك [٢].

المعنى الإجمالي :

يقسم النبي ﷺ أنه لا يكمل إيمان مؤمن وجاره لا يأمن أذاه وشره فيخاف على نفسه وأهله وماله منه . قال ابن حجر : وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول ، أو الفعل ، ومراده الإيمان الكامل ، ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان [٣].

الدراسة :

كرر النبي ﷺ القسم ثلاث مرات ، وفي هذا تنبيه إلى عظم ما يقوله ﷺ ، وفيه تأكيد للمحذر منه أن ما سيحصل يوم القيامة بسبب هذا متحقق لا محالة ، وفيه تخويف وإنذار على مايرد بعد القسم لأنه لا يمكن أن يقسم النبي ﷺ على شيء إلا وهو عظيم ، فكيف إذا كرر هذا القسم ثلاث مرات !! فالنبي ﷺ يستخدم أسلوب تكرار القسم لتحقيق مثل هذه الأغراض

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٠١٦) ، كتاب الأدب ، باب : إثم من لا يأمن جاره بوائقه ، و مسلم في صحيحه برقم (٤٦)، كتاب الإيمان ، باب : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه .

(٢) النووي شرح مسلم ٢١٣/١ .

(٣) فتح الباري ٤٤٤/١٠ .

مجتمعة أو متفرقة . قال ابن بطال : في هذا الحديث تأكيد حق الجار لقسمه ﷺ على ذلك ، وتكراره اليمين ثلاث مرات[١]. وفي ذلك بيان تحذير النبي ﷺ للأمة من ذهاب الإيمان أو بعضه حين ربط ذهاب الإيمان بذهاب الأمان من الجار خوفاً من جاره ، ولذلك قال ابن حجر : (تنبيه) : في المتن جناس بليغ ، وهو من جناس التحريف ، وهو قوله «لا يؤمن ولا يأمن» فالأول من الإيمان والثاني من الأمان [٢].

٦ - التكرار للإعذار :

عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ خطب يوم النحر فقال : ياأيها الناس ، أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : فأي بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأي شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا . فأعادها مراراً ، ثم رفع رأسه ، فقال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت؟[٣]

* وفي رواية عن أبي بكرة : ... قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

* وفي رواية عند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في حجة النبي ﷺ قال : « ... وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال : بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ... »[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ : كشف الستر ورأسه معصوب ، في مرضه

---

(١) فتح الباري ١٠/٤٤٤ .

(٢) المرجع السابق ١٠/٤٤٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٧٣٩) ، (١٧٤١) ، كتاب الحج ، باب : الخطبة أيام منى .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) ، كتاب الحج ، باب : حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

الذي مات فيه قال : «اللهم هل بلغت» ثلاث مرات «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح ، أو ترى له»(١).

الدراسة :

نجد في نهاية الحديثين أن النبي ﷺ كان يقول «اللهم هل بلغت ، اللهم فاشهد» ، ويكررها ، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يقول ذلك للإعذار عند الله بأنه بلغ ما أرسل به وقد شهد هؤلاء بأنه قد بلغ ، وتكراره ﷺ لذلك هو مزيد إعذار عند الله ، ويمكن أن يكون فيه نوع إنذار للناس حين يسمعون النبي ﷺ يقول مثل هذا ، فإن هذا يجعلهم يحرصون أكثر على ما قاله ﷺ . ويتأكد أن النبي ﷺ كان يقصد الإعذار حين سأل الصحابة : «ألا هل بلغت ؟» فيقول الصحابة : «بلى» فيقول : «اللهم فاشهد» . وكان النبي ﷺ يكثر من مثل هذا السؤال والإعذار بعدما يبلغ شيئاً أو يعلمهم حكماً .

وفي الحديث الأول تكرار أيضاً : في قوله : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام...» فأعادها مراراً . وفي هذا تأكيد لتحريم الدماء والأموال والأعراض كما ذكر عليه السلام ، بل وتغليظ لمن ينتهك هذا التحريم . قال ابن حجر : «فأعادها مراراً» ، لم أقف على عددها صريحاً ويشبه أن يكون ثلاثاً كعادته ﷺ . وفي الحديث من الفوائد أيضاً : وجوب تبليغ العلم على الكفاية ، وقد يتعين في حق بعض الناس ، وفيه تأكيد التحريم والتغليظ بأبلغ ممكن من التكرار ونحوه . وقال أيضاً : وإنما قدم السؤال عنها تذكاراً لحرمتها وتقريراً لما ثبت في نفوسهم ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد » (٢).

ومما سبق يتبين أن النبي ﷺ كان يستخدم التكرار في مسألة الإعذار ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٧٩) ، كتاب الصلاة ، باب : النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود .
(٢) فتح الباري ٣/٥٧٥ .

الخلاصة :

ويمكن لنا إن نقول : إن النبي ﷺ كان يستخدم أسلوب التكرار كثيراً في حديثه أثناء التبليغ والتعليم للصحابة رضي الله عنهم ، وأنه عليه السلام ما كان يستخدمه من غير حاجة أو غرض بل على العكس من ذلك كان يستخدم ذلك لمقاصد وأغراض معينة كان يهدف لها ولا أدل على ذلك من اختلاف أوضاع النبي ﷺ أثناء التكرار ، وموقع التكرار من الحديث ، واختلاف عدد مرات التكرار التي قد تكون محددة بثلاث ، أو أقل ، أو أكثر . ويمكن أن نلخص ذلك في نقاط هي :

١ - استخدم النبي ﷺ التكرار في أول الكلام وفي وسطه وآخره بحسب الحاجة ومقتضى الحال.

٢ - كان عليه السلام يكرر تارة النداء ، أو القسم أو السلام أو كلمات البيان التي أراد أن يوصلها إلى الصحابة رضي الله عنهم .

٣ - أن ورود التكرار عنده عليه السلام لأغراض ومقاصد مختلفة ومتنوعة بحسب الحاجة واختلاف المقصد ، ومنها : التكرار من أجل التأكيد والتنبيه ، وللإفهام والحفظ ، وللزجر والتعظيم ، وللوعيد والتهديد والإنذار ، وللتحذير ، وللإعذار .

فالتكرار هو أسلوب ووسيلة تبليغ وتعليم كان النبي ﷺ يستخدمها بشكل واضح وصريح بل وكان يكثر منها لما لها من تأثير عميق وقوي في نفس المتعلمين والسامعين بمختلف أنواعهم العالم والجاهل منهم ، الكبير والصغير منهم ، وغيرهم .

الفصل الثالث

استخدام الكنايات

الفصل الثالث

استخدام الكنايات

معنى الكناية :-

الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره . وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية : يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه [١].

وقد كنى الله عز وجل في كتابه كثيراً ، كما قال ابن عباس : إن الله كريم يكني [٢]. ومن ذلك قوله تعالى : «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم»[٣]، فكنى بالرفث عن الجماع ، ومنه قوله تعالى : «أو لامستم النساء»[٤]، وقوله : «ولا تقربوهن»[٥] وغير ذلك ، وقد استخدم النبي ﷺ الكنايات في كلامه أثناء تعليمه الناس وتبليغهم الدين وذلك لأسباب كثيرة سنأتي عليها بإذن الله في محلها . قال ابن منظور : الكناية على ثلاثة أوجه [٦]:

أحدها : أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره .

والثاني : أن يكنى الرجل باسمٍ توقيراً وتعظيماً .

والثالث : أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه أ.هـ .

وقد تكون الكناية بترك اللفظ المتطير من كره إلى ما هو أجمل منه ، كقوله «لحق باللطيف الخبير» يكنون به عن الموت ، وكقولهم «للمهلكة» مفازة تفاؤلاً . ومن الكنايات الكناية عن الصناعة الخسيسة بذكر منافعها ، ومنها القصد إلى الذم بلفظ ظاهره المدح ، وغير ذلك [٧]. ومنها البلاغة والبيان . وسيأتي المثال لبعض أحاديث النبي ﷺ التي تحمل شيئاً من هذه المقاصد في الكنايات بإذن الله . وبالله التوفيق .

---

(١) لسان العرب مادة : «كني» .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ٢/ ١٦١ .
(٣) البقرة : ١٨٧ .
(٤) النساء : ٤٣ .
(٥) البقرة : ٢٢٢ .
(٦) لسان العرب مادة : «كني» .
(٧) انظر المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للجرجاني الثقفي ص٣ ـ ٤ ـ ٥ «بتصرف» .

ما يستحى من ذكره :

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان ابن لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبيُّ . فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ما كان . فقربت إليه العشاء فتعشى ، ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت : وار الصبي ، فلما أصبح أبوطلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : أعَرَسْتم الليلة ؟ قال : نعم . قال : اللهم بارك لهما في ليلتهما . فولدت غلاماً . قال لي أبو طلحة احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ ، فأتى به النبي ﷺ وأرسلت معه بتمرات ، فأخذه النبي ﷺ فقال : أمعه شيء ؟ قالوا : نعم ، تمرات ، فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذ من فيه فجعلها في في الصبي وحَنَّكه به وسماه عبد الله »[١].

وفي رواية « ... كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ، قال : فبات فلما أصبح اغتسل ... » .

غريب الحديث :

أعَرَسْتم : أعرس الرجل إذا بنى بامرأته ، ويطلق أيضاً على الوطء لأنه يتبع البناء غالباً[٢].

هدأت : سكنت [٣].

المعنى الإجمالي :

مرض ابن لأبي طلحة رضي الله عنه فمات ، فلما جاء أبو طلحة رضي الله عنه سأل أم سليم عنه فقالت : هو أسكن ما كان ، وفي رواية هدأت نفسه ، وأرادت أن تعرض بذلك ، ففهم أبو طلحة أنه نام وتعافى ، وكانت تقصد أنه مات ، قال ابن حجر : والمعنى أن النفس

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٤٧٠) ، كتاب العقيقة ، باب تسمية المولود غداة يولد ...
(٢) فتح الباري ٥٨٩/٩ .
(٣) المصدر السابق ٣/ ١٧٠ .

كانت قلقة منزعجة بعارض المرض فسكنت بالموت ، وظن أبو طلحة أن مرادها أنها سكنت بالنوم لوجود العافية[1]، فأصاب منها ، وهو كناية عن الجماع ، قال ابن حجر : وفيه كناية عن الجماع ، لأن الغسل إنما يكون في الغالب منه [2]. فلما أبلغته بوفاة ابنه ... فلما أصبح أبلغ رسول الله ﷺ ما صنعت أم سليم فقال ﷺ : أعرستم ؟ فقال نعم ، فدعا لهم ﷺ أن يبارك لهم في ليلتهم تلك .

الدراسة :

لما جاء أبو طلحة رضي الله عنه يشتكي إلى النبي ﷺ من فعل أم سليم قال له : «أعرستم»؟ وهو كناية عن الجماع ، أدب منه عليه السلام ، فكنى بالعرس عن الجماع ، قال ابن حجر :«ويطلق أعرس - أيضاً على الوطء لأنه يتبع البناء غالباً» [3]. فدعا لهما بالبركة ، وكأن النبي ﷺ عجب من صنيع أم سليم ، وهكذا ينبغي أن يكون المعلم المتخلق بأخلاق الرسول ﷺ أن يكنى عن الشيء الذي يستحي من ذكره .

٢ - عن عائشة رضي الله عنها «جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى النبي ﷺ فقالت : كنت عند رفاعة فطلقني فأبتَّ طلاقي ، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير ، وإنما معه مثل هُدبة الثوب. فقال : «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوقي عُسيلته ويذوق عُسَيْلتك». وأبوبكر جالس عنده ، وخالد بن سعيد بن العاص بالباب ينتظر أن يؤذن له فقال : يا أبا بكر ألا تسمع إلى هذه ما تجهر به عند النبي ﷺ» [4].

---

(١)(٢) فتح الباري ٣/ ١٧٠ .

(٣) المرجع السابق ٩/ ٥٨٩ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٦٣٩) ، كتاب الشهادات ، باب : شهادة المختبئ ، و برقم (٥٣١٧) ، كتاب الطلاق ، باب : إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمنعها ، و مسلم في صحيحه برقم (١٤٣٣) ، كتاب النكاح ، باب : لا تحل المطلق ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ..

غريب الحديث :

فأبتَّ طلاقي : أي طلقني ثلاثا[١].

عسيلته : كناية عن الجماع [٢].

هدبة الثوب : هو طرف الثوب الذي لم ينسج مأخوذ من هدب العين وهو شعر الجفن[٣].

المعنى الإجمالي :

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ، وقد طلقها زوجها ثلاثاً فتزوجت آخر ، ولم يصل إليها بشيء حتى أنها قالت للرسول ﷺ إنما معه مثل «هدبة الثوب» وأرادت أن ذكره يشبه الهدبة في الاسترخاء ، وعدم الانتشار[٤]. ففهم النبي ﷺ مرادها وهو أن ترجع إلى زوجها الأول دون وطئ من زوجها الثاني ، فقال لها الرسول ﷺ : لا ، حتى تذوقي عسيلته ، ويذوق عسيلتك ، ويقصد بذلك الجماع .

الدراسة :

نرى أن النبي ﷺ لما أراد أن يبين الحكم في عدم العودة إلى الزوج الأول حتى يجامعها الثاني فكنى بقوله عليه السلام : «لا ، حتى تذوقي عُسيلته ، ويذوق عسيلتك» ، قال النووي: هي كناية عن الجماع شبه لذته بلذة العسل وحلاوته[٥].

وقال جمهور العلماء : ذوق العسيلة كناية عن المجامعة [٦]. وهنا يظهر أن النبي ﷺ عدل عن ألفاظ الجماع الصريحة إلى الكناية عنها بعبارات خفيفة على السامع مفهومة المراد .

---

(١)(٢) النووي شرح مسلم ٥/١٠

(٣)(٤) فتح الباري ٤٦٤/٩ .

(٥) النووي شرح مسلم ٥/١٠ .

(٦) فتح الباري ٤٦٤/٩ .

٣ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن يهود كانت تقول : إذا أتيَت المرأة من دبرها في قبلها ثم حملت كان وَلَدُها أحول . قال : فأنزلت «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم»[١].

وفي رواية : «إن شاء مُجبِّيةً وإن شاء غير مُجَبِّيةٍ غير أن ذلك في صمام واحد [٢].

غريب الحديث :

الحرث : موضع الزرع من المرأة [٣].

مجبية : أي مكبوبة على وجهها [٤].

صمام : أي ثقب واحد [٥].

المعنى الإجمالي :

كان الأنصار في الجاهلية أهل وثن وكانوا يرون اليهود أهل كتاب فيأخذون منهم أشياء ، ومن ذلك أن يهود كانت تقول : إذا أتى الرجل المرأة من دبرها في قبلها ثم حملت جاء الولد أحول ، فأنزل الله عز وجل قوله : «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» ، وذلك حين اشتكت بعض نساء الأنصار من المهاجرين حين أراد أن يفعل بها مثل ذلك وكن لا يعرفن ذلك . فللرجل أن يأتي امرأته من أمام أو دبر غير أن ذلك في مسلك واحد ، وهو موضع الزرع أي القبل .

الدراسة :

---

(١) البقرة : ٢٢٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٤٣٥) ، كتاب النكاح ، باب : جواز جماعه امرأته في قبلها من ورائها ، وأخرجه الترمذي في سننه برقم ٤٠٦٣ ، أبواب التفسير ، تفسير سورة البقرة ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ، برقم (٢٣٨٠) .

(٣)(٤)(٥) النووي شرح مسلم ٨/١٠ .

عدل النبي ﷺ هنا عن التصريح فكنى بقوله : «في صمام واحد» أي مسلك واحد وثقب واحد ، قال النووي : «فأتوا حرثكم أنى شئتم» أي موضع الزرع من المرأة ، وهو قبلها الذي يزرع فيه المني لابتغاء الولد ، ففيه إباحة وطئها في قبلها ، إن شاء بين يديها ....»(١). وقال ابن الأثير : أي مسلك واحد . الصمام : ما تسد به الفرجة ، فسمي الفرج به (٢).

فعدول النبي ﷺ عن التصريح هنا مع إمكانية ذلك ، يعني أن هذا أمر مطلوب ما دام أن المعنى يتضح بالكناية عما يستحي أو يستقبح ذكره وعدم التصريح به .

فحري بكل معلم ومربٍ أن يعدل قدر ما أمكنه ذلك عما يستحى ذكره أو يستقبح التصريح به ، فإن ذلك أجمل وأجود في حقه ، وأرفع في قدره ، وأحفظ لهيبته .

ما يستقبح من ذكره :

وهنا ذكرت بعض الأحاديث والتي مؤداها واحد ، فكان من الأفضل جمعها في مكان واحد :

١ - عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يُولِّها ظهره ، شرقوا أو غربوا» (٣).

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : «قد أذن أن تخرجن في حاجتكن»(٤). قال هشام : يعني البراز .

٣ - عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول ، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه ، ولا يتنفس في الإناء»(٥).

---

(١) النووي شرح مسلم ٨/١٠ .

(٢) النهاية مادة : «صمم» .

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤) كتاب الوضوء ، باب لاتستقبل القبلة بغائط أو بول ، ومسلم (٢٦٤) ، كتاب الطهارة ، باب الكراهة في استقبال القبلة .

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧) ، كتاب الوضوء ، باب خروج النساء الى البراز .

(٥) أخرجه البخاري (١٥٤) كتاب الوضوء ، باب لايمسك ذكره بيمنه إذا بال ، ومسلم (٢٦٧) ، كتاب الطهارة ، باب آداب قضاء الحاجة ، واللفظ له .

غريب الأحاديث :

الغائط : المتسع من الأرض مع طمأنينة . والغوط : عمق الأرض الأبعد ، ومنه قيل للمطمئن من الأرض غائط ، ولموضع قضاء الحاجة غائط ، لأن العادة أن يقضي في المنخفض من الأرض حيث هو أستر له ثم اتُّسِعَ فيه حتى صار يطلق على النْجوِ نفسه (١).

البَرَاز : اسم للفضاء الواسع ، فكنوا به عن قضاء الغائط كما كنوا عنه بالخلاء لأنهم كانوا يتبرزون في الأمكنة الخالية من الناس (٢) .

الخلاء : الفضاء الواسع الخالي من الأرض (٣).

الدراسة :

نجد في هذه الأحاديث أن النبي عليه السلام قد عَدَل عن تسمية الخارج من الدبر إلى غيره من الألفاظ الدالة عليه ؛ لأنه مما يستقبح ذكره دون حاجة إلى التصريح به . فالغائط ، وقضاء الحاجة ، والخلاء كلها كلمات يستدل بها على الخارج من الدبر ، وهذا من أدبه ﷺ وعلو قدره وترفعه ، وهو القدوة عليه السلام لمن تصدى لمثل هذه الوظيفة وظيفة التعليم والتبليغ بأن يحلى لسانه بما لا يستقبح ذكره ، والله أعلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(٤).

غريب الحديث :

يرفث : الرفث الجماع ، ويطلق على التعريض به وعلى الفحش في القول (٥).

ولم يفسق : أي لم يأت بسيئة ولا معصية ، وأصله انفسقت الرطبة إذا خرجت فسمي الخارج عن الطاعة فاسقاً (٦).

---

(١) لسان العرب مادة : « غوط » .

(٢) المرجع السابق مادة : « برز » .

(٣) المعجم الوسيط مادة : « خلا » ، وانظر لسان العرب مادة : « برز » .

(٤) أخرجه البخاري (١٥٢١) ، كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور .

(٥)، (٦) فتح الباري ٣/٣٨٢ .

المعنى الإجمالي :

أي من حج فلم يحصل منه جماع لأهله ، ولم يأت بسيئة ولا معصية ، رجع من حجه كمن لاذنب له حين ولدته أمه لم يكن عليه ذنب .

الدراسة :

كنى النبي ﷺ هنا عن الجماع بقوله : «فلم يرفث» وقد كان خلقه ﷺ القرآن ، كما قال تعالى : «فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج» [1] قال ابن حجر : والجمهور على أن المراد به في الآية الجماع . انتهى [2]. وحتى لو كان المعنى والمراد من قوله ﷺ ما هو أعم من الجماع ، كما قال ابن حجر أيضاً : والذي يظهر أن المراد به في الحديث ما هو أعم من ذلك ، وكما قال الأزهري : الرفث اسم جامع لكل ما يريده الرجل من المرأة [3] أقول حتى لو كان كذلك فإنه يبقى أنه كني عن كل ذلك . وباستخدامه عليه السلام لهذا اللفظ لم يحتج معه إلى التفصيل في أمر الجماع، وتوابعه وهذا أحسن وأجمل في الباب .

بلاغة في البيان :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : أتى النبي ﷺ على بعض نسائه - ومعهن أم سليم- فقال : ويحك يا أنجشة ، رويدك سوقاً بالقوارير»[4].

غريب الحديث :

رويدك : ارفق [5].

سوقاً : سيرك [6].

القوارير : جمع قارورة وهي الزجاجة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها [7].

---

(١) البقرة : ١٩٧ .

(٢)(٣) فتح الباري ٣٨٢/٣ .

(٤) أخرجه البخاري (٦١٤٩) كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه.

(٥)(٦)(٧) فتح الباري ٥٤٤/١٠ .

المعنى الإجمالي :

كان النبي ﷺ في سفر ، وكان معه حادياً يقال له أنجشة الحبشي حسن الصوت يحدو النساء في المسير ، وهو غلام ، فقال له النبي ﷺ ارفق يا أنجشة بالنساء ، خشية منه عليه السلام من الفتنة عليهن.

الدراسة :

قال ابن بطال وغيره : القوارير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذ[1]. قال النووي : واختلف العلماء في المراد بتسميتهن قوارير على قولين ذكرهما القاضي وغيره... أن معناه أن أنجشة كان حسن الصوت ، وكان يحدو بهن ، وينشد شيئاً من القريض والرجز ، وما فيه تشبيب ، فلم يأمن أن يفتنهن ، ويقع في قلوبهن حداؤه ، فأمره بالكف عن ذلك . ومن أمثالهم المشهورة الغنا رقية الزنا . قال القاضي : هذا أشبه بمقصوده ﷺ، وبمقتضى اللفظ ، والقول الثاني أن المراد به الرفق في السير ، لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واستلذته ، فأزعجت الراكب ، وأتعبته ، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عند شدة الحركة ، ويخاف ضررهن وسقوطهن[2]. وذكر ابن حجر أن البخاري رحمه الله اختار القول الأول لأنه أورد الحديث أيضاً في باب المعاريض ولو كان الثاني لم يكن في لفظ القوارير تعريض [3].

والقصد أن النبي ﷺ خشي على النساء الفتنة من صوت أنجشة وحدائه . قال أبو عبيد الهروي : شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن ، والقوارير يسرع إليها الكسر ، فخشي من سماعهن النشيد الذي يحدو به أن يقع بقلوبهن منه ، فأمره بالكف ، فشبه عزائمهن بسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر إليها [4].

---

(١) فتح الباري ٥٤٥/١٠ .

(٢) النووي شرح مسلم ٤٧٤/١٥ .

(٣) انظر فتح الباري ٥٤٥/١٠، ٥٤٦ .

(٤) المصدر السابق .

وهنا كنى عليه السلام النساء بالقوارير ، وهي استعارة بديعة لطيفة ، وذلك من جهة أن النساء سريعة التأثر فكنى بالقوارير وهي أسرع شيء تكسراً ، ويصعب أو يستحيل جبرها .

الخلاصة :

كان النبي ﷺ يستخدم الكناية في حديثه عند الحاجة لذلك مع الناس ، وهو أسلوب من أساليبه عليه السلام في التبليغ وتعليم الناس بإيصال المراد إليهم وذلك بالكناية عنه ، مما تدعو الحاجة إليه . ويمكن أن نلخص من خلال الدراسة فيما سبق النقاط التالية مختصرة :

١ - ثبوت أستخدام النبي ﷺ للكنايات في حديثه وتبليغه الدين وتعليم الناس ما يحتاجون إليه .

٢ - اختلاف الأسباب التي كانت تدعو النبي ﷺ إلى استخدام تلك الكنايات المختلفة .

٣ - بيان حياء النبي ﷺ ، وأدبه الجم ، فقد كان خلقه القرآن .

٤ - بلاغته ﷺ في استخدام الكنايات .

٥ - استخدامه عليه السلام للكناية عما يستحي من ذكره .

٦ - استخدامه عليه السلام للكناية عما يستقبح ذكره .

٧ - استخدامه عليه السلام للكناية في البيان والاستعارة لإيصال المعنى بأحسن قدر ممكن من المعاني الدقيقة كما في حديث القوارير .

الفصل الرابع

البيان عن طريق القرائن

الفصل الرابع
البيان عن طريق القرائن

استخدم النبي ﷺ في تبليغ الناس وتعليمهم الأحكام ، وإيصال المعاني المرادة من الشرع أسلوب القرائن التي تدل على المعنى الذي يريد إيصاله عليه السلام إلى المتعلم ومن أمامه من الناس ، وهذه القرائن عبارة عن تعبيرات بوجهه عليه السلام أو حركات بأعضائه تدل على معاني يعرفها الصحابة رضي الله عنهم ، وبها يعلمون مقصد النبي ﷺ ، ومن خلالها تصل معاني معينة يستنتجها الصحابة فيحصل لهم بذلك علم شرعي ، وكانوا رضي الله عنهم يتابعون النبي ﷺ في كل حركاته وسكناته ويعلمون تغير حاله ، ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري ، قال : كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه»[١]، وقال النووي : ومعنى عرفنا الكراهة في وجهه أي لايتكلم به لحيائه ، بل يتغير وجهه ، فنفهم نحن كراهته [٢].

ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ، ودخل وخرج وتغير وجهه ، فإذا أمطر السماء سُرِّيَ عنه ، فعرَّفته عائشة ذلك فقال النبي ﷺ : وما أدري ، كما قال قوم عاد : «فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم»[٣] الآية[٤]. عرفت عائشة رضي الله عنها ذلك منه عليه السلام ، وكانت تتابعه ، ثم أخبرته بما كانت تراه منه فأخبرها سبب ذلك . وهذا يدل على المتابعة لكل ما يبدر منه عليه السلام . وهذا كعب بن مالك رضي الله عنه يقول : وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك [٥]. وهذا أيضاً يعني أن الصحابة ومنهم كعب بن مالك رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) ، (٦١١٧) ، كتاب الأدب ، باب : من لم يواجه الناس بالعتاب ، وباب : الحياء .
(٢) النووي ، شرح مسلم ٤٧٢/١٥ .
(٣) الأحقاف : ٢٤ .
(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٦) ، كتاب بدء الخلق ، باب : ماجاء في قوله تعالى «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده».
(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٤١٨) كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، ومسلم (٢٧٦٩) ، كتاب التوبة ، باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

عنهم يفهمون تلك الأوصاف ، وأن لها دلالات معينة حسب الموقف والحدث .

وفي قصة كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك ، قال ابن حجر : وعند ابن عائذ في المغازي «فأعرض عنه ، فقال : يانبي الله لم تعرض عني ؟ فوالله ما نافقت ولا ارتبت ولابدلت، قال : فما خلفك»؟[1]. والشاهد هنا أن كعب بن مالك لما رأى إعراض النبي ﷺ علم أنه خالف في أمر شرعي فبدأ يبين للنبي ﷺ أنه ما نافق ولا ارتاب وبدل .

وعموماً فإن هذه الأفعال والانفعالات هي قرائن تدل على معنى يفهمه الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ . ومن أنواع هذه القرائن الغضب ، وتغير الوجه ، والمشقة التي تظهر على الوجه ، والتمعر ، والتبسم ، والإعراض ، والإيماء ، والموافقة والإقرار بكلمة ، وغير ذلك .

وستجد فيما يأتي إن شاء الله كيف كان فعل يعرف هذا الأسلوب من انفعالات الرسول ﷺ ، وكيف كان يوصل المعنى لهم مباشرة بالحديث ، وكان كثيراً ما يسبق إليهم إحدى هذه التعبيرات التي تعطي معنى مستقلاً ، أو تزيد المعنى وضوحاً وتأكيداً . وقد جعلت لكل قرينة عنواناً بها كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) الفتح ١١٩/٨ .

الكراهية للشيء وظهور ذلك على وجهه ﷺ

١ - عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نَمْرُقَة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب ، فلم يدخل ، فعرفتُ ، أو فَعُرِفت في وجهه الكراهية ، فقالت : يارسول الله ، أتوب إلى الله وإلى رسوله ، فماذا أذنبت ؟ فقال رسول الله ﷺ : «ما بالُ هذه النُّمرُقة؟» فقالت : اشتريتها لك تقعد عليها ، وتوسدها ، فقال رسول الله ﷺ : «إن أصحاب هذه الصور يعذبون ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم» ثم قال : «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»[١].

غريب الحديث :

نَمْرُقة : وسادة [٢] . والجمع نمارق ، وهي الوسائد التي يصف بعضها إلى بعض ، وقيل النمرقة الوسادة التي يجلس عليها [٣].

المعنى الإجمالي :

رأى النبي ﷺ وسادة اشترتها عائشة رضي الله عنها له ﷺ ، وكان عليها تصاوير ، فكره ذلك ، وعرفت عائشة رضي الله عنها الكراهة في وجهه عليه السلام ، فقالت أتوب إلى الله وإلى رسوله ، فماذا أذنبت ؟ فبين النبي عليه السلام سبب ذلك وهو هذه التصاوير التي على الوسادة ، ثم قال : «إن أصحاب هذه الصور يعذبون ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم» ثم قال : «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة» .

الدراسة :

عندما رأى النبي ﷺ الوسادة التي فيها تصاوير تغير وجهه وعندئذ عرفت رضي الله

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٦١) ، كتاب اللباس ، باب : من لم يدخل بيتاً فيه صورة ، وأخرجه مسلم برقم (٢١٠٧) ، كتاب اللباس والزينة ، باب : تحريم تصوير صور الحيوان ، واللفظ له .
(٢) النهاية ، مادة : «نمرق» .
(٣) الفتح ١٠/٣٧٩ .

عنها أن هناك أمراً كرهه النبي ﷺ حيث عرفت الكراهة في وجهه ، كما بينت هي رضي الله عنها في الحديث حيث قالت : «فعرفتُ ، أو فعُرِفت في وجهه الكراهية» قال النووي : ومعنى عرفنا الكراهة في وجهه أي لا يتكلم به لحيائه ، بل يتغير وجهه ، فنفهم نحن كراهته [١]. ومما يؤكد أنها عرفت أن هناك مخالفة شرعية سببت تغير وجهه عليه السلام فعرفت الكراهية فيه قولها بعد ذلك : «أتوب إلى الله وإلى رسوله ، فماذا أذنبت ؟» ولحيائه عليه السلام لم يتكلم به أولاً فبان ذلك على وجهه ، وبعد سؤال عائشة رضي الله عنها أجابها عليه السلام بالمخالفة الشرعية ، تعليماً منه ﷺ ، وما أحسنه من تعليم . إذن أبلغ النبي ﷺ عائشة أو أشعرها بأن هناك مخالفة شرعية بتغير وجهه ومعرفة الكراهة فيه . وهذا أحد أساليبه عليه السلام في التبليغ والتعليم ، ولذلك للمعلم والمربي أن يظهر مثل هذا التغير إذا أخطأ المتعلم إذا ناسب الموقف ذلك ، وخاصة إذا كان التصريح المباشر لايناسب في مثل هذا المقام ، فإذا سأل المتعلم عن سبب التغير في الوجه أجابه المعلم .

---

(١) النووي شرح مسلم ١٥/٤٧٢ .

تغير وجه النبي ﷺ

١ - قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قسم النبي ﷺ قسمة - كبعض ما كان يقسم - فقال رجل من الأنصار : والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله ، قلت : أما لأقولن للنبي ﷺ . فأتيته - وهو في أصحابه - فساورته ، فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب ، حتى وددتُ أني لم أكن أخبرته . ثم قال : قد أوذِيَ موسى بأكثر من ذلك فصبر » [١].

المعنى الإجمالي :

قسم النبي ﷺ غنائم حنين كعادته ﷺ في قسمة الغنائم ، وكان قد أعطى بعض أشراف العرب ما يؤلف به قلوبهم ، فتكلم أحد رجال الأنصار - ولعله كان منافقاً - وقال : والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله . فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأخبرن النبي ﷺ بهذا ، فلما أخبره بذلك ، وجد النبي ﷺ في نفسه وشق عليه أن يُنسب الجور والظلم له وهو رسول الله ﷺ فغضب ، وتغير وجهه عليه السلام ، وعُرف ذلك في وجهه ، حتى أن ابن مسعود رضي الله عنه تمنى لو لم يخبره بذلك لما رأى من شدة غضبه عليه السلام ، لكنه عليه السلام صبر ، وتحلم على قائل تلك المقولة ، واقتدى بموسى عليه السلام حين صبر على قومه حين آذوه ، وقال ﷺ : «قد أوذِيَ موسى بأكثر من ذلك فصبر» . قال بعض أهل العلم : الصبر على الأذى جهاد النفس ، وقيل جبل الله الأنفس على التألم بما يفعل بها ويقال فيها ، ولهذا شق على النبي ﷺ نسبتهم له إلى الجور في القسمة ، لكنه حلم على القائل فصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين، وأن الله تعالى يأجره بغير حساب [٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦١٠٠) ، كتاب الأدب ، باب : الصبر في الأذى .. ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠٦٢)، كتاب الزكاة ، باب : احتمال من سأل بجفاء لجهله .
(٢) فتح الباري ٥١١/١٠ .

الدراسة :

حين أخبر ابن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ بما قاله الرجل تغير في الحال وجه النبي ﷺ ، وغضب من ذلك القول ونسبته عليه السلام للجور والظلم ، وعلم ابن مسعود أن ذلك شق على النبي عليه السلام حتى أنه قال : وددت أني لم أكن أخبرته ، كل ذلك مما رأى من تغير وجهه وغضبه ﷺ ، فعلم ابن مسعود رضي الله عنه أن ما قاله ذلك الرجل مما لا يرضي الله ولا رسوله فالنبي عليه السلام لا يغضب لنفسه ، فبلغ عند ابن مسعود رضي الله عنه وغيره عظم ذنب هذا القول في النبي عليه السلام وحرمة ذلك، وهذا الأسلوب ينبه المتعلم أو السامع إلى أهمية الحَدث نفسه ، بحيث يوقن أن أمراً عظيماً قد حدث من خطأ الرجل يكون سبب تغير وجه النبي ﷺ فيتجنبه ويخبر من وراءه بذلك حتى يجتنبوه .

٢ - عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : «جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ ، فقال : يابني تميم أبشروا . فقالوا : بشرتنا فأعطنا . فتغير وجهه . فجاءه أهل اليمن ، فقال : ياأهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم . قالوا : قبلنا ، فأخذ النبي ﷺ يحدث عن بدء الخلق والعرش . فجاء رجل فقال : يا عمران راحلتك تفلتت . ليتني لم أقم»[١].

غريب الحديث :

البشرى : إظهار طلاقة الوجه وفرحه ، وسرور الإنسان[٢].

تفلتت : التفلت والإفلات والانفلات : التخلص من الشيء فجأة من غير تمكث[٣].

المعنى الإجمالي :

جاء جماعة من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال لهم : أبشروا فظنوا أن البشارة عطاء فقالوا : بشرتنا فأعطنا . فتغير وجهه عليه السلام ، قال ابن حجر : «فتغير وجهه» إما للأسف عليهم كيف آثروا الدنيا ، وإما لكونه لم يحضره ما يعطيهم فيتألفهم به ، أو لكل منهما [٤]. فجاءه أهل اليمن ، فقال : ياأهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم . قالوا : قبلنا ، فأخذ النبي ﷺ يحدث عن بدء الخلق والعرش وما كان وما لم يكن .

الدراسة :

تغيُّرُ وجه النبي ﷺ يدل على عدم رضاه بما قال بنو تميم ، فعلم أن الأولى بهم أن يقبلوا بشارة النبي ﷺ لهم ، فإن الآخرة أولى بالتقديم من الدنيا ، ثم الواجب قولهم قبلنا ثم ينظروا ما هي البشرى ، لا أن يجعلوا البشرى شيئاً يملونه هم حين قالوا بشرتنا فأعطنا . فقد ذهب الفضل منهم إلى أهل اليمن حين قبلوا بشارة النبي ﷺ . والشاهد من الحديث أن الصحابي راوي الحديث ومن معه من الصحابة تنبهوا إلى تغير وجه النبي عليه السلام مما يعني معرفتهم لخطأ إجابة بني تميم .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣١٩٠) ، كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في قوله تعالى «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده» (الروم :٢٧).

(٢) انظر النهاية ، مادة :«بشر» .

(٣) النهاية مادة : «فلت» .

(٤) الفتح ٢٨٦/٦ .

٣ - عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رُؤي في وجهه ، فقام فحكه بيده فقال : «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربَّهُ - أو إن ربه بينه وبين القبلة - فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدميه» ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ، ثم رد بعضه على بعض فقال «أو يفعل هكذا» (١).

غريب الحديث :

نخامة : البزاقة التي تخرج من أقصى الحلق ، ومن مخرج الخاء المعجمة (٢).

يبزقن : البزق والبصق : لغتان في البزاق والبصاق (٣).

المعنى الإجمالي :

رأى النبي ﷺ نخامة ، وهي ما يخرج من الصدر أو الحلق وذلك في قبلة المسجد ، فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه الغضب والتغير وأثر المشقة ، فقام عليه السلام فحكه بيده الشريفة ثم قال : «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه» بمعنى أنه يقف بين يدي ربه فلا يبزقن قبل القبلة ، قال النووي : «فإنه يناجي ربه» إشارة إلى إخلاص القلب وحضوره وتفريغه لذكر الله تعالى وتمجيده وتلاوة كتابه وتدبره»(٤). ثم بين عليه السلام ما يفعل من وجد هذا بأن يبصق عن يساره أو تحت قدميه . وهذا في غير المسجد وإلا إذا كان في المسجد يفعل كما ذكر ﷺ حين بصق في طرف ردائه ، ثم رد بعضه على بعض فقال : «أو يفعل هكذا» . قال النووي : وليبزق تحت قدمه وعن يساره ، هذا في غير المسجد ، أما المصلي في المسجد فلا يبزق إلا في ثوبه»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٠٥) ، كتاب الصلاة ، باب : حك البزاق باليد من المسجد ، و أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٥٥١) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : النهي عن البصاق في المسجد وفي الصلاة.

(٢) النهاية ، مادة : «نخم» .

(٣) لسان العرب مادة : «بزق» .

(٤)(٥) النووي شرح مسلم ٢٠٣/٤ .

الدراسة :

لما رأى النبي ﷺ النخامة في قبلة المسجد شق عليه حتى شوهد أثر ذلك في وجهه عليه السلام ، فعلم الصحابة إنكاره لذلك الصنيع ، قال ابن حجر : «حتى رؤى» ، أي شوهد في وجهه أثر المشقة ، وللنسائى «فغضب حتى احمر وجهه» ، وللمصنف في الأدب من حديث ابن عمر «فتغيظ على أهل المسجد»(١). وهذا يدل على أن الصحابة تنبهوا إلى سبب تغير وجهه عليه السلام وكراهة ذلك الفعل ، وفيه عدم التأدب مع الله . واتبع عليه السلام تغيُّر وجهه أن ذهب وحك النخامة من قبلة المسجد ، ثم علَّم الصحابة ماذا ينبغي لمن أراد أن يبصق كيف يفعل !

---

(١) الفتح ٥٠٨/١ .

تلون وجه النبي ﷺ

- عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شِراج الحرَّة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري : سرِّح الماء يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير : اسق يا زبير : ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الأنصاري فقال : أن كان ابن عمتك ، فتلون وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر . فقال الزبير : والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» (١).

غريب الحديث :

شراج الحرة : أي مسيل الماء ، والحرة موضع معروف بالمدينة (٢).

سَرِّح : أي أطلقه (٣).

الجدْر : هو المسناة ، وهو ما وضع من شربات النخل كالجدار ، وقيل المراد الحواجز التي تحبس الماء (٤).

المعنى الإجمالي :

حبس الزبير رضي الله عنه الماء على أرضه ليسقي به نخلاً له ، فأراد رجل من الأنصار أن يرسل الزبير الماء إلى أرضه فأبى عليه الزبير ، فشكى الرجل ذلك إلى النبي ﷺ ، فقال عليه السلام للزبير اسق ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب ذلك الرجل ، وقال : أن كان ابن عمتك - ويعني أن الزبير بن صفية بنت عبد المطلب - وكان ﷺ قد حكم قبل ذلك بأن الماء للأعلى فالأعلى أي الذي يمر عليه الماء أول فأول . فلما قال الرجل ذلك تلون وجه النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٣٥٩) ، كتاب المساقاة ، باب : سَكر الأنهار ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٥٧) ، كتاب الفضائل ، باب : وجوب اتباعه ﷺ .

(٢)(٣)(٤) فتح الباري ٣٥/٥ .

وغضب لذلك . فأمر الزبير أن يسقي ويستوفي حقه كاملاً ، ثم يرسل الماء ، فقال الزبير رضي الله عنه : والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» (١) .

الدراسة :

لما قضى النبي ﷺ للزبير رضي الله عنه أن يسقي ثم يرسل الماء ، غضب الأنصاري وقال: إن كان ابن عمتك ، تلون وجه النبي ﷺ من هذه المقولة ، وهو الشاهد من الحديث ، حيث إن الزبير وهو يروي هذا الحدث والقصة رأى تلون وجه النبي ﷺ مع كتمه ﷺ لذلك ، وصبره على ما قال ذلك الرجل . وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم في نقل كل ما يبدر من النبي ﷺ حتى لو لم يتكلم به مثل تلون وجهه ، مما يوحي بأن مثل هذا التلون له أثر عليهم وبه يعرفون خطأ الفعل الذي بدر من الرجل قبل تلون وجهه عليه السلام ، فيكون قد بلغهم مراد النبي ﷺ ، أو علموا علماً بذلك الفعل فيتجنبوا مثله بعد ذلك .

---

(١) النساء : ٦٥ .

غضب النبي ﷺ واحمرار وجنتيه أو وجهه

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن اللقطة ، قال : عرفها سنة ثم اعرف وكاءها وعفاصها ، ثم استنفق بها ، فإن جاء ربُّها فأدِّها إليه . فقال : يارسول الله فضالة الغنم ؟ قال خذها : فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب . قال : يارسول الله فضالة الإبل ؟ قال فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه - أو احمر وجهه - ثم قال : فمالك ولها ؟ معها حِذاؤها وسقاؤها حتى يلقاها ربُّها »[1].

وفي رواية : « ... فتَعمَّر وجه النبي ﷺ »

غريب الحديث :

اللُقَطة : الشيء الذي يلتقط [2].

وكاءها : الوكاء : الخيط الذي يشد به الوعاء ، يقال : أوكيته إيكاء فهو موكى بلا همز[3].

عِفَاصها : الوعاء الذي تكون فيه النفقة جلداً كان أو غيره [4].

تمعَّر : تغير ، وأصله في الشجر إذا قل ماؤه فصار قليل النضرة عديم الإشراق ، ويقال للوادي المجدب أمعر [5].

حذاؤها : خفها [6].

سقاؤها : جوفها وقيل عنقها [7].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٤٣٦) ، كتاب اللقطة ، باب : إذا جاء صاحب اللقطة بعد سنة ، و مسلم في صحيحه برقم (١٧٢٢) ، كتاب اللقطة .

(٢) الفتح ٧٨/٥ .

(٣) النووي شرح مسلم ٣٨٦/١٢ .

(٤) الفتح ٨١/٥ .

(٥)(٦)(٧) الفتح ٨٢/٥ .

المعنى الإجمالي :

أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن اللُقَطة ، فقال له : عرفها سنة للناس ثم اعرف أوصافها من وكاء وعفاص ثم يستنفقها على نفسه ، ثم أمره إذا جاء صاحبها يسأل عنها فليؤدها له . فسأله مرة أخرى عن ضالة الغنم ، فبين له أنه يمكن له أن يأخذها . فقال : فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب . فسأل مرة ثالثة عن ضالة الإبل ، فغضب عليه السلام حيث اختلف الأمر هنا عن الغنم . فقال : مالك ولها ؟ معها حذاؤها وسقاؤها حتى يلقاها صاحبها ، قال ابن حجر : أي خفها وسقاؤها أي جوفها وقيل عنقها ، وأشار بذلك إلى استغنائها عن الحفظ لها بما ركب في طباعها من الجلادة على العطش وتناول المأكول بغير تعب لطول عنقها فلا تحتاج إلى ملتقط(١).

الدراسة :

لما سأل الرجلُ النبي ﷺ عن اللقطة أجابه عليه السلام عن ذلك ، ثم عن ضالة الغنم ، فأجابه أيضاً عليه السلام دون أن يغضب ، وذلك لأن هذا مما يسوغ السؤال عنه ، ويحتاج إلى بيان وإيضاح حيث يحتمل فيه الإيجاب والمنع ، وحين سأل الرجل عن ضالة الإبل ، غضب عليه السلام لأن الإبل كما هو معلوم ومشهور عندهم أن بقاءها وقتاً طويلاً ضالة عن صاحبها لايضرها غالباً ، لأن من طباعها الجلادة والقوة التي ركبها الله تعالى فيها فيمكن لها أن تحمي نفسها من السباع ، وتصبر على العطش والجوع وقتاً طويلاً . فكأن النبي ﷺ فرَّق بين الغنم الذي قد لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، ولا يتحمل ما يتحمل الإبل ، فعلم عليه السلام طمع ذلك الرجل في الإبل ، ولذا غضب عليه السلام غضباً شديداً حتى احمرت وجنتاه - أو احمر وجهه - ثم قال : ما لك ولها ؟ معها حذاؤها وسقاؤها حتى يلقاها ربها . ومما يدل على ذلك كلام بعض أهل العلم ، قال ابن حجر : «قال العلماء : حكمة النبي عن التقاط الإبل أن بقاءها

---

(١) الفتح ٨٢/٥ .

حيث ظلت أقرب إلى وجدان مالكها لها من تطلبه لها في رحال الناس»[1]. وقال القرطبي : «وغضبه حين قال ذلك يدل : على تحريم التعرض لضالة الإبل ؛ لأنها يُؤْمَنُ عليها الهلاك لاستقلالها بمنافعها»[2].

ومما سبق يظهر وبشكل جلي سبب غضب النبي ﷺ حين سئل عن ضالة الإبل ، وهو المعنى الذي ذكرت آنفاً ، وأن النبي ﷺ شعر من سؤال الرجل عن ضالة الإبل لم يكن مناسباً ، لشهرة أن الإبل عندهم لا يخشى عليها حين تضل حتى ترجع إلى صاحبها ، فلماذا السؤال عنها ؟. والله أعلم .

(١) الفتح ٥/ ٨٠ .
(٢) المفهم ٥/ ١٩٠ .

غضب النبي ﷺ

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رجل يارسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها . فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذ . ثم قال : ياأيها الناس ، إن منكم منفرين ، فمن أم الناس فليتجوز ، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة» [1].

غريب الحديث :

منفرين : نفر ينفر نفوراً ونِفارا ، إذا فر وذهب ، وقال : لا تلقوهم بما يحملهم على النفور[2].

فليتجوز : قال «فأتجوز في صلاتي» أي أخففها وأقللها [3].

المعنى الإجمالي :

جاء رجل يشتكي إلى رسول الله ﷺ إطالة الإمام عليهم في صلاة الفجر حتى جعله يتأخر عن الصلاة لئلا يطول المقام عليه ، فغضب عليه السلام غضباً شديداً ، ثم قال : «ياأيها الناس، إن منكم منفرين» أي من يثقل على الناس بأمور ، وهذه إحدها وهي التطويل في الصلاة فيلقون الناس بهذا فيفرون ويهربون عن الدين . ثم أرشدهم إلى التجوز فيها لأن هناك الضعيف والكبير الذي لا يتحمل الوقوف كثيراً ، وذا الحاجة الذي يريد قضاءها بعد الصلاة فينشغل قلبه عن الصلاة ولا يحصل المقصود منها .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٠٢) ، (٧٠٤)، كتاب الأذان ، باب : تخفيف الإمام في القيام ، ...، وباب : من شكا إمامه إذا طوّل ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٦٧) ، كتاب الصلاة ، باب : أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام .

(٢) النهاية ، مادة : «نفر» .

(٣) المصدر السابق ، مادة : «جوز» .

الدراسة :

غضب النبي ﷺ غضباً شديداً لفت نظر الصحابة إليه ولم يكن من عاداته ﷺ وذلك حين بلغه أن هناك من يطيل في صلاة الفجر فينفر الناس حتى أصبحوا يتأخرون عنها ، قال أبوالفتح اليعمري : ويحتمل أن يكون ماظهر من الغضب لإرادة الاهتمام بما يلقيه لأصحابه ليكونوا من سماعه على بال لئلا يعود من فعل ذلك إلى مثله [١]. وهذا يقوي القول إن النبي عليه السلام أراد إظهار الغضب ليرتدع الآخرون . ولذلك قال ابن حجر تعقيباً على قول أبي الفتح : هذا أحسن في الباعث على أصل إظهار الغضب [٢].

وشدة غضب النبي عليه السلام لبيان المخالفة الشرعية التي وقع فيها ذلك الإمام وليتنبه الصحابة إلى ذلك ، قال ابن دقيق العيد في قوله : «أشد» أي غضباً أشد ، وسببه إما لمخالفة الموعظة أو التقصير في تعلم ما ينبغي تعلمه [٣]. وأكد على ذلك ابن حجر أيضاً [٤]. فالنبي عليه السلام قد يغضب ويشتد في الغضب ويظهر ذلك للصحابة ليلفت نظرهم ويبين أن عظم المخالفة سبب الغضب .

---

(١)(٢) فتح الباري ٢/١٩٩ .
(٣) المصدر السابق ٢/١٩٨، ١٩٩ .
(٤) المصدر السابق ٢/١٩٩ .

تمعر الوجه

* عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : «كنت جالساً عند النبي ﷺ ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي ﷺ : أما صاحبكم فقد غامر ، فسلَّم وقال : يارسول الله ، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ ، فأقبلت إليك . فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً) ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا . فأتى إلى النبي ﷺ ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على رُكبتيه ، فقال : يارسول الله ، والله أنا كنت أظلم (مرتين) . فقال النبي ﷺ : إن الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي ؟ (مرتين) . فما أوذِيَ بعدها»[١].

غريب الحديث :

غامر : خاصم ، والمعنى دخل في غمرة الخصومة ، والغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب [٢].

يتمعر : تذهب نضارته من الغضب [٣].

فجثا : برك [٤].

الدراسة :

جاء عمر رضي الله عنه يبحث عن أبي بكر عند النبي ﷺ ، وقد ذكر أبو بكر رضي الله عنه ما حصل بينه وبين عمر للنبي ﷺ ، فلما رأى النبي عليه السلام عمر رضي الله عنه فجعل وجهه يتمعر ، أي يزداد في التغير المستمر مما يعني غضبه عليه السلام من صنيع عمر رضي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٦٦١) ، كتاب فضائل الصحابة ،باب :قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً ..».
(٢)(٣)(٤) الفتح ٢٦/٧ .

الله عنه ، فعلم أبو بكر أن تمعر وجه النبي عليه السلام من صنيع عمر حين لم يقبل عذره ، فجثا رضي الله عنه يلتمس لعمر العذر والتخفيف من غضب النبي عليه السلام ، وهذا من رفعة أخلاقه وأخوته لعمر رضي الله عنهم أجمعين ، بل إن عمر رضي الله عنه شعر بخطئه حين جاء إلى النبي ﷺ فأعرض عنه . فقد ذكر ابن حجر أنه ورد في رواية أبي أمامة أنه قال : «فجلس عمر فأعرض عنه ، أي النبي ﷺ - ثم تحول فجلس إلى الجانب الآخر فأعرض عنه ، ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه ، فقال : يارسول الله ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عني ، فما خير حياتي وأنت معرض عني ؟ فقال : أنت الذي اعتذر لك أبو بكر فلم تقبل منه»[1].
فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون أن تمعر وجه النبي يعني أن هناك مخالفة شرعية وقعوا فيها كما حصل مع عمر رضي الله عنه هنا . وقد بلغ الصحابة من خلال تمعر وجه النبي ﷺ فضل أبي بكر العظيم على سائر الصحابة رضي الله عنهم ، قال ابن حجر : وفي الحديث من الفوائد : فضل أبي بكر على جميع الصحابة . وهذا يعني أنه حتى من خلال هذه الانفعالات التي تظهر على النبي ﷺ يمكن أن يصل معنى معين إلى الصحابة رضي الله عنهم [2].

(١)(٢) الفتح ٧/٢٦ .

الإقرار بالسكوت

١ - عن قيس بن عمرو قال : رأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين ، فقال رسول الله ﷺ : «صلاة الصبح ركعتان» فقال الرجل : إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلها ، فصليتهما الآن ، فسكت رسول الله ﷺ»[١].

المعنى الإجمالي :

رأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين ، وهو وقت نهي ، فقال رسول الله ﷺ متعجباً : «صلاة الصبح ركعتان» وليس أكثر وكأنه يقول فما هذه الصلاة التي تصليها ؟ فقال الرجل : إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلهما ، أي سنة الفجر القبلية . فسكت رسول الله ﷺ إقراراً منه على ذلك .

الدراسة :

سكوت النبي ﷺ عن الرجل حين أجابه بأنه لم يصل قبل الفرض السنة يدل على إقراره لفعل الرجل ، قال ابن عبد الملك : سكوته ﷺ يدل على قضاء سنة الصبح بعد فرضه لمن لم يصلها قبله[٢]. وقال الخطابي : فيه بيان أن لمن فاتته الركعتان قبل الفريضة أن يصليها بعدها قبل طلوع الشمس ... »[٣]. وبهذا يتضح أن سكوت النبي ﷺ قرينة ودليل على إقراره للمسألة ، وإلا نبه عليه السلام على الفعل الصحيح الذي يجب أن يفعله الرجل ولم يسكت ، وهذا أحد أساليبه عليه السلام في التبليغ والتعليم .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٢٦٧) ، كتاب الصلاة ، باب من فاتته ، متى يقضيها ؟ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١١٢٨) ، والترمذي في سننه برقم (٤٢٢) ، كتاب الصلاة ، باب ماجاء فيمن تفوته الركعتان ، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم (٣٤٦) ، وأخرجه ابن ماجه في سننه أبواب إقامة الصلاة ، باب ماجاء فيمن فاتته الركعتان قبل الفجر وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٩٤٨) .

(٢) تحفة الأحوذي ٤٨٨/٢ .

(٣) عون المعبود ١٤٤/٤ .

الإقرار بالتصديق بالقول

٢ - عن عون بن أبي جُحيفة عن أبيه قال : «آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذِّلة فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا . فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له : كل ، قال : فإني صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل . قال فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم . فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قُمِ الآن ، فصلّيا . فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كلَّ ذي حق حقه . فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال له النبي ﷺ : صدق سلمان»(١).

غريب الحديث :

متبذلة : أي لابسة ثياب البِذْلة وهي المهنة ، والمراد أنها تاركة لِلُبس ثياب الزينة (٢).

المعنى الإجمالي :

لما آخى النبي ﷺ بين سلمان ، وأبي الدرداء ، وذهب سلمان إلى بيت أبي الدرداء ، وجد امرأته متبذلة غير متزينة بشكل دعاه إلى سؤالها فقالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا وتعني ليس له حاجة في نساء الدنيا ، فلما جاء أبو الدرداء وصنع طعاماً ،قال سلمان لأبي الدرداء : كل ، قال : فإني صائم ، قال سلمان : ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم الليل ، فقال سلمان : نم ، ففعل ذلك حتى جاء آخر الليل فقاما يصليان ، ثم قال سلمان : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه . قال ابن حجر : والحاصل أن سلمان وهو الضيف أبى أن يأكل من طعام أبي الدرداء حتى يأكل معه ، وغرضه أن يصرفه عن رأيه فيما يصنعه من جهة نفسه في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٩٦٨)، كتاب الصوم ، باب : من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الزهد وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (١٩٦٦) .

(٢) الفتح ٤/ ٢١٠ .

العبادة وغير ذلك مما شكته إليه امرأته[1]. ثم ذهب أبو الدرداء إلى النبي ﷺ يخبره بما فعل سلمان ، وكأنه غير راض عن ذلك ، فقال ﷺ : «صدق سلمان» إقراراً منه فعل سلمان رضي الله عنه .

الدراسة :

قول النبي ﷺ : «صدق سلمان» ، دليل صريح على إقرار النبي ﷺ لفعل سلمان رضي الله عنه مع أبي الدرداء ، واشتهرت هذه الجملة على لسان كل أحد : «إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه» ، وفي الإقرار منقبة لسلمان رضي الله عنه ، وهذا الأسلوب الصريح في الإقرار ، والموافقة هو أحد أساليبه عليه السلام في تبليغ الدين وتعليم الناس ، وينبغي للمعلم والمربي حين يرى فعلاً جميلاً يوافق الشرع أو قولاً صحيحاً يقبله الشرع أن يثني عليه ، ويقره للسامعين حتى يُقتدى به ، والله أعلم .

---

(١) الفتح ٤/ ٢١٠ .

التبسم والإقرار

٣ - عن أبي سعيد الخدري أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر فمروا بحيٍّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا لهم : هل فيكم راقٍ فإن سيد الحيِّ لديغ أو مصاب ، فقال رجل منهم : نعم ، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب ، فبرأ الرجل ، فأعطي قطيعاً من غنم ، فأبى أن يقبلها ، وقال : حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ ، فأتى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له، فقال : يارسول الله ، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب ، فتبسم ، وقال : «وما أدراك أنها رقية» ثم قال : «خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم»(١).

غريب الحديث :

لديغ : اللدغ هو اللسع ، وهو هنا : ضرب ذات الحمة من حية أو عقرب وغيرهما ، وأكثر مايستعمل في العقرب(٢).

الرقية : العوذة التي يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات (٣).

سهم : السهم في الأصل واحد السهام التي يضرب بها في الميسر ، وهي القداح ، ثم سُمي به ما يفوز به الفالج سهمه ، ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهماً (٤).والفالج أي الغالب (٥).

المعنى الإجمالي :

كان جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر فمروا على قوم ، وطلبوا منهم أن يضيفوهم فأبوا ، ثم جاء رجل من القوم ، وقال هل من راق عندكم يرقي سيدنا فإنه لديغ ، فقال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٢٧٦) ، كتاب : الإجارة ، باب : ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، و مسلم واللفظ له : برقم (٢٢٠١) ، كتاب : السلام ، باب : جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن .

(٢) أنظر الفتح ٤/٤٥٥ .

(٣) النهاية مادة : «رقى» .

(٤) المصدر السابق مادة : «سهم» .

(٥) المصدر السابق مادة : « فلج » .

له أحد الصحابة نعم على أن تجعلوا لنا جعلاً ، فلما رقاه بالفاتحة وشفي مما يجد أعطوهم قطيعاً من الغنم ، فأبى أن يقسمه بينهم حتى يسأل النبي ﷺ ، فلما سأله تبسم عليه السلام كناية عن الرضى بما فعل ، ثم قال : وكيف عرفت أنها رقية ؟ ثم قال : «خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم» حتى تذهب أي شبهة كانت عندهم من ذلك .

الدراسة :

حين أخبر الصحابي الراقي الرسول ﷺ بما فعل مع القوم ، وأنهم أعطوهم قطيعاً من الغنم ثم سأله هل يقبل هذه العطية أم لا ، فجاء الرد من النبي ﷺ بالتبسم وهو كناية عن الإقرار والرضى بما فعل الصحابي رضي الله عنه ، فعلم الصحابي ذلك من الرسول ﷺ ، ثم أكد الرسول ﷺ ذلك فقال : «وما أدراك أنها رقية» ؟ وهذا تصريح منه عليه السلام بصحة فعله وجواز أخذ الأجر عن الرقية وتأكيد لتبسمه وموافقته الأولى ، ثم بدد عليه السلام كل شبهة يمكن أن تبقى في قلوبهم من هذا الأجر الذي أعطاهم القوم إياه بأن طلب أن يقسموا له منه . قال النووي : «واضربوا لي بسهم» فإنما قال تطييباً لقلوبهم ، ومبالغة في تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيه[1]. وهذا من أسلوبه عليه السلام في تعليم الناس المعنى وتبليغهم الحكم بإقرار الفعل بالتبسم كناية عن الرضى والقبول .

(١) النووي شرح مسلم ١٤/٣٥٧ .

الإيماء باليد

١ - عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل في حجته فقال : ذبحت قبل أن أرمي ، فأومأ بيده قال : ولا حرج . قال : حَلَقْتُ قبل أن أذبح ، فأومأ بيده : ولا حرج [١].

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «يُقبض العلم ، ويظهر الجهل والفتن ، ويكثر الهرج. قيل : يارسول الله وما الهرج ؟ فقال : هكذا بيده فحرَّفها ، كأنه يريد القتل» [٢].

غريب الحديث :

فأومأ : فأشار ، والإيماء : الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب [٣].

الحرج : هو في الأصل : الضيق ، ويقع على الإثم والحرام ، ولا حرج : أي لا بأس [٤].

الهرج : القتال والاختلاط [٥]. والهرج هو القتل بلسان الحبشة [٦].

المعنى الإجمالي :

الحديث الأول : قدَّم بعض الصحابة وأخروا في المناسك مثل الرمي قبل الذبح أو الذبح قبل الرمي أو تقديم الحلق أو تأخيره عنها ، كل ذلك والنبي عليه السلام يومئ بيده أن لا حرج عليكم أي قد صح فعلكم كما ذكر ابن حجر [٧].

الحديث الثاني : أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان يقبض العلم ويظهر الجهل ، أي يقبض بموت العلماء وظهور الجهل نتيجة لذلك ، وهو تأكيد لقبض العلم ورفعه كما ذكر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٨٤) ، كتاب العلم ، باب : من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٨٥) ، كتاب العلم ، باب : من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس .
(٣) إرشاد الساري للقسطلاني ١/٢٧٢ ، وانظر النهاية مادة : «أومأ» .
(٤) النهاية مادة : «حرج» .
(٥) المصد السابق مادة : «هرج» ، وكذلك انظر إرشاد الساري ١/٢٧٢ .
(٦) الفتح ١/١٨٢ .
(٧) انظر الفتح ١/١٨١ .
(٨) إرشاد الساري ١/٢٧٢ .

القسطلاني[٨]. وكذلك ظهور الفتن وكثرة الهرج وهو القتل والاختلاط وذلك بسبب الجهل والفتنة ، قال القسطلاني : وأصله كثرة الشر[١]. ثم سأل أحد الصحابة وما الهرج ؟ فقال عليه السلام : هكذا بيده فحرّفها ، كأنه يريد القتل » .

الدراسة :

في الحديث الأول :

أومأ النبي ﷺ بيده وهي إشارة دلت على الموافقة وصحة الفعل كما بين العلماء وأكدها ﷺ بقوله «لا حرج» ، قال ابن حجر : «فأومأ بيده فقال : لا حرج» أي عليك ، وقوله «فقال» يحتمل أن يكون بياناً لقوله : أومأ ، ويكون من إطلاق القول على الفعل كما في الحديث الذي بعده «فقال هكذا بيده» ، ويحتمل أن يكون حالاً والتقدير : فأومأ بيده قائلاً لا حرج ، فجمع بين الإشارة والنطق ، والأول أليق بالترجمة [٢]. ويقصد أنه من باب إطلاق القول على الفعل وهو مرادنا هنا في الباب . وهو أن النبي عليه السلام يوصل المعنى أحياناً ببعض القرائن وهي الإيماء هنا . والمعنى هو الموافقة أو صحة العمل الذي قام به السائل . وكذلك قال القسطلاني مثل ذلك : «فأومأ» يكون من إطلاق القول على الفعل وهذا هو الأحسن [٣].

الحديث الثاني :

لما سأل الصحابي عن قوله عليه السلام «ويكثر الهرج» ، قيل : يارسول الله وما الهرج؟ فقال : هكذا بيده فحرَّفها ، كأنه يريد القتل» ، وهذا يعني أن الراوي فهم من فعل النبي ﷺ بيده حين أومأ بها وحرَّفها أنه أشار بإشارة القتل ففهم مراد النبي عليه السلام من قوله «الهرج» أنه القتل . قال ابن حجر : «فحرَّفها» الفاء فيه تفسيرية كأن الراوي بين أن الإيماء كان محرَّفاً . «كأنه يريد القتل» كأن ذلك فهم من تحريف اليد وحركتها كالضارب[٤]. أ.هـ وقال القسطلاني مثل ذلك [٥].

(١) ارشاد الساري ٢٧٢/١ .
(٢) الفتح ١٨١/١ .
(٣) إرشاد الساري ٢٧٢/١ .
(٤) الفتح ١٨٢/١ .
(٥) إرشاد الساري ٢٧٢/١ .

ومن الحديث الأول والثاني يتبين لنا أن النبي ﷺ كان يستخدم الإيماء وحركة اليد وغيرها لإيصال معنى معين أراد أن يبلغه للناس وأنه أسلوب من أساليبه عليه السلام في التعليم والتبليغ . وهو أكثر إثارة ومدعاة لالتفات الفكر إليه ، وأكثر تثبيتاً للفعل في الذهن . وقد يكون أقوى من المقال .

الخلاصة :

كان الرسول ﷺ يستخدم في التبليغ والتعليم أسلوب البيان المقرون بالقرائن من تعابير الوجه المختلفة أو الحركات والإيماءات بيده أو غيرها ، والتي تدل على معنى واضح مراد من فعله ﷺ ، وأنه قد يؤكده بقوله بعد ذلك . وأنه ﷺ ما كان يقوم بتلك الأفعال دون أن يكون له قصد منه لها ، أو أنها لا تؤدي إلى معنى قصده عليه السلام . وهذا في الحقيقة تنويع منه عليه السلام في أساليب التعليم والتبليغ ، وإلا لكان يكفيه القول في البيان دون تلك التعابير والإيماءات المختلفة التي كان يفعلها .

ويمكن أن نذكر ما سبق في نقاط مختصرة واضحة :

١ - استخدام النبي ﷺ لتعابير الوجه المختلفة والإيماءات والحركات المختلفة في التبليغ والتعليم .

٢ - إن إيصال المعنى المراد وليس بالقول فقط يمكن أن يكون بالفعل والقرائن أيضاً والقرائن .

٣ - إن الغضب ، وتغير الوجه ، والتمعر ، وظهور الكراهية على الوجه ، وتلون الوجه ، والإيماء ، والإعراض ، والتبسم ، والسكوت ، وغير ذلك هي مما كان يستخدمه عليه السلام في إيصال معنى مراد منه عليه السلام .

٤ - إن استخدام مثل هذا الأسلوب فيه تنويع و زيادة معنى على القول من حيث التأكيد على الشيء ، أو أن يكون أكثر حضوراً في الذهن .

٥ - على المعلم والمربي أن يستخدم مثل هذا الأسلوب في البيان حسب مناسبة الحال ، وأن لا يكتفي بالقول دائماً ، بل إن مثل هذا الأسلوب قد يكون آكد وأقوى في إيصال المعنى المراد إيصاله للمتعلم والمتربي .

الباب الرابع

صفة تعامل النبي عليه السلام مع أصناف الناس وطبقاتهم فيما يتصل بالبلاغ والتعليم

صفة تعامل النبي عليه السلام مع أصناف الناس وطباقتهم فيما يتصل بالبلاغ والتعليم

بُعث النبي صلى الله عليه وسلم هادياً وبشيراً ونذيراً وذلك للناس كافة ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [1]، بُعث إليهم على مختلف أجناسهم ومشاربهم وأديانهم . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [2]. فالناس أخلاط وأجناس مختلفون ، فمنهم العربي والأعجمي ، وهم مختلفون من حيث المنزلة فمنهم الملوك والأمراء والسادة ، ومنهم العامة والضعفاء ، ومنهم التابع والمتبوع ؛ ومن حيث العلم كذلك فمنهم العالم والجاهل والحكيم وغير الحكيم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، وقال ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[4]. ومن حيث الإيمان فمنهم من آمن ومنهم من استكبر وكفر ، وكذلك منهم من نافق فأظهر الإيمان وأبطن الكفر . ومن حيث السن فمنهم الكبير ، والصغير ، ومن حيث الجنس فمنهم الذكر والأنثى . فهذا التنوع الكبير في أصناف الناس ومنازلهم ما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليتعامل معه بأسلوب واحد وطريقة لا تتغير ، بل كان ﷺ يتعامل مع كل صنف منهم بما يصلح معه ، ويخاطب كل منهم على قدر فهمه ، فقد يتعامل مع العالم بما لا يتعامل به مع الجاهل ، ويتعامل مع الصغير بما لا يتعامل به مع الكبير ، وقد يختلف موقفه ﷺ من المشرك والمنافق لحدث معين ، ومن المؤمن والمسلم وإن كان السبب واحداً والفعل كذلك. وقد يختلف تعامله ولهجة خطابه مع أصحاب المنزلة والسلطان من الملوك والأمراء أو سادة القوم ومع عامة الناس ، وكذلك يختلف تعامله وطريقة تبليغه وتعليمه مع الرجل أوالمرأة ، فكل واحد مما سبق كان ﷺ يعلم الفرق بينهم ويتعامل معهم على أساس أن ما يصلح لهذا

---

(١) سبأ : ٢٨ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) الزمر : ٩ .

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٥) ، كتاب العلم ، باب فضل الفقه على العبادة ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢١٦١) .

قد لا يصلح للآخر ، وأن ما يصلح من ردة فعل من هذا لا يستلزم أن تصدر من الآخر ، وأن هناك ما يتحمله صنف من الناس قد لا يتحمله صنف آخر وهكذا .

ومن خلال ما سيأتي بإذن الله سنلمس أن النبي ﷺ في تبليغه وتعليمه، كان يراعي أموراً كثيرة بين الناس من حيث العلم ، والمنزلة ، والسن ، والرجل أو المرأة ، والإيمان وضده ، وغيرها من الفروق .

الفصل الأول

تعامله عليه السلام مع العلماء

الفصل الأول

تعامله عليه السلام مع العلماء

العلماء وأهل العلم لهم في كل مكان وزمان منزلة خاصة تليق بهم وبعلمهم ولا أدل على ذلك من قوله عز وجل : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ، بالطبع لايستوون، فالعلم نور يهدي صاحبه إلى صراط مستقيم ، ويورثه الخشية من الله ، لأنه بعلمه يقدر الله حق قدره وكان للعلماء من الصحابة رضي الله عنهم مكانة خاصة عند النبي ﷺ ، فهو عليه الصلاة و السلام يفرق في المواقف بين العالم والجاهل ، بين من قوى إسلامه وأدرك حظاً وافراً من العلم وبين حديث العهد بالجاهلية ولم يشتد عوده في الإسلام بعد . فقد ينكر على العالم ما لا ينكر على الجاهل في مواقف معينة ، والسبب في ذلك العلم ، وقد يغضب من العالم لتصرف ما في حين أنه لا يغضب من الجاهل ولو كان التصرف منه أعظم ، والسبب في ذلك هو العلم . وقد يخص عليه السلام بعض الصحابة من العلماء ببعض الحديث ، وبالبشرى ما لا يذكره لغيرهم خشية عدم إدراكهم للفهم الصحيح ، أو عجزهم عن تحصيل المراد منه فيكون لبعضهم فتنة مع أنه عليه الصلاة و السلام ما كان يخشى الفتنة على من يقول له ذلك الحديث لعلمه عليه السلام برسوخ علم هؤلاء الصحابة وقوة فهمهم . فيكون هذا الفهم حافزاً لهم على العمل وزيادة لهم في الإيمان . وسيأتي معنا بعض الأمثلة على ذلك مثل حديث معاذ مثلاً . وهذا المنهج في التفريق بين العالم والجاهل أو إعطاء العالم منزلة ليست لغيره هو منهج أهل الفطنة والحذق ، وهو منهج شرعي قبل كل شيء سنه عليه الصلاة والسلام لأمته وعمل به وقام عليه الدليل من فعله ، وقوله ﷺ ، وقد خصص البخاري رحمه الله باباً في كتاب العلم سماه : باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا . وتبع الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ في هذا المنهج ، ومن ذلك قول علي رضي الله عنه حين قال : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟[1]. قال ابن حجر : والمراد بقوله «بما يعرفون» أي

---

(١) أخرجه البخاري ، برقم (١٢٧) ، في كتاب العلم ، باب : من خص بالعلم قوماً دون قوم .

يفهمون . ثم قال : وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة [1].

وعن ابن مسعود قال : «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» [2]. قال ابن حجر : وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، وأبو يوسف في الغرائب ، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين [3] ، وأن المراد ما يقع من الفتن ، ونحوه عن حذيفة وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين ، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي ، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوى البدعة وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب . والله أعلم . أ.هـ [4].

وعن هشام بن عروة قال : قال لي أبي : «ما حدثت أحداً بشيء من العلم قط لم يبلغه (عقله)[5] إلا كان ضلالاً عليه» [6]. وعن أبي قلابة قال : «لا تحدث بحديث من لا يعرفه ، فإن من لا يعرفه يضره ولا ينفعه»[7]. وعن ابن مسعود قال : «ما حدثت قوماً حديثاً لا يعرفونه إلا كان فتنة على بعضهم»[8].

وهنا تنبيه مهم وهو أن المقصود من تخصيص قوم بالعلم دون آخرين هو ما ليس فيه حكم شرعي أو علم حلال أو حرام إنما هو من قبيل البُشرى أو توقيت لبعض الأحداث أو الإخبار عن بعض الأشخاص وأفعالهم وما شابه ذلك . قال النووي في معرض الكلام على حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «قال القاضي عياض وغيره من العلماء رحمهم الله : وليس فعل عمر رضى

(١) فتح الباري ١/٢٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة برقم (٥) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع .

(٣) يقصد بذلك حديث أبي هريرة قال : « حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين : فأمّا أحدهما فبثثْته ، وأما الأخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم » رواه البخاري برقم ١٢٠ ، كتاب العلم ، باب حفظ العلم ، والجرابين أي الوعاءين .

(٤) فتح الباري ١/٢٢٥ .

(٥) في رواية (علمه) .

(٦) ،(٧) ، (٨) جامع بيان العلم وفضله رقم (٨٨٩)(٨٩٠)(٨٩٢) وكلها صحيحة ، ١/٥٩٣.

الله عنه ومراجعته النبى ﷺ اعتراضاً عليه ورداً لأمره إذ ليس فيما بعث به أبا هريرة غير تطييب قلوب الأمة وبشراهم ... »[1].

وكذلك القرطبي قال في الموضع نفسه : «ولم يكن ذلك من عمر اعتراضاً على رسول الله ﷺ، ولا رداً لأمره ، وإنما كان ذلك سعياً في استكشاف عن مصلحة ظهرت له لم يعارض بها حكماً ولا شرعاً ، إذ ليس فيما أمره به إلا تطييب قلوب أصحابه ، أو أمته ، بتلك البشرى»[2].

---

(١) النووي شرح مسلم ١/١٩٢ .
(٢) المفهم ١/٢٠٧ .

إغلاظه ﷺ على العلماء

١ - عن معدان بن أبي طلحة أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة ، فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر قال : (الحديث ....) .... ثم إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة ما راجعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيءٍ ما راجعتُهُ في الكلالة وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتى طعن بإصبعه في صدري فقال : يا عُمَر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وإني إن أعِش أقضِ فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن ، ... الحديث» (١).

غريب الحديث :

الكلالة : هو أن يموت الرجل ولا يدع والداً ولا ولداً يرثانه (٢).

طعن بإصبعه : أي ضربه برأسها (٣).

المعنى الإجمالي :

لما أشكل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهمه للكلالة ، همه ذلك كثيراً ، حتى أنه راجع النبي ﷺ في ذلك كثيراً ، إلى درجة أن النبي ﷺ أغلظ عليه حتى طعنه بإصبعه في صدره رضي الله عنه إمعاناً من النبي عليه السلام في الردع له عن الإلحاح على هذا السؤال ، ثم بيّن له ما يفيد الجواب عن سؤاله بقوله : ألا تكفيك آية الصيف ؟ ثم تبين له الصواب ، واهتدى له حين استعمل فكره فيها فقال قولته «إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٥٦٧) ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : نهي من أكل ثوماً ...
(٢) النهاية . مادة : «كلل» .
(٣) المصدر نفسه مادة : «طعن» .
(٤) انظر شرح الحديث في المفهم ٢/١٧١،١٧٢،١٧٣ .

الدراسة :

راجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي ﷺ في الكلالة وألح عليه في ذلك فأغلظ له النبي عليه السلام بأن طعن في صدره بإصبعه الشريفة إمعاناً منه عليه السلام في ردعه عن الإلحاح في السؤال عن هذه المسألة . وفعل النبي عليه السلام هذا مع عمر هو ما يصلح في مثل ذلك الموقف ولم يخش عليه السلام على عمر من شدة الإغلاظ عليه في دينه لمعرفته عليه السلام بعمر ومن هو عمر رضي الله عنه فهو أفضل الصحابة بعد أبي بكر وهو العالم الذي أوّل النبي ﷺ رؤياه بشربه لفضلته بالعلم ، وهو صاحب الإيمان القوي الراسخ الذي لا يخشى عليه وهو الباب الذي كسر بقتله فدخلت الفتن من بعده رضي الله عنه كما ثبت في الحديث (١).

إذن فالنبي ﷺ أغلظ وشدد في ذلك ؛ لأن الموقف كان مع عمر ولم يخش عليه الفتنة ، ولو كان ذلك الموقف مع غيره ممن يُخشى على دينه لجهل أو كِبر أو غير ذلك لم يفعله ﷺ ، قال القرطبي بعد أن ذكر وجوه الإشكال في فهم الكلالة ، قال : «فلما استشكلت على عمر هذه الوجوه تشوّف إلى معرفتها ، بطريق يزيح له الإشكال ، فألح على النبى ﷺ بالسؤال عن ذلك ، حتى ضرب النبي ﷺ على صدره ، وأغلظ عليه في ذلك ردعاً له عن الإلحاح ، إذ كان قد نهى عن كثرة السؤال ، وتنبيهاً له على الاكتفاء بالبحث ، عما في الكتاب من ذلك ، وعلى أن الكتاب يبيِّنُ بعضه بعضاً . وقال الخطابي : يشبه أن يكون لم يُفْته ، ووكَل الأمر إلى بيان الآية اعتماداً على علمه وفهمه ؛ ليتوصل إلى معرفتها بالاجتهاد ، ولو كان السائل ممن لا فهم له لبين له البيان الشافي. قال : وإن الله أنزل في الكلالة آيتين : إحداهما في الشتاء ، وهي التي في أول سورة النساء ، وفيها إجمالٌ وإبهامٌ لا يكاد يبين المعنى من ظاهرها ، ثم أنزل الآية التي في آخر النساء في الصيف ، وفيها زيادة بيان » (٢).

---

(١) أنظر البخاري حديث برقم (٥٢٥) ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلاة كفارة .
(٢) المفهم ١٧٢/٢ .

ومما يدل على أن موقف النبي ﷺ كان مناسباً مع عمر قوله رضي الله عنه «وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن» . قال القرطبي : «هذا يدل على أنه كان اتضح له وجه الصواب فيها ، وأنه كان قد استعمل فِكره فيها ، حتى فهم ذلك وأنه أراد أن يوضح ذلك على غاية الإيضاح ، ولم يتمكن من ذلك في ذلك الوقت الحاضر للعوائق والموانع ، ثم فاجأته المنية رضي الله عنه ، ولم يرو عنه فيها شيء من ذلك ، ولكن قد اهتدى علماء السلف لفهم الآيتين ، وأوضحوا ذلك ، فتبين الصبح لذي عينين»(١).

فالشاهد هو أن النبي ﷺ كان يعلم أن عمر يكفيه أن يستعمل فكره في الآيتين فلا تشكل عليه الكلالة لكنه لم يفعل ، فأغلظ عليه حين ألح في ذلك .

(١) المفهم ١٧٣/٢ .

٢ - عن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة ، قال فصبحنا القوم فهزمناهم ، قال : ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، قال فلما غشيناه ، قال : لا إله إلا الله ، قال فكفَّ عنه الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته . قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ ، قال : فقال لي : ياأسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قال : قلت يارسول الله إنه إنماكان متعوذاً ، قال : قتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قال فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» [١].

الدراسة :

هنا أنكر النبي ﷺ إنكاراً شديداً على أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما وهو حِبُّ حِبِّ رسول الله ﷺ ، قال القرطبي : وتكرار ذلك القول - أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟ - إنكار شديد وزجر وكيد ، وإعراض عن قبول عذر أسامة الذي أبداه بقوله : «إنما قالها خوفاً من السلاح»[٢]. وقال ابن التين : في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد [٣]. وإن كان المقام يستحق الإنكار الشديد إلا أن النبي ﷺ زاد في ذلك حين كان المنكر عليه أسامة بن زيد رضي الله عنه وهو من هو في العلم والمنزلة عند النبي ﷺ ولم يخش عليه ﷺ من الفتنة في دينه إلى درجة أنه عليه السلام تجاهل طلب أسامة المغفرة له من الله ، وأخذ عليه السلام يكرر مقولته إغلاظاً في الإنكار عليه . ومثل هذا حصل في حديث المخزومية التي سرقت [٤].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم (تقدم تخريجه في الإنكار المباشر ، ... ، وكذلك الشرح فيمكن مراجعته في ص ١٥٠) .
(٢) المفهم ٢٩٦/١ .
(٣) فتح الباري ١٩٥/١٢ .
(٤) انظر ص ١٥٠ من البحث .

٣ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه النبي ﷺ فغضب ، فقال :« أَمُتَهَوِّكُون فيها ياابن الخطاب ، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذِّبوا به أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيّا ما وسعه إلا أن يتبعني »[١].

غريب الحديث :

أمتهوِّكون : التهوك كالتهور ، وهو الوقوع في الأمر بغير روية .

المتهوك : الذي يقع في كل أمر . وقيل : هو التحيُّر [٢].

المعنى الإجمالي :

أن عمر رضي الله عنه جاء بشيء من التوراه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لعله يصيب منها علماً نافعاً ، فغضب عليه الصلاة و السلام من ذلك ، وقال لعمر رضي الله عنه : أمتهوكون فيها ياابن الخطاب ، أي متحير أو شاكُ فيما جئت به . ثم بيّن أن موسى عليه السلام لو كان حياً ما وسعه إلا اتباعه فيما جاء به عليه السلام .

الدراسة :

أنكر النبي ﷺ وغضب غضباً شديداً على عمر رضي الله عنه حين جاء بالصحيفة من التوراة ، حتى أنه قال لعمر أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ وفي رواية أفي شك أنت ياابن الخطاب ؟ . وفي رواية فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه ، ثم نودي بالصلاة جامعة ، فقالت الأنصار : أغضب نبيكم هلم السلاح السلاح ، فجاؤا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٨٧ ، وحسنه الألباني رحمه الله في الإرواء (١٥٨٩) ، والمشكاة (١٧٧) .
(٢) النهاية . مادة : «هوك» .
(٣) انظر : شواهد الحديث في الإرواء (١٥٨٩) .

والشاهد من ذلك غضب النبي ﷺ الشديد لفعل عمر رضي الله عنه لأنه - والله أعلم - إذا صدر ذلك من عمر فمن غيره من باب أولى ، ولذلك احتاج النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين الأمر للناس كافة ، ولذلك قال ما قاله عن وجوب الإكتفاء بما جاء به هو صلى الله عليه وسلم دون النظر إلى أي مصدر آخر وكان ذلك مصحوباً بالغضب وعدم الرضى من ذلك الفعل . فالسبب من الإنكار المباشر والشديد من قبل النبي صلى الله عليه وسلم هو أن الفعل صادر من عالم له منزلة خاصة وبذلك يحتاج الموقف إلى بيان في الحال وحازم في نفس الوقت وهو ما كان ، والله أعلم .

٤ - عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : رأيت عليه بُرداً وعلى غلامه بُرداً ، فقلت : لو أخذت هذا فلبسته كانت حُلة ، وأعطيته ثوباً آخر ، فقال : كان بيني وبين رجلٍ كلام ، وكانت أمه أعجمية ، فنِلت منها ، فذكرني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي : أساببت فلاناً ؟ قلت : نعم . قال : افنِلْتَ من أمِّه ؟ قلت : نعم . قال : إنك امرؤٌ فيك جاهلية . قلتُ : على حين ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال : نعم ، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليُعنه عليه » [١].

وفي رواية : «إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم «ياأبا ذر ، أعيرته بأمه ؟ ... » [٢].

وعند مسلم «أعيرته بأمه ؟ فقلت : من سب الرجال سبوا أباه وأمه . قال ... »[٣].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٥٠) ، كتاب الأدب ، باب : ما يُنهى عن السباب واللعن ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦٦١) ، كتاب الأيمان ، باب : طعام المملوك وكسوته .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٠ ، كتاب الأيمان ، باب : المعاصي من أمر الجاهلية .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦٦١) ، كتاب الأيمان ، باب : إطعام المملوك وكسوته .

غريب الحديث :-

البُرد : كساء مخطط يلتحف به [1].

حُلة : ثوبان من جنس واحد [2].

فعيَّرتُه : أي نسبته إلى العار [3].

المعنى الإجمالي :

رأى المعرور أبا ذر وقد لبس برداً وغلامه آخر ، فقال له لو أخذت ما على غلامك ولبسته لكان حلة - لأنه باجتماع ثوبين من جنس واحد يكون حلة وهي أجمل - وتعطيه عوضاً عن ذلك ثوباً آخر . فقال أبو ذر أنه كان بينه وبين رجل كلام ، وقيل إنه بلال رضي الله عنه ، وكانت أمه أعجمية غير عربية ، فنال أبو ذر منها أي عيَّره بها وانتقصها ، فشكى الرجل ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي عليه السلام لأبي ذر : أسابيت فلاناً ؟ فقال أبو ذر : نعم ، فقال له : أفنلت من أمه ؟ فقال : نعم . فقال له عليه السلام : إنك امرؤٌ فيك جاهلية ، أي حين عيَّره بأمه ونسبه إلى العار ؛ لأن أمه أعجمية كان فيه خصلة من خصال الجاهلية ، فأراد أبو ذر أن يبين عذره كما في رواية مسلم قال : من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، لكن ذلك لم يُقبل منه بل قال له عليه السلام : إنك امرؤ فيك جاهلية ، فاستغرب أبو ذر فقال : على حين ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال عليه السلام : نعم . قال ابن حجر : ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه ، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده ، فلهذا قال كما عند المؤلف في الأدب «قلت : على ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال : نعم» كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه ، بين له كون هذه الخصلة مذمومة شرعاً ، وكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذاً بالأحوط ... »[4].

---

(١) المعجم الوسيط ، مادة : «برد» .
(٢)(٣) فتح الباري ٨٦/١ .
(٤) المصدر السابق ٨٧/١ .

ثم بين النبيﷺ حقوق هذه الفئة من الناس بقوله : هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ... إلى آخر الحديث » [١].

الدراسة :

حين عير أبو ذر بلالاً رضي الله عنهم بأمه أنها أعجمية وفي رواية أنه قال : « ياابن السوداء » غضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له كلمة ليست بالهينة على أبي ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية » أبو ذر فيه خصلة من خصال الجاهلية وهو من هو في العلم والعقل ، قال القسطلاني : « أسابيت فلاناً » ؟ بالاستفهام الإنكاري التوبيخي « قلت : نعم قال أفنلت من عرض أمه ، قلت : نعم ، قال : إنك في نيلك من أمه « امرؤ فيك جاهلية » ، أي أخلاق أهل الجاهلية . وإنما وبخه ﷺ بذلك مع عظم درجته تحذيراً له أن يفعل مثل ذلك مرة أخرى » [٢]، ولذلك من هول هذه الكلمة ، قال رضي الله عنه مستغرباً ومتعجباً من قول النبي عليه الصلاة والسلام : « على ساعتي هذه من كبر السن » أي وأنا في هذا السن الكبير ، ومع تقدمي في الإسلام يكون فيَّ خصلة من خصال الجاهلية . و القرطبي : وقول أبي ذر : « على حال ساعة من الكبر » استبعاداً منه أن يبقى فيه شيء من خصال الجاهلية مع كبر سنه ، وطول عمره في الإسلام ، فلما أخبره النبيﷺ ببقاء ذلك عليه زال استبعاده ، ووجب تسليمه لذلك القول وانقياده [٣]. إذن الأمر لم يكن سهلاً على أبي ذر وهو يسمع مقالة النبي ﷺ ، لكنها التربية والتعليم من قبل النبي ﷺ كل بما يناسبه وإلا فهو عليه السلام يعلم قوة وقع هذه الكلمة على أبي ذر ، لكنها كانت تصلح له وهو في هذا المقام وأنه ما كان ينبغي أن يأتي منه مثل هذا ، وكان يعلم عليه السلام المردود الإيجابي لمثل هذه الكلمة الشديدة على مثل أبي ذر فكان منه ما كان من الأوبة والاستغفار ، ومحاولته مساواة الغلام بنفسه كما يظهر جلياً من هذا الحديث ، والله أعلم .

---

(١) انظر شرح الحديث في الفتح ٨٦/١، ٨٧ .
(٢) ارشاد الساري ٦٩/١٣ .
(٣) المفهم ٣٥٢/٤ .

إعلامه ﷺ للعلماء وكبار صحابته بالأمور المهمة دون غيرهم

١ - عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء لم يُجبْهُ رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يُجبه ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثَكِلَتْ أم عمر ، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فيَّ القرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي . فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن ، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه ، فقال : لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» (١).

غريب الحديث (٢):

ثكلت : الثكل فقدان المرأة ولدها .

نزرت : ألححت عليه .

نشبت : أي لم أتعلق بشيء غير ما ذكرت .

المعنى الإجمالي :

سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي ﷺ عن شيء فلم يجبه ثلاثاً، فخشي عمر أن ينزل فيه قرآن لإلحاحه على النبي عليه السلام ومضايقته له بذلك . فما زال وهو كذلك إذ ناداه منادي رسول الله ﷺ ، حتى إذا أقبل وسلم عليه قالﷺ : لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٣٣). كتاب التفسير . باب : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» ، و الترمذي برقم (٣٢٦٢) ، كتاب التفسير ، باب من سورة الفتح ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٠٠) وقال صحيح .
(٢) فتح الباري ٥٨٣/٨ .

أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» . قال ابن حجر : أي لما فيها من البشارة بالمغفرة والفتح (١).

الدراسة :

حين نزلت سورة الفتح على النبي ﷺ وفرح بها فرحاً كبيراً حتى أنه قال عنها : لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس . في تلك اللحظات أرسل إلي عمر رضي الله عنه ليأتي ويخبره بما نزل عليه في تلك الليلة ، وهذا فيه إثبات فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإكراماً له واعترافاً بمنزلته . قال النووي رحمه الله : وفيه إعلام الإمام والعالم كبار أصحابه بما يقع له من الأمور المهمة ، والبعث إليهم لإعلامهم بذلك (٢).

---

(١) فتح الباري ٥٨٣/٨ .

(٢) النووي شرح مسلم ٤٧٦/١٢ .

إعلامه ﷺ للعلماء ما لا يصلح لغيرهم

١ - عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه على الرَّحل - قال: «يا معاذ بن جبل . قال : لبيك يارسول الله وسعديك . قال : لبيك يارسول الله وسعديك (ثلاثاً) . قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار . قال : يارسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : إذاً يتكلوا . وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً» (١).

المعنى الإجمالي :

أخبر النبي ﷺ بأن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً أي بلفظه ويصدق بقلبه ، إلا حرمه الله على النار ، ففرح بها معاذ ، فقال : يارسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ فقال ﷺ : «إذن يتكلوا» بمعنى أنهم يتركون العمل لإدراكهم ظاهره فقط . فلما حضرت المنية معاذاً ، أخبر به رضي الله عنه خشية الوقوع في الإثم ، لكتمانه علماً علمه إياه النبي ﷺ ، لأنه فَهِمَ أن النهي هو على التنزيه لا على التحريم (٢).

الدراسة :

عندما أراد معاذ بن جبل أن يبشر الناس بهذا الحديث ، خشي النبي ﷺ أن يتكل الناس ، ويذروا العمل لقصور فهمهم وأخذه على ظاهره ، فعلم معاذ كراهة النبي صلى الله عليه وسلم إخبار الناس بهذا الحديث ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ خص معاذاً بمثل هذا الحديث لمعرفته بمنزلة معاذ وعلمه ، وأنه عليه السلام لم يخش على معاذ الإتكال وعدم العمل ، لأنه رضي الله عنه عالم فقيه يفهم الحديث على معناه الصحيح فيكون له دافع للعمل وليس العكس . قال النووي في شرحه لرواية أخرى عن عبادة ابن الصامت حين قال : «والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف ...» قال

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨) ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا . وأخرجه مسلم برقم (٣٢) كتاب الإيمان ، باب من شهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه دخل الجنة .

(٢) انظر شرح الحديث في : الفتح ٢٢٦/١ ، والمفهم ٢٠٨/١ .

النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : فيه دليل على أنه كتم ما خشي الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل واحد ، وذلك فيما ليس تحته عمل ، ولا فيه حد من حدود الشريعة [1]. وقال ابن حجر : وفي الحديث ...، ومنزلة معاذ بن جبل من العلم لأنه خصه بما ذكر[2]. وحين أخبر النبي ﷺ أبا هريرة بقوله : «اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه ، فبشره بالجنة» وموقف عمر مع أبي هريرة إلى آخر القصة . قال القرطبي : وضرب عمر أبي هريرة حتى سقط لم يكن ليؤذيه ويوقعه ، لكن إنما كان ليوقفه ويمنعه من النهوض بالبشرى حتى يراجع النبي ﷺ ، ولم يكن ذلك من عمر اعتراضاً على رسول الله ﷺ ، ولا رداً لأمره ، وإنما كان ذلك سعياً في استكشاف عن مصلحة ظهرت له لم يعارض بها حكماً ولا شرعاً ، إذ ليس فيما أمره به إلا تطييب قلوب أصحابه ، أو أمته ، بتلك البشرى ، فرأى عمر : أن السكوت عن تلك البشرى أصلح لهم ، لئلا يتكلوا على ذلك ، فتقل أعمالهم وأجورهم ، ولعل عمر قد كان سمع ذلك من النبي ﷺ كما سمعه معاذ ، على ما يأتي في حديثه [3]، فيكون ذلك تذكيراً للنبي ﷺ عن ذلك تعديلاً على ما قد كان تعذر لهم تبيانه لذلك ، ...»[4]. ويدل نزول النبي ﷺ عند رأي عمر من أنه عليه السلام كان لخاصة صحابته من العلماء مكانة خاصة عنده يتعامل معهم على أساسها في مثل هذه المواقف . وقال النووي أيضاً : وفيه - حديث أبي هريرة - جواز إمساك بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة أو خوف المفسدة [5].

ومما سبق يتبين أن هناك أموراً تجري بين النبي ﷺ وبعض أصحابه لا تظهر للآخرين خوفاً من فهم خاطئ أو فتنة في الدين .

---

(١) النووي شرح مسلم ١/١٨٥ .
(٢) فتح الباري ١/٢٢٧ .
(٣) هو حديثنا هذا .
(٤) المفهم ١/٢٠٧ .
(٥) النووي شرح مسلم ١/١٩٣ .

٢ - عن أبي هريرة قال : «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين : فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم»[١].

غريب الحديث [٢]:

وعاءين : نوعين من العلم .

بثثته : أذعته ونشرته .

البلعوم : مجرى الطعام وهو كناية عن القتل .

المعنى الإجمالي :

حدث أبو هريرة رضي الله عنه أنه حفظ من رسول الله ﷺ وعاءين أي نوعين من العلم والحديث أذاع أحدهما ونشره ، وأما الآخر فلم ينشره خوفاً على نفسه حيث كان إخباراً بأحوال أمراء السوء وزمنهم كما بين العلماء ذلك ، قال ابن حجر : «وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين اسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكنى عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم ، كقوله أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة» [٣].

الدراسة :

يدل هذا الحديث على أن النبي ﷺ خص أبا هريرة ببعض الحديث والعلم دون غيره ،لمكانته منه عليه السلام ولعلمه وفضله رضي الله عنه ، حيث كان يلازم النبي ﷺ دائماً ،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٠) ، كتاب العلم ، باب حفظ العلم .
(٢)(٣) فتح الباري ٢١٦/١ .

فحدث عنه الكثير ، وحفظ منه الكثير ببركة دعاء النبي ﷺ له بحفظ العلم[1] وكتمانه لهذا العلم الآخر هو ليس من كتمان العلم المحرم خاصة وهو راوي حديث كتمان العلم[2]. لأنه لا يختص بعلم شرعي أو حلال وحرام وإنما هو من قبيل إخبار أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم . كما نقلنا عن ابن حجر آنفاً ، وكما قال ابن المنير : «وإنما أراد أبو هريرة بقوله «قطع» أي قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم ، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتوبة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على ذم من كتم العلم . وقال غيره يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان ، فينكر ذلك من لم يألفه ، ويعترض عليه من لا شعور له به [3].

(١) انظر البخاري ، كتاب العلم ، باب حفظ العلم برقم (١١٩) .
(٢) انظر البخاري ، كتاب العلم ، باب حفظ العلم برقم (١١٨) .
(٣) فتح الباري ٢١٧/١ .

الخلاصة :-

ويمكن الخلوص مما سبق في النقاط التالي :

١ - أن النبي ﷺ كان له تعامل مميز مع العلماء يختلف عن غيرهم .

٢ - يبين النبي ﷺ من خلال تعامله مع العلماء منزلتهم وفضلهم .

٣ - إغلاظه ﷺ عليهم إذا اقتضى الأمر هو بسبب علمهم ورسوخهم في الإسلام، فما يناسب في التعامل معهم قد لا يناسب غيرهم من عامة الناس أو الجهلة منهم أو حديثي العهد بالكفر .

٤ - كان ﷺ يخص العلماء بعلم قد لا يصلح لغيرهم ، وقد يكون فتنة على ما سواهم .

٥ - تخصيص النبي ﷺ العلماء بعلم دون غيرهم هو مما ليس فيه بيان حلال أو حرام أو حكم شرعي ، فهذا متاح للجميع وليس لأحد كائن من كان أن يخفيه عن أناس دون أناس ، لكنه من باب البشرى أو الأحداث في الزمن القادم ، وهو من معجزاته ﷺ .

٦ - لابد للمربي والمعلم والداعي أن يراعي مثل هذا التميز لأهل العلم والفضل ، وأن يتعامل معهم وفق هذه الصفات ، كما كان يفعل ﷺ مع كل موقف بما يناسبه .

الفصل الثاني

تعامل النبي ﷺ

مع العوام والجهلة من الناس

الفصل الثاني

تعامل النبي ﷺ مع العوام والجهلة من الناس

كان للنبي ﷺ تعامل خاص مع العوام والجهلة من الناس ، فقد كان ﷺ يراعي أحوالهم ويعاملهم بما يصلح لهم ولا يقصُر عنه فهمهم . فقلة العلم والفقه عند أناس يحتمل منهم الخطأ أو الفتنة ما لا يُحتمل من غيرهم ، ولذلك كان لهم تعامل خاص عند النبي ﷺ من هذا الوجه . فقد كان بهم رحيماً يشفق عليهم ويرأف بهم ويعلمهم ما يحتاجون وما يجهلون أو ما يخطئون فيه بطريقة تصلح لهم . وكان يصبر على أذاهم وخشونتهم تجاهه ، فلا يؤذيهم أو يُعنف عليهم بل قد يبتسم في وجوههم . وكان أيضاً يَعْدِلُ عن مصلحة في مقابل سلامة دينهم وتأليفاً لقلوبهم وإيثاراً لعدم فتنتهم رحمة بهم . وكان ﷺ يتبسط لهم ويعلمهم بأسهل طريقة إلى أفهامهم وأكثر وقعاً في قلوبهم ، فلا يعجل عليهم ولا يعنفهم ولا يعبس في وجوههم عند خطئهم ، بل على العكس من ذلك فهو يعذرهم ويحلم عليهم . وبالمقارنة بين تعامله ﷺ مع العلماء ومعاملته مع العوام والجهال . تبين لنا هذه الخصوصية التي كان ﷺ يتعامل بها مع العوام والجهلة من الناس وذلك تثبيتاً لهم ولعدم تعريضهم للفتن وتأليفاً لقلوبهم .

حلمه ﷺ وحسن تعليمه للجاهل :-

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «دخل أعرابي المسجد ، والنبي ﷺ جالس فصلى ، فلما فرغ قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً ، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال : لقد تحجرت واسعاً ، فلم يلبث أن بال في المسجد ، فأسرع إليه الناس ، فقال النبي ﷺ: أهريقوا عليه سَجْلاً من ماء ، أو دَلواً من ماء ، ثم قال : إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» .

وفي رواية للبخاري : «فتناوله الناس» ، وفي رواية «فزجره الناس» ، وفي رواية لمسلم

«فقام إليه بعض القوم» ، وفي رواية «فصاح به الناس» ، وفي رواية «فقال أصحاب الرسول ﷺ مَهْ مَهْ قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزرمُوه ، دعوه ، فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشَنَّه عليه» (١).

غريب الحديث :

تحجرت واسعاً : ضيقت ما وسعه الله . وأصل الحجر المنع ومنه الحجر على السفيه (٢).

أهريقوا عليه : وهراق الماء يهريقه بفتح الهاء ، هِراقة ، أي صبَّه(٣).

سجلاً : هو الدلو ملأى ولا يقال لها ذلك وهي فارغة ، وقيل دلو واسعة (٤).

ذنوباً : الدلو ملأى ماء ، وقيل : الدلو العظيمة ، وقيل : فيها ماء قريب من الملء ، ولا يقال له وهي فارغة ذنوب (٥).

لا تزرموه : لا تقطعوه ، والإزرام القطع (٦)، أي لاتقطعوا بوله .

مَهْ مَهْ : بمعنى كُفّ (٧).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٢٠) عن أبي هريرة ، (٢٢١) عن أنس ، كتاب الوضوء ، باب : صب الماء على البول في المسجد . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٤) ، (٢٨٥) عن أنس ، كتاب الطهارة ، باب : الأرض تطهر بالماء . وأخرجه الترمذي في سننه برقم (١٤٧) أبواب الطهاره ، واللفظ له ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (١٢٦) .

(٢) تحفة الأحوذي ٤٥٨/١ .

(٣) الصحاح ، مادة : (هرق) .

(٤)(٥) الفتح ٣٢٤/١ .

(٦) النووي شرح مسلم ٥٢٥/٣ .

(٧) المفهم ٥٤٣/١ .

المعنى الإجمالي :

دخل أعرابي من البادية المسجد والنبي ﷺ جالسٌ فصلى ، فلما فرغ قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً وذلك جهلاً منه ، فقال له النبي ﷺ : لقد تحجرت واسعاً أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك (١). ثم قام الأعرابي فبال في ناحية من المسجد ، فزجره الناس ، فنهاهم النبي ﷺ وقال : صبوا عليه سجلاً من ماء وهي الدلو المملوءة ماءً ثم قال : «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» أي بالتخفيف على الناس (٢).

الدراسة :

في هذا الحديث أخطأ الأعرابي خطأين : الأول : قَصَرَ الدعاء بالرحمة له وللنبي ﷺ ، والثاني : بوله في المسجد ، ولاشك أن هذين الخطأين ناتجان عن الجهل من قبل الأعرابي ، والشاهد هنا من هذا الحديث موقف النبي ﷺ من فعل الأعرابي وحسن تعليمه وحلمه ﷺ ، والفرق بينه وبين موقف الناس من ذلك الأعرابي المسكين الجاهل .

ففي الموقف الأول ، حين دعا الأعرابي ربه لما فرغ من الصلاة ، فقال : «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً» وفي هذا جهل عظيم وكأنه دعاء على الآخرين بأن لايرحمهم الله وهم شهود يسمعون الأعرابي وينظرون إلى النبي ﷺ . فماذا كان موقف النبي ﷺ ؟ كان موقفه ﷺ أنه ما زاد على أن التفت إلى الأعرابي وقال له : لقد تحجرت واسعاً ، وفي رواية «فضحك ﷺ وقال : لقد احتضرت واسعاً»(٣). وانتهى الأمر إلى هنا فلم يوبخ أو يُجهّل أو ينظر إليه بشزر ، إنما بيّن له خطأه ، وفي نفس الوقت علمه . كل ذلك بجملة واحدة فقط «لقد تحجرت واسعاً» ففهم الأعرابي من ذلك أنه أخطأ وتعلم في نفس الوقت أن رحمة الله واسعة

---

(١) تحفة الأحوذي ٤٥٨/١ .

(٢) انظر شرح الحديث في الفتح ٣٢٤/١ ، وتحفة الأحوذي ٤٥٧/١ .

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٥٥١) ، في كتاب الطهارة وسننها ، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٤٢٨) . .

تسع الجميع متى ما أراد الله ذلك وأنه لا يحق له ولا لغيره أن يخصص أحداً دون آخرين برحمة الله تعالى .

أما الموقف الآخر ، فإنه أبين في حُسن تعليمه وعظم حلمه ورحمته بالناس سيما الجهلة منهم ، وذلك حين ولى - بعد أن علمه ﷺ بخطئه في الدعاء - ما لبث أن بال في ناحية المسجد ، فأسرع الناس إليه ليزجروه بل زجروه ، وقالوا : مَهْ مَهْ ، وهي كلمة زجر كما قال النووي[1]. وكما جاء في ألفاظ الحديث في روايات مختلفة كلها تبين أن الناس لم يقبلوا فعل ذلك الأعرابي حين بال في المسجد وأرادوا أن يمنعوه من ذلك ، ولكن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك ، وقال : لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له إن هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن ... »

ومن خلال هذا يتبين لنا رحمة النبي ﷺ بالجاهل وحسن تعليمه له بأمور منها :

١ - أنه ﷺ نهاهم عن إزرامه وهو قطع بوله فإن ذلك مما قد يؤذيه ويُنفره لأن احتباس البول بعد جريانه وخروجه أمر مكروه وقد يكون فيه ضرر لصاحبه . وهذا من كمال رحمته ﷺ ولو كان ذلك في المسجد ، قال النووي : وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما لقوله ﷺ : دعوه ... الخ [2].

وقال القسطلاني مثل ذلك : فنهاهم النبي ﷺ عن زجره للمصلحة الراجحة ، وهي دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما ، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما[3].

٢ - أنه ﷺ دعاه حتى يعلمه الصواب والخطأ من فعله دون الحاجة إلى تعليمه من بعيد لأن في ذلك نوع من التوبيخ قد لا يقبل به ، أو أن ذلك قد يحزنه لأن في ذلك افتضاح لأمره أو تشنيع بجهله . قال ابن حجر : وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه [4].

---

(١) (٢) النووي شرح مسلم ٣/٥٢٥ .
(٣) ارشاد الساري ١/٤٤٨ .
(٤) الفتح ١/٣٢٥ .

٣ - أنه ﷺ خاطبه بهدوء ودون توبيخ أو سخرية من فعله وجهله وإنما أبلغه إن هذا المكان لا يصلح لهذه القاذورات ولم يكتف بذلك بل بين له أيضاً أنها إنما جعلت للصلاة وقراءة القرآن والذكر حتى تعظم في قلبه فيندم على فعلته ولا يعود . قال ابن حجر : وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً ، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه [١].

وقال النووي أيضاً : وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً .

وفي كل ما مضى تعليم للصحابة رضي الله عنهم أيضاً في كيفية معاملة الجهلة من الناس حتى يفقهوا دين الله ولا يُنفروا منه ، ولذلك قال ﷺ في نهاية الحديث : «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» . قال ابن حجر : إسناد البعث إليهم على طريق المجاز لأنه هو المبعوث ﷺ بما ذكر ، ولكنهم لما كانوا في مقام التبليغ عنه في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك ، إذ هم مبعوثون من قبله بذلك ، أي مأمورون ، وكان ذلك شأنه ﷺ في حق كل من بعثه إلى جهة من الجهات يقول : «يسروا ولا تعسروا»[٢].

ويمكن أن نرى نتيجة فعل النبي ﷺ وحسن تعليمه ، وعظم حلمه على هذا الأعرابي حين فقه في الإسلام بعد مدة من الزمن ، كما ورد عن أبي هريرة : «فقال الأعرابي بعد أن فقه في الإسلام فقام إلى النبي ﷺ : بأبي أنت وأمي ، فلم يؤنب ولم يسب ولم يضرب»[٣] .

فهذا الأعرابي لاشك أنه تأثر بحسن تعامل النبي ﷺ معه في تلك المواقف وبقيت تلك المعاملة في الذاكرة حتى بعد أن فقه في الإسلام قال مقولته تلك التي تدل على أن فعله ﷺ

---

(١) الفتح ٣٢٥/١ .
(٢) النووي شرح مسلم ٥٢٥/٣ .
(٣) أخرجه أحمد ٢٢٩/١ ، وقال أحمد شاكر « اسناد صحيح » رقم (١٠٥٤٠) .

كـان له أبلغ الأثر وأعظم الوقع في قلب ذلك الرجل الذي كـان يجـهل أدب الاسـلام وأحكامـه الشرعيـة ، فلم ينفر بل ازداد تمسكه وحبه لهذا الدين ، حتى حسن إسلامـه وتفقهه فيـه ، فصلاة الله وسلامه على الهادي البشير المبعوث رحمة للعالمين .

٢ - عن معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القـوم فقلت : يرحـمك الله ، فـرماني القـوم بأبصـارهم ، فـقلت : واثكل أمـيـاه ما شـأنكم تنظرون إليَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يُصمتونني لكني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فو الله مـا كـهرني ولا ضربني ولا شـتمني ، قـال : إن هذه الصـلاة لا يصلح فـيـهـا شيء من كلام الناس ، إنماهو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[1].

غريب الحديث :

واثكل أمِّياه : الثكل بضم الثاء وإسكان الكاف وبفتحها جميعاً لغتان ، وهو فقدان المرأة ولدها [2].

يصمتونني : يسكتوني [3].

مـاكـهرني : أي فـمـا انتـهرني ، والكهر : الانتـهـار ، وقيـل الكـهر : العـبوس في وجه من تلقاه [4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٥٣٧ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : تحريم الكلام في الصلاة ، و أخرجه أبو داود في سننه برقم (٩٣٠) ، (٩٣١) ، باب : تشميت العاطس في الصلاة ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ، برقم (٨٢٣) ، وأخرجه النسائي في سننه برقم (١٢١٧) ، كتاب الصلاة ، باب : الكلام في الصلاة .

(٢) النووي شرح مسلم ، ١٩٠/٤ .

(٣) عون المعبود ، ١٩٩/٣ .

(٤) المفهم ١٣٨/٢ .

المعنى الإجمالي :

كان معاوية بن الحكم رضي الله عنه يصلي يوماً مع النبي ﷺ فعطس رجل من المصلين فشمته معاوية رضي الله عنه وقال له : يرحمك الله ، وبذلك يكون قد تكلم في الصلاة وهو محرم ، فأخذ الناس ينظرون إليه كناية عن عدم الرضى ، قال الطيبي : والمعنى أشاروا إليَّ بأعينهم من غير كلام ونظروا إليَّ نظر زجر كيلا أتكلم في الصلاة [1]. فخاف رضي الله عنه من فعلهم فقال : واثكل أمِّياه ، قال الجوهري : «وهي من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ولا يراد بها الدعاء»[2]. وإنما تقال لبيان سوء الفعل . فأخذ الصحابة يضربون على أفخاذهم ففهم أنهم يسكتونه فسكت ، فلما قُضيت الصلاة علمه ﷺ دون عبوس ولا شتم ، وقال له : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن .

الدراسة :-

لما أخطأ معاوية بن الحكم رضي الله عنه بأن تكلم وشمت العاطس في الصلاة ، رماه الصحابة بأبصارهم زجراً له عن الكلام في الصلاة ، قال العظيم أبادي : «فرماني القوم بأبصارهم» ، أي أسرعوا في الإلتفات إليّ ونفوذ البصر فيَّ ، استعيرت من رمي السهم[3]. وكما قال الطيبي أيضاً كما ذكرنا سابقاً : ونظروا إليَّ نظر زجر كيلا أتكلم في الصلاة . فلما كانت أبصارهم نافذة فيه ، وقال : واثكل أمياه ، وهو دليل على أنه فزع وخاف من فعلهم له وأحس أنه أخطأ خطأ عظيماً جعله يدعو على نفسه بأن تفقده أمه ، ثم زاد إحساسه بالخطأ حين أخذ الصحابة يضربون أفخاذهم يسكتونه فسكت وزاد خوفه .

---

(١) عون المعبود ١٩٨/٣ .
(٢) النهاية ، مادة : «ثكل» .
(٣) عون المعبود ١٩٨/٣ .

وهنا يمكن أن نستشعر الحالة التي كان عليها ذلك الصحابي رضي الله عنه حين سكت وهو ينتظر إنقضاء الصلاة ، وماذا سيحل به بعد ذلك شعوراً منه أنه أخطأ خطأ كبيراً ، وأنه يتوقع من النبي ﷺ - وهو الموجه - شيئاً ليس بالهين ، فبماذا قابل النبي ﷺ كل هذا ؟ مازاد النبي ﷺ على أن دعاه[1] لما انصرفوا من الصلاة ، وقال له بكل رفق : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» . فوقعت هذه الكلمات الهينات والتوجيهات اللطيفات على قلبه أحسن الوقع وسُرِيَّ عن الرجل وزال توجسه وخوفه وهو ما ظهر عليه حين روى الحديث حيث قال : «فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني... » .

فما أحسنه ﷺ من معلم وأعظمه من مرب وأرفقه من موجه ، قال النووي : «فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل ، ورأفته بأمته ، وشفقته عليهم ، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه » [2].

وهنا لابد من وقفة مع هذا الحديث والذي قبله ، وهي أنه من تصدى لوظيفة التعليم والتربية والدعوة لابد أن يتصف بمثل هذه الصفات العظيمة التي لا غني له عنها في مسيرته تلك لأن الغاية من التعليم والتبليغ وتربية الناس هو قبولهم لما يأتي به هؤلاء الذي نقلوه عن النبي ﷺ من علم وأحكام وآداب ، ولا يكون ذلك إلا بأحسن الأساليب وأصوبها ، مطبوعة بالرفق ، مصحوبة بالرحمة والشفقة على الناس ، يحثها الحرص والرغبة في هداية الناس ، واتباعهم الحق ، وسلوكهم الصراط المستقيم ، كما فعل النبي ﷺ في مثل هذه المواقف وغيرها.

---

(١) كما في رواية النسائي وأبي داود .
(٢) النووي شرح مسلم ٤/ ١٩٠ .

٣ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال : ارجع فصلِّ فإنك لم تُصلِّ (ثلاثاً) فقال : والذي بعثك بالحقِّ فما أحسنُ غيرهُ فعلِّمْني . قال : إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئنَّ راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها »[١]. وفي رواية مسلم زاد فيها فقال : « إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبِّر » .

المعنى الإجمالي :

دخل رجل مسجد رسول الله ﷺ فصلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ ، فقال للرجل : ارجع فصلِّ فإنك لم تصل ، بمعنى أنك لم تحسن الصلاة ، وفعل ذلك ثلاثاً ، فقال الرجل بعد ذلك : والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلمني ، أي لا أحسن الصلاة إلا بهذه الطريقة فعلمني الصلاة الصحيحة ، فعلمه النبي ﷺ كيف يصلي ويطمئن في صلاته كلها ، حسب ما هو مذكور في الحديث [٢].

الدراسة :

لما تخفف الرجل في صلاته وأسرع فيها فلم يحسنها ، أراد النبي ﷺ تنبيهه إلى ذلك فجاء الرجل وسلم عليه فرد عليه السلام ، وقال له ارجع فصل فإنك لم تصل ، ولم يوبخه ويعبس في وجهه ، ثم فعل الثانية مثل ذلك ، وكذلك الثالثة ، وهو ادعى إلى أن ينفذ صبر النبي ﷺ ولكن لم يفعل ، فلما أيقن الرجل واقتنع أنه لا يحسن الصلاة الصحيحة التي يريدها النبي ﷺ ، علم أنه يحتاج إلى تعليم وتوجيه ، فطلب من النبي ﷺ أن يعلمه ، وهو ما أراده

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٩٣) ، كتاب : الأذان ، باب : أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالاعادة ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٣٩٧) ، كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة ، وأخرجه الترمذي في سننه (٣٠٣) ، باب : ما جاء في وصف الصلاة ، وصححه الألبانيفي صحيح الترمذي برقم (٢٤٨) .

(٢) انظر شرح الحديث في الفتح ٢/٢٧٩ ، والنووي شرح مسلم ٤/٨٣ ، وتحفة الأحوذي ٢/٢٠٧ .

النبي ﷺ أن يأتي الرجل وكله رغبة في تعلم الصلاة الصحيحة وأنه يحتاج إلى ذلك بعد أن حاول أكثر من مرة ، ولكن لم يفلح في ذلك ، والنبي ﷺ لم ينهره ولم يعنفه ، ولم يقل له لماذا لم تطلب ذلك من أول مرة حتى فعلت ذلك ثلاثاً ؟ إنما لما قال الرجل والله لا أحسن غير هذا فعلمني ، بادره النبي ﷺ بالتعليم والتوجيه وذلك بكل رفق ولين ، وفي رواية الترمذي قال : «أجل» أي نعم أعلمك ، وهذا أيضاً يشعر المتعلم باستعداد المعلم إلى التعليم دون ضيق أو غضب . وهكذا كان يفعل ﷺ مع كل من جهل أمراً وأراد تعلمه ، فإنه يرفق به ويصحح غلطه دون تعنيف أو تجهيل منه ﷺ.

قال النووي : وفيه الرفق بالمتعلم والجاهل وملاطفته وإيضاح المسألة وتلخيص المقاصد والاقتصار في حقه على المهم دون المكملات التي لا يحتمل حاله حفظها والقيام بها »[1]، وقال ابن حجر مثل ذلك [2]. وهذا من كمال تعليمه ﷺ للجاهل حيث اقتصر على المهم ، ولخص له المراد حتى يسهل عليه الحفظ والفهم بما لا يخل بأصل العمل ، ومن كماله في التعليم خاصة تعليمه لمن ظهرت حاجته لجهله ما لم يسأله عنه ، ولكنه مهم لما سأل عنه ، ويظهر هذا في رواية مسلم كما قال النووي : «وفيه أن المفتي إذا سُئل عن شيء وكان هناك شيء آخر يحتاج إليه السائل ولم يسأله يُستحب له أن يذكره له ويكون هذا من النصيحة لا من الكلام فيما لا يعني ، وموضع الدلالة أنه قال : علمني يارسول الله ، أي علمني الصلاة فعلمه الصلاة ، واستقبال القبلة ، والوضوء ، وليسا من الصلاة ولكنهما شرطان لها »[3]. وهنا على المعلم والمبلغ التنبه لمثل ذلك ، وأن يجتهد ما أمكنه ذلك في تعليم الجاهل بالأسلوب الأمثل كما كان ﷺ يفعل .

(١) النووي شرح مسلم ، ٤/٨٣ .
(٢) الفتح ٢/ ٢٨٠ .
(٣) النووي شرح مسلم ٤/٨٣ .

مراعاة قصر فهم العوام والجهلة من الناس :-

١ - عن الأسود بن يزيد قال :قال لي ابن الزبير رضي الله عنهما قال : كانت عائشة تُسرُّ إليك كثيراً ، فما حدثتك في الكعبة؟ قلت : قالت لي : قال النبي ﷺ «يا عائشة لولا أن قومك حديثٌ عهدهم - قال ابن الزبير: بكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : باب يدخل الناس ، وبابٌ يخرجون» ففعله ابن الزبير (١).

المعنى الإجمالي :

قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر أو بجاهلية ، بمعنى أن يقصر فهمهم وتنكر قلوبهم هذا الفعل وهو نقض الكعبة وهدمها ثم بناؤها من جديد على قواعد ابراهيم وأن يجعل لها بابين باب يدخل منه الناس ، وباب يخرجون منه (٢).

الدراسة :

أراد النبي ﷺ أن ينقض الكعبة ويعيد بناءها على قواعد ابراهيم عليه السلام ، بل ويجعل لها بابين يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ، لكن منعه من ذلك حداثة القوم - وهم قريش - بالجاهلية ولم يُرد أن ينفرهم وخشي أن يقصر فهمهم عن ذلك ، ويظنوا أنه أراد الإنفراد بالفخر عليهم ، قال ابن حجر : فخشي ﷺ أن يظنوا لأجل قُرب عهدهم بالإسلام أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك (٣). وكذلك خشي أن يفتنهم في دينهم وهم حديثو عهد به لما كان للكعبة من عظمة في قلوبهم ، فعدل عن ذلك خشية وقوع مفسدة أعظم من المصلحة المرجوة ، قال النووي : إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٢٦) ، كتاب العلم ، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه ، ومسلم (١٣٣٣) في كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبناؤها .

(٢) انظر شرح الحديث في فتح الباري ١/٢٢٤ ، ٣/٤٤٣ .

(٣) الفتح ١/٢٢٥ .

كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً ، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة ، فيرون تغييرها عظيماً ، فتركها ﷺ (١).

فالنبي ﷺ تحسب لأثر وقوع الفعل على الناس ، وما قد يكون سبباً في فساد دينهم لجهلهم وضعف إيمانهم وقرب إسلامهم ، فالتعامل مع مثل هذه الفئة من الناس يجب أن يحتاط له ويُعمل الفكر فيه حتى لا تقع المفسدة الأعظم ، قال النووي : فِكر ولي الأمر في مصالح رعيته ، واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك (٢). وقال ابن حجر : « وإن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً مالم يكن محرماً » (٣)، وقال في موضع آخر :« وفيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا ، وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه أمر واجب » (٤).

ومما مضى يتبين أنه لابد لمن يُعلم الناس أو يبلغهم أو كان ممن يوجه الناس أن يُعمل الفكر دائماً فيما يريد أن يطرحه أو يبينه للناس وأن يعلم حال الذين أمامه أو الذين يعاملهم ومن أي صنف هم وهل ما يبين لهم أو يأمرهم به يصلح لهم ما لم يكن واجباً فعله ؟ فقد يقع في مفسدة أعظم من تلك المصلحة التي أرادها لعدم تقديره تصرفهم من أراد مخاطبتهم وتعليمه وقد علمهم وإيمانهم وخلفية ماضيهم ، وهذا ما كان ﷺ يُعمل الفكر فيه في هذا الحديث وبناء على هذا الإعمال للفكر عدل عن فعله ومراده ﷺ ، فلنا فيه ﷺ أسوة حسنة .

---

(١)(٢) النووي شرح مسلم ٩/٤٥٤ .
(٣) الفتح ١/٢٢٥ .
(٤) المصدر السابق ٣/٤٤٨ .

الطريقة العملية لتعليم الجاهل أثبت في العلم :-

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، كيف الطهور ؟ فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً ، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر أذنيه وبالسباحتين باطن أذنيه ، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً ، ثم قال : «هكذا الوضوء ، فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم» أو «ظلم وأساء»(١).

غريب الحديث :

السباحتين : السَّباحة والمسبِّحة : الإصبع التي تلي الإبهام ، سميت بذلك لأنها يشار بها عند التسبيح (٢).

المعنى الإجمالي :

جاء رجل إلى النبي ﷺ يجهل الوضوء والطهور فسأل النبي ﷺ ، كيف الطهور ؟ فدعا النبي ﷺ بماء وعلمه كيف يتوضأ عملياً ، فلما علمه ذلك حسب ما ورد في الحديث ، قال ﷺ: «هكذا الوضوء» أي تثليث الغسل هو أسبغ الوضوء وأكمله ، فمن زاد على الثلاث ، أو نقص في غسل الأعضاء كاملة أو ترك لمعة فقد أساء وظلم ، أي على نفسه بترك متابعة النبي ﷺ أو بمخالفته» (٣).

الدراسة :

لما سأل الرجل النبي ﷺ عن الطهور ، اهتم به أشد الاهتمام لما تبين جهل الرجل بهذا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٣٥) ، كتاب : الطهارة ، باب : الوضوء ثلاثاً ، و ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٢) ، كتاب : الطهارة ، وصححه الإلباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٣٩) .
(٢) النهاية ، مادة :«سبح» .
(٣) انظر شرح الحديث ، عون المعبود ١/٢٢٨-٢٣٠ .

الأمر المهم ، ومظهر هذا الاهتمام أنه ﷺ لم يكتف بالبيان الشفوي لكيفية الطهور والسنة في ذلك ، بل أجاب السائل إجابة عملية هي أسهل وأرسخ في ذهن السائل من لو أنه اكتفى بالحديث الشفوي فقط ، فالنبي ﷺ راعى حال الرجل وجهله وأراد أن يتمثل له الجواب بطريقة عملية حتى يتبين الأمر كاملاً ، ولو أن النبي ﷺ اكتفى بالحديث الشفوي لكيفية الوضوء فقد يُشكل بعضه على الرجل ، فعدل إلى الطريقة العملية التي تناسب السائل وتصلح له .

ومن هنا نأخذ أن النبي ﷺ قد يراعي حال الجاهل فيعلمه ويبلغه الدين بما يناسبه ، ويوافق فهمه واستيعابه لذلك بأقصر طريق ، وأسهل عبارة ، فالنبي ﷺ جمع للسائل بين الطريقة العملية مع الشرح الموجز السهل حتى كمل الجواب .

وعلى هذا فعلى المعلم والمربي أن يراعي حال الجاهل في كل أحواله ويعلمه بالطريقة التي تناسبه بحيث تكون أقرب إلى فهمه وأسرع إلى ذهنه بحيث ترسخ عنده ولا ينساها .

الصبر على أذى الجاهل والجافي :-

١ - عن جبير بن مُطعم أنه قال : بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلاً من حنين علِقَتْ رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرةٍ فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ فقال : أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العِضَاهِ نَعَمَاً لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً »[١].

غريب الحديث :

سَمُرة : شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب [٢].

العِضَاهِ : شجر الشوك كالطلح والعوسج والسدر [٣].

المعنى الإجمالي :

رجع النبي ﷺ من حنين فتجمع عليه الأعراب يطلبونه العطاء من غنائم غزوة حنين حتى عدلوا بناقته عن الطريق واضطروه إلى شجرة سَمُرة ، فعلق رداءه بها ، فوقف ﷺ يطلب رداءه ثم قال : لو كان عدد هذه العضاة - وهو الشجر المنتشر في الصحراء - نعماً لقسمته بينكم تطميناً لهم ، ثم قال : ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً ، بمعنى أنه صادق معهم وجاد في العطاء حال توافره[٤].

الدراسة :

تجمع على النبي ﷺ جفاة الأعراب يطلبونه العطاء من غنائم حنين ، حتى أنهم أخرجوا ناقته عن الطريق ، بل اضطروه إلى سمرة ذات أغصان فخطفت رداءه وآذته ، ومع هذا كله صبر

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٤٨) كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه.

(٢)(٣) الفتح ٢٥٤/٦ .

(٤) انظر شرح الحديث في فتح الباري ٢٥٤/٦ .

النبي ﷺ وحَلُمَ عليهم ، وقال أعطوني ردائي ، ولم يكتف بذلك بل أخذ يطمئنهم أنه سيعطيهم ويطيب خواطرهم بإكرامه لهم عند القسمة ، وتوفر العطاء فقال : «فلو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً» ، وهو بهذا كأنه يقول علام الخوف وهو الذي يحمل هذه الصفات من عدم البخل وعدم الكذب إذ وعدهم بالعطاء سيوفي وعده ولا جباناً ، قال ابن حجر : «وفيه ما كان في النبي ﷺ من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاة الأعراب . وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك»[1]. ويتبين من هذا أن النبي ﷺ يراعي حال هؤلاد الأعراب لأنهم يغلب عليهم الجهل وجفوة الطباع ، فلم يغضب لفعلهم ، بل إنه استبق ظنهم به بأن بين لهم أنه سيعطيهم ، وأنه صاحب خلق كريم وسلوك حميد حتى لا يظنوا خلاف هذا . وهذا كله نابع من معرفته ﷺ بطباعهم وطريقة تفكيرهم ، فعاملهم بما يصلح لهم .

(١) الفتح ٦/٢٥٤ .

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة ، قال أنس فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد ، مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء» [1].

غريب الحديث :

الحاشية : طرف الثوب مما يلي وطرته أي ناصيته [2].

صفحة : صَفْحُ كل شيء وجهه وناحيته [3].

العاتق : ما بين المنكب والعنق [4].

المعنى الإجمالي :

كان على النبي ﷺ بُردٌ نجراني وهو الرداء يوضع على المنكبين ، وكان في الرداء حاشية غليظة ، فجاء أعرابي يطلب عطاء من النبي ﷺ فأدركه وهو داخل إلى حجرته ، فجبذه ، أي شده من ردائه خشية فواته عليه ، فجاءت الحاشية الغليظة على عاتق النبي ﷺ فأثرت فيه من شدة جبذته . فقال للنبي ﷺ : يا محمد ، مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه ﷺ فضحك، وأمر له بعطاء [5].

الدراسة :-

حين جذب الأعرابي رداء النبي ﷺ بشدة وأثرت الحاشية الغليظة في صفحة عاتقه ﷺ ، لم ينهر الأعرابي وخاصة أنه لم يتعذر للنبي ﷺ على هذا الفعل ، بل إنه حين ناداه ناداه باسمه

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٨٨) ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك .
(٢) الفتح ٥٠٦/١٠ ، وانظر لسان العرب مادة : « طرر» .
(٣) النهاية ، مادة : «صفح» .
(٤) المعجم الوسيط مادة : «عتق» .
(٥) انظر شرح الحديث في فتح الباري ، ٥٠٦/١٠ .

المجرد «يا محمد» دون أن يقول يارسول الله أو يانبي الله كما هو الواجب ، وفوق هذا كله يطلب من النبي ﷺ عطاءً ، مع أن الذي يطلب عادة يُقدم طلبه بطريقة لطيفة تكون أدعى لقبول طلبه ، ثم أنه زاد وقال أعطني من مال الله الذي عندك ، وكأنه يشعر النبي ﷺ بأنه لا فضل له فهو ليس ماله . فماذا كان موقف النبي ﷺ بعد هذا كله ؟ إلتفت النبي ﷺ إلى الرجل ولم يعبس في وجهه ولم يعنفه ولم يؤدبه ولم يطلب تصحيح خطئه في حقه ﷺ ، بل تبسم وضحك في وجه الأعرابي الجافي ، ثم أمر له بعطاء ، ولم تمنعه خشونة طبع الأعرابي من الإحسان إليه والصبر على أذاه وحلمه على سوء أدب طلبه العطاء منه ﷺ . فهل يوجد مثل هذه المرتبة العالية من الأخلاق ؟ وقد كان - خلقه القرآن . فيجب علي المعلم والمربي ومن خلف رسول الله ﷺ في التبليغ لهذا الدين أن يتحلى بذلك الخلق على قدر استطاعته ، بأن يجعل فعل النبي ﷺ أمام عينيه يتأسى بتعامله مع هذا الصنف من الناس الذي لا يغيب في زمان ولا مكان .

الخلاصة :-

يتبين من خلال ما مضى التعامل الخاص الذي كان يوليه النبي ﷺ تجاه العوام والجهلة من الناس ، وأنه كان يراعي أحوالهم وأفهامهم وجفوتهم نتيجة قلة علمهم وحداثتهم في الإسلام.

ويمكن أن نذكر ذلك في النقاط التالية :

١ - حلم النبي ﷺ على الجهلة وحسن تعليمهم .

٢ - الصبر على أذى الجاهل والعوام من الناس تأليفاً لقلوبهم على الاسلام .

٣ - اختيار أنسب وأصلح وأيسر الطرق لإيصال العلم والدين إلى العوام والجهلة من الناس.

٤ - ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه [١].

٥ - ما يصلح للعالم في التعامل قد لا يصلح للجاهل والعكس صحيح .

(١) ترجمة باب عند البخاري ، كتاب العلم رقم (٤٨) .

الفصل الثالث

تعامل النبي ﷺ مع النساء

الفصل الثالث

تعامل النبي ﷺ مع النساء

كما لا يخفى ما للمرأة من مكانة عظيمة في الإسلام ، وقد رفع من شأنها ، أو قل إن شئت أنصفها وبوأها مقعدها الذي تستحق ، بعد أن سُلبت ذلك في الجاهلية ، فأنعم الله عليها وأعزها ، وألبسها لباس العفة والكرامة .

والإسلام كلفها بما كلف به الرجل من التكاليف العامة ، إلا أنه كلفها بأمور تصلح لها ولا تستقيم الحياة إلا إذا شغلتها المرأة كما أمرها الله بذلك ، ورتب أجرها على مثل تلك التكاليف ، ومن ذلك حسن عشرتها لزوجها ومسؤوليتها عن تربية أبنائها ورعايتها لبيتها في غياب زوجها وحتى في حضوره ، كما قال ﷺ : «كلكم راعٍ فمسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده وهي مسئولةٌ عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[1]. والمرأة شقيقة الرجل كما قال ﷺ : «النساء شقائق الرجال»[2]، فيجرى عليها ما يجرى على الرجل ما لم يُنص على عدم ذلك سواء باستثنائها منه أو تخصيصها به .

كان للنبي ﷺ تعامله الخاص مع النساء ، يظهر ذلك في جوانب كثيرة جداً ، سواء كنّ من عامة نساء المسلمين أو زوجاته وبناته ﷺ ، وهذا الفصل إنما يُظهر بعض تلك الجوانب من تعامله ﷺ معهن . من ذلك حرصه على تعليمهن ، وإيصال الخير لهن ، وقضاء حوائجهن ، والصبر والحلم عليهن ، ورحمته وتواضعه معهن ، والإنكار عليهن عند الحاجة لما فيه خير لهن، وغير ذلك كما سيتبين لنا من خلال ما سيأتي من أفعاله وأقواله بإذن الله ، وهذا إنما يدل على أن النبي ﷺ يحرص أشد الحرص على النساء والاهتمام بهن بالطريقة التي تصلح لهن .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٣٨) كتاب الأحكام ، باب : قول الله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»، وبرقم (٢٥٥٤) كتاب العتق ، باب : كراهية التطاول على الرقيق .

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١١٣) كتاب الطهارة ، باب : ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٩٨) .

جعل مجلس خاص بالنساء لتعليمهن

عن أبي سعي الخدري رضي الله عنه :« جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تُعلمنا مما علمك الله . فقال : اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا ، فاجتمعن ؛ فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهنّ مما علمه الله . ثم قال : «ما منكنّ امرأة تقدِّمُ بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجاباً من النار . فقالت امرأةٌ منهن : يارسول الله ، اثنين ؟ قال : فأعادَتها مرتين ، ثم قال : واثنين واثنين واثنين»[(١)].

المعنى الإجمالي :

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تشتكي ذهاب الرجال بالعلم حيث إنهم أكثر اختلاطاً به ، وطلبت منه أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه العلم ، قال ابن حجر : (فاجعل لنا) أي عين لنا ؛ وعبر عنه بالجعل لأنه لازمه ، وقال : والمراد رد ذلك إلى اختياره [(٢)].

فواعدهن ﷺ أن يجتمعن في يوم كذا في مكان كذا ، فاجتمعن ، وجاء ﷺ ، فوفى بوعده ، فلقيهن فوعظهن وعلمهن مما علمه الله ، ثم قال مما علمهن : من قدمت بين يديها أي توفى لها ثلاثة من الولد فاحتسبت وصبرت إلا كان لها ستراً من النار يوم القيامة ، ففهمت امرأةٌ الحصر في العدد ، وطمعت في الأجر والثواب ، فقالت : يارسول الله ، واثنين ! وكررت ذلك ، فقال ﷺ : «واثنين ، واثنين ، واثنين»[(٣)].

الدراسة :

جاءت المرأة إلى النبي ﷺ حرصاً منها على العلم والأجر ، وحُقَّ لها ذلك ، فمن يستطيع

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣١٠) كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأي ولا تمثيل . ورقم (١٠١) كتاب العلم ، باب : هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم . ومسلم رقم (٢٦٣٣) كتاب البر والصلة والآداب ، باب : فضل من يموت له ولد فيحتسبه .

(٢) الفتح ١/١٩٦ .

(٣) انظر شرح الحديث : فتح الباري ١/١٩٦ ، ٣/١١٩ ، ١٣/٢٩٢ .

أن يستأثر بنصيبٍ من النبي ﷺ ثم لا يفعل ؟ وكما قال القرطبي : «وفي الحديث ما يدل على فضل النساء ذلك الوقت ، وما كانوا عليه من الحرص على العلم ، والحديث عن رسول الله ﷺ، وكما قالت عائشة رضي الله عنها : نعم النساء نساءُ الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» (١).

فبماذا عامل النبي ﷺ هذه المرأة ؟ وبماذا رد عليها ؟ وهي التي جاءت تطلب العلم ، العلم الذي من عند الله ، حيث قالت : «تعلمنا مما علمك الله» .

قدّر النبي ﷺ حرص تلك المرأة واهتمامها بالعلم ورغبتها وغيرها من النساء في الأجر والثواب ، فما كان منه ﷺ إلا أن وافق على طلبها بل إنه عبر بالموافقة مباشرة عن طريق تحديد موعد ومكان يجتمعن فيه فيعلمهن مما علمه الله . فلم يعتذر النبي ﷺ من المرأة ، أو قال للنساء يمكنكن الحصول على العلم من الرجال ، أو من خلال خطبي ، أو من خلال حضوركن للصلاة في المسجد ، بل قام بتخصيص مجلس خاص بهن يعلمهن ويجيب عن أسئلتهن ويرشدهن إلى الخير.

قال القرطبي :« و(قوله ﷺ للنساء : «اجتمعن في يوم كذا ») يدلُّ على أن الإمام ينبغي له أن يُعلِّم النساءَ ما يحتجن إليه من أمر أديانهنَّ ، وأن يخصّهنّ بيوم مخصوص لذلك ، لكن في المسجد أو فيما كان في معناه حتى تؤمن الخلوة بهن ، فإن تمكن الإمام من ذلك بنفسه فعل، وإلا استنهض الإمام شيخاً يُوثقُ بعلمه ودِينه لذلك حتى يقوم بهذه الوظيفة » (٢).

وهذا في الحقيقة اعتراف عملي بحق النساء في العلم والتعليم لما ينفعهن ، وأنه من أهم المهمات للإمام والعالم تعليم النساء دينهن وما يُصلح حالهن . ولا بأس للمعلم أو الداعي أن يقتدي بالنبي ﷺ وذلك بالضوابط الشرعية والتي أشار إليها القرطبي رحمه الله فيما مضى .

---

(١)(٢) المفهم ٦/ ٦٤٠ ، ٦٤١ ، وانظر تخريج قول عائشة رضي الله عنها ، ص ١٨٥ .

ثم أن النبي ﷺ اختار في تعليمهن ماينا سبهن ، فبعد أن علمهن مما علمه الله ، ذكر في نهاية ذلك أمراً يناسب حالهن ، وهو أن النساء سريعات التأثر وقليلات التحمل عند المصائب ، فذكر أن من قدمت ثلاثة من ولدها كان أجرها سترها عن النار ودخولها الجنة ، وهذا فيه إشارة إلى أن تصبر المرأة وتحتسب عند ربها فقد أولادها وأن لا تجزع ولا تسخط ، وهي التي ينتظرها هذا الأجر العظيم إذا صبرت واحتسبت . وأردت هنا أن أشير إلى مَهَمة المعلم والمربي والداعي إذا ماتصدى لتعليم النساء أن يختار لهن ما يناسبهن ويصلح حالهن مما يتعلق بهن .

الاهتمام بإيصال الخير للنساء وتعليمهن

أ- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال ، فظنَّ أنه لم يُسمع النساء ، فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تُلقي القرط والخاتم ، وبلال يأخذ في طرف ثوبه »(١).

ب - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال : تصدقن فإن أكثركنَّ حطب جهنم . فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت : لِمَ يارسول الله ؟ قال : لأنكنّ تكثرن الشكاة وتكفرن العشير ، قال : فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن »(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٩٨)، كتاب العلم ، باب : عظة الإمام النساء وتعليمهن .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٨٥) كتاب صلاة العيدين ، باب : صلاة العيدين وما يتعلق بها من أحكام . وأخرج الشيخان الحديث في مواضع أخرى كثيرة .

غريب الحديث :

سطة : وَسَطْتُ القومَ أسِطُهُم وسطاً وسِطَةً ، أي تَوَسَّطْتُهم [١].

سفعاء الخدين : أي فيها تغير وسواد [٢].

تكفرن العشير : العشير الزوج ، وقيل هو كل مخالط [٣].

القُرْطُ : الذي يُعلَّق في شحمة الأذن [٤].

المعنى الإجمالي :

خطب النبي ﷺ يوم العيد ، فظن أنه لم يُسمع النساء فذهب إليهن ومعه بلال فوعظهن وذكرهن ، ومن ذلك قوله لهن : تصدقن فإن أكثركنّ حطب جهنم، أي النساء ، فقالت امرأة منهن ولِمَ يارسول الله ؟ فقال : لأنكن تكثرن الشكاة أي الشكوى ، وتكفرن العشير أي الزوج أو كل مخالط ، وهو بمعنى أنهن يجحدن الإحسان لضعف عقلهن وقلة معرفتهن ، وهذا ذم لمن يجحد إحسان ذي إحسان [٥].

الدراسة :-

حين خطب النبي ﷺ وظن أنه لم يسمع النساء ، حرص على أن يسمعهن لحقهن في ذلك ، فشق صفوف المصلين من الرجال [٦] ، حتى وصل إليهن فوعظهن وأخذ يعلمهن ، وقد بوب البخاري لذلك فقال : باب عظة الإمام النساء . قال ابن حجر : نبه بهذه الترجمة على أن

---

(١) الصحاح ، مادة : «وسط» .
(٢) النووي شرح مسلم ٦/٤٨٢ .
(٣) المصدر السابق ٦/٤٨٢ .
(٤) الصحاح ، مادة : «قرط» .
(٥) انظر شرح الحديث النووي شرح مسلم ٦/٤٨٢،٤٨٣ .
(٦) رواية أخرى لمسلم برقم (٨٨٤) كتاب صلاة العيدين .

ماسبق[1] من الندب إلى تعليم الأهل وليس مختصاً بأهلهن بل ذلك مندوب للإمام الأعظم ومن ينوب عنه . واستفيد الوعظ بالتصريح من قوله في الحديث «فوعظهن» واستفيد التعليم من قوله : وأمرهن بالصدقة» كأنه أعلمهن أن في الصدقة تكفيراً لخطاياهن [2].

فحرص النبي ﷺ على تعليم النساء ووعظهن كحرصه على تعليم الرجال ، فهم في ذلك سواء ، قال النووي : وفي هذه الأحاديث استحباب وعظ النساء وتذكيرهن الآخرة وأحكام الإسلام وحثهن على الصدقة ، وهذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة وخوف على الواعظ أو الموعوظ أو غيرهما [3].

وهو ﷺ علمهن ما ينفعهن ويصلح لهن حين أمرهن بالصدقة لتكون لهن حجاباً من النار ؛ لأنه علم ﷺ أن النساء أكثر أهل النار ، فعلمهن ما ينجيهن من ذلك وهي الصدقة أنها تكفر ما فيهن من كثرة الشكاة وتكفير العشير .

وبذلك يتبين مما سبق أن الحرص على تعليم النساء ، وغشيان مجالسهن وتجمعاتهن لتعليمهن ووعظهن في الدين هو من سنة المصطفى عليه السلام ، فعلى المعلم والمربي والداعي إلى الله أن يحرصوا كل الحرص على ذلك ، خاصة في هذه الأزمان التي عم فيها الجهل وكثرت الفتن . وهناك كثير من التجمعات للنساء يمكن أن يعلمن من خلالها مثل الجامعات والمدارس الخاصة بهن وغيرها . قال النووي : بل يستجب إذا لم يسمعهن أن يأتيهن بعد فراغه ويعظهن ويذكرهن إذا لم يترتب الآن وفي كل الأزمان بالشروط المذكورة ، وأي دافع يدفعنا عن هذه السنة الصحيحة . والله أعلم [4].

---

(١) يعني بذلك باب تعليم الرجل أمته وأهله ، كتاب العلم ، برقم (٣١) .
(٢) الفتح ١٩٢/١ .
(٣) النووي شرح مسلم ٤٨٠/٦ .
(٤) المصدر السابق ٤٨١/٦ .

تحفظ النبي ﷺ وحياؤه في التعامل مع النساء وإجابته عن أسئلتهن صراحة عند الحاجة

١ - عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل قال : «خذي فرصة من مسك فتطهري بها . قالت : كيف أتطهر ؟ قال : تطهري بها . قالت : كيف ؟ قال : سبحان الله ، تطهري . فاجتبذتها إليّ فقلت تتبعي بها أثر الدم .

وفي رواية : أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ : كيف أغتسل من المحيض ؟ قال «خذي فِرْصة مُمسكة فتوضئي ثلاثاً» . ثم إن النبي ﷺ استحيى فأعرض بوجهه أو قال : توضئي بها . فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ . وفي رواية مسلم «تطهري بها سبحان الله ، واسْتَتَر»[1].

غريب الحديث والمعنى الإجمالي[2].

الدراسة :

عندما سألت المرأة النبي ﷺ ، وأجابها عن كيف تغتسل ، أرادت المرأة التفصيل في جزء من الإجابة ، وهو عندما قال النبي ﷺ : «خذي فرصة من مسك فتطهري بها» قالت : كيف أتطهر ؟ فكرر عليها نفس الإجابة ، فألحت وقالت : كيف ؟ فقال ﷺ تعجباً وحياءً : «سبحان الله ، تطهري» وفي الرواية الأخرى استحيى فأعرض بوجهه ، وفي رواية «تطهري بها سبحان الله ، واستتر» . وكل هذا يدل على أن النبي ﷺ ، استحيى أن يفصِّل في مثل هذا الأمر، خاصة أن مفهوم وليس هناك حاجة تدعوه إلى بيانه مفصلاً ، أو أنه ﷺ اكتفى بالإشارة إلى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٤) كتاب الحيض ، باب : دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض ، وبرقم (٣١٥) ، كتاب الحيض ، باب : غَسلِ المحيض . وأخرجه مسلم برقم (٣٣٢) كتاب الحيض ، باب : استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك «في موضع الدم» .

(٢) سبق شرحه ، انظر ص١٨٥ ، فصل التصريح والتلميح .

الأمر ووكل الأمر إلى عائشة رضي الله عنها ، وهي امرأة مثلها يمكن أن تبين لها ما أشكل عليها . قال ابن حجر : «وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة ، وتكرير الجواب لإفهام السائل ، وإنما كرره مع كونها لم تفهمه أولاً لأن الجواب به يؤخذ من إعراضه بوجهه عند قوله «توضئي» أي في المحل الذي يستحيي من مواجهة المرأة بالتصريح به ، فاكتفى بلسان الحال عن لسان المقال ، وفهمت عائشة رضي الله عنها ذلك عنه فتولت تعليمها »(١).

وهذا من كمال خلقه ﷺ وعفته وحيائه خاصة مع النساء في مثل هذه المواقف . وهي سمة من سماته ﷺ مع النساء . قال ابن حجر : وفيه حُسن خُلقه ﷺ وعظيم حلمه وحيائه (٢).

ولذلك حين الحديث مع النساء وتعليمهن ودعوتهن لابد للمعلم والداعي أن يتنبه لهذا وأن لا يخوض في أمر يخدش الحياء دون الحاجة إليه ، ولا تدعو الضرورة إلى التفصيل فيه اقتداءً بالأسوة الحسنة نبينا ﷺ ، وإنما يعرِّض بذلك ، قال النووي وابن حجر : وفيه استحباب الكنايات فيما يتعلق بالعورات (٣).

٢ - عن أنس بن مالك قال : جاءت أم سُليم وهي جدة اسحاق - بن أبي طلحة - إلى رسول الله ﷺ فقالت له وعائشة عنده : يارسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه . فقالت عائشة : ياأم سُليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال لعائشة : بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك» .

وفي رواية «فقالت أم سليم : واسْتَحْيَيْتُ من ذلك ، وهل يكون هذا ؟ . فقال نبي الله ﷺ : نعم فمن أين يكون الشبه إن ماء الرجل غليظ أبيض ، وماء المرأة رقيق أصفر ، فمن

---

(١)(٢) فتح الباري ٤١٦/١ .

(٣) النووي شرح مسلم ١٤/٤ ، المصدر السابق .

أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه»[1].

غريب الحديث والمعنى الاجمالي [2].

الدراسة :

في هذا الموقف نجد أن النبي ﷺ أجاب عن سؤال المرأة مباشرة وبشكل صريح ، لأنه مما يحتاج إليه ، وعندما أنكرت عائشة رضي الله عنها على المرأة ، قالت : «يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك» عندما قالت ذلك أنكر عليها النبي ﷺ إنكارها هذا ، لأن مثل هذا السؤال مطلوب ولو كان الأمر يُستحي منه ، فقال لعائشة : «بل أنت فتربت يمينك» وفي هذا تشجيع لأم سليم على السؤال .

قال النووي : وأما قوله ﷺ لعائشة : بل أنت فتربت يمينك ، فمعناه أنت أحق أن يقال لك هذا ، فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها فلم تستحق الإنكار ، واستحققت أنت الإنكار لإنكارك ما لا إنكار فيه [3].

ثم إن النبي ﷺ أجاب عن السؤال مباشرة بعد ذلك وبشكل واضح حتى أنه فصّل لها كيف يشبه الولد أبويه .

فإجابة النبي ﷺ المباشرة والمفصلة مما دعت إليه الحاجة ولو كان الأمر مع امرأة ، وإن كان ﷺ يتجنب التصريح بالألفاظ ويستعمل اللفظ الجميل بدلاً عنه ، قال النووي : قوله ﷺ : «إذا كان منها ما يكون من الرجل فلتغتسل» ، معناه إذا خرج منها المني فلتغتسل كما أن الرجل إذا خرج منه المني اغتسل ، وهذا من حسن العشرة ولطف الخطاب واستعمال اللفظ الجميل موضع اللفظ الذي يُستحيا منه في العادة . والله أعلم [4].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٢) كتاب الغسل ، باب : إذا احتلمت المرأة ، وأخرجه مسلم برقم (٣١٠)(٣١١)(٣١٢)(٣١٣)(٣١٤) واللفظ له ، كتاب الحيض ، باب : وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها .

(٢) سبق شرحه ، انظر ص١٧٢ .

(٣) النووي شرح مسلم ٥٤٨/٣ .

(٤) المصدر السابق ٣/ ٥٥٠ .

تواضعه للنساء وقضاء حوائجهن

عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يارسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال : «يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك . فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها» .

وفي رواية : «إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها» [١].

غريب الحديث :

السكك : جمع سكة وهي الزقاق [٢].

المعنى الإجمالي :

أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ تسأله حاجتها فقال لها : يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك» رغبة منها أن لا يسمع أحد حاجتها ، فأخذته ﷺ فخلا بها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها ، قال النووي : أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة ، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية ، فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها ، لكن لا يسمعون كلامها ، لأن مسألتها مما لا يظهره [٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٢٣٤) ، كتاب النكاح ، باب : ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٢٦) واللفظ له ، كتاب الفضائل ، باب : قربه ﷺ من الناس ، وأخرجه أبو داود برقم (٤٨١٨) كتاب الأدب ، باب : في الجلوس في الطرقات ، وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٣٠)، كتاب الزهد ، باب : البراءة من الكبر والتواضع ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٣٦٧) واللفظ الآخر له .

(٢) عون المعبود ١٣/١٦٩ .

(٣) النووي شرح مسلم ١٥/٤٧٦ .

الدراسة :

عندما جاءت المرأة تسأل النبي ﷺ حاجتها الخاصة استجاب لها ﷺ ، بل طلب منها أن تقوده إلى ماتشاء من طرق المدينة شاءت فيقضي لها حاجتها ، فما كان منها إلا أن فعلت فأخذته إلى إحدى نواحي تلك الطرق فقضى لها حاجتها ﷺ . قال النووي في تعليقه على هذا الحديث وأحاديث أخرى معه ، قال : في هذه الأحاديث بيان بروزه ﷺ للناس ، وقربه منهم ، ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ، ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيُقتدى بها ، وهكذا ينبغي لولاة الأمور ، ومما قال أيضاً : وفيه بيان تواضعه بوقوفه مع المرأة الضعيفة [1]. بل لم يكن فعله هذا مع هذه المرأة فقط ، بل مع النساء بشكل عام ويدل عليه الرواية الأخرى «إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها » فهو ﷺ ينقاد مع الأمة إلى أي مكان شاءت حتى يقضي حاجتها دون اعتراض أو عدم ارتياح مع صبر وحلم ، وهذا من كمال خلقه ﷺ . قال ابن حجر : وفيه سعة حلمه وتواضعه ﷺ وصبره على قضاء حوائج الصغير والكبير [2]. وقال العظيم آبادي : وفي الحديث غاية تواضعه ﷺ [3].

إذن فالنبي ﷺ يهتم أيما اهتمام بالمرأة ويبذل الوسع في قضاء حاجتها ويتواضع لها حتى أنه ينقاد معها إلى المكان الذي تريد حتى يقضي حاجتها ولو كان مشغولاً بغيرها كما في إحدى الروايات .

فلابد للمعلم والداعي أن لاينشغل عن قضاء حاجات النساء أو الاهتمام بضعفهن ، بل على العكس من ذلك وأن هذا من أخلاقه ﷺ وهو القدوة في ذلك .

---

(١) النووي شرح مسلم ١٥/٤٧٦ .
(٢) فتح الباري ٩/٣٣٣ .
(٣) عون المعبود ١٣/١٦٩ .

الصبر والحلم على النساء

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلِّمنه ويستكثرْنه ، عالية أصواتُهنَّ على صوته ، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمنَ فبادَرنَ الحجابَ ، فأذِن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحكُ ؛ فقال : أضحكَ اللهُ سنَّكَ يارسول الله ، فقال النبي ﷺ : «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعنَ صوتك ابتدرْنَ الحجاب . قال عمر : فأنت أحق أن يَهَبن يارسول الله . ثم قال عمر : يا عدوات أنفسهنَّ ، أتَهَبْنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ فقلن : نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ : إيها ياابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ، ما لقيكَ الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سَلكَ فجاً غيرَ فجِّك»(١).

غريب الحديث :

أفظ : أي أصعب خلقاً وأشرس . والمراد ها هنا شدة الخلق وخشونة الجانب ، ولم يرد بهما المبالغة في الفظاظة والغِلْظة بينهما (٢).

إيها ياابن الخطاب : صدقت ، وقيل : كف واسكت (٣).

الفج : الطريق الواسع (٤).

المعنى الإجمالي :

استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الرسول ﷺ وكان عنده نسوة من قريش قد ارتفعت أصواتهن على صوت رسول الله ﷺ ، فلما أذن ﷺ لعمر وأدركن حسه رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٦٨٣) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٩٦) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر رضي الله عنه .
(٢) النهاية ، مادة «فظظ» .
(٣) انظر النهاية ، مادة (إيه) ، وفتح الباري ٤٧/٧ .
(٤) النهاية ، مادة «فجج» .

لذن بالحجاب ، فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك ، فسأله عمر عن ذلك فقال : عجبت من هؤلاء النسوة ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . فغضب عمر رضي الله عنه ، وقال لأنت أحق أن يهبنك يارسول الله . ثم ألتفت إليهن ، وقال يا عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : إيها يا ابن الخطاب أي كف عن لومهن أو تركهن وقيل صدقت ياابن الخطاب، ثم أقسم ﷺ ، فقال : والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً - طريقاً - قط إلا سلك فجّاً غير فجك»[(١)].

الدراسة :

لما استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي ﷺ وكان عنده ﷺ نسوة من قريش يسألنه ويطلبنه ، وكانت أصواتهن مرتفعة قد طغت على صوت رسول الله ﷺ والنبي يقضي حاجتهن ويجيب على أسئلتهن . ومن هذا نستفيد عدة أمور منها :

أن النبي ﷺ صابر حليم عليهن فلم يزجرهن ولم يطردهن بل أخذ في مجاوبتهن وقضاء حاجتهن ، قال النووي : معنى يستكثرنه يطلبن كثيراً من كلامه وجوابه بحوائجهن وفتاويهن[(٢)].

ومنها أنه ﷺ كان لين الجانب وخاصة مع النساء لعلمه بضعفهن وحاجتهن ، وإلا لم يجترئن عليه ﷺ يستكثرنه عالية أصواتهن إلا لعلمهن بخلقه ﷺ معهن ، ويدل على ذلك لوذهن بالحجاب لما أدركن حس عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث سكتن وانتهين عن الاستكثار من النبي ﷺ ، قال النووي : وفي الحديث فضل لين الجانب والحلم والرفق ما لم يفوت مقصوداً شرعياً [(٣)].

---

(١) انظر شرح الحديث في فتح الباري ٤٧/٧ ، النووي شرح مسلم ٥٤٢/١٥ .
(٢)(٣) النووي شرح مسلم ٥٤٢/١٥ .

ومنها ضِحْكُ النبي ﷺ من فعلهن لما أحسسن بعمر ، وأن هذا لم يضايقه ولم يقل أنهن خفن من عمر ولم يهبنه ﷺ ، وذلك لرضاه بهذا الخلق وهو لين الجانب إلى هذا المستوى الرفيع مع النساء . فيعلم بذلك أن النساء يحتجن إلى لين جانب ورفق في المعاملة والصبر على طلبهن واستكثارهن .

لذلك على المعلم والمبلغ إذا ما أراد أن يعلما أو يبلغا النساء شيئاً من دين الله أن يضعا في حسبانهما ما قد يبدر منهن وأنهن قد يخرجن عن المألوف فلابد أن يُتعامل معهن على ما يصلح لهن وأن يلان الجانب لهن ما لم يفوت مقصوداً شرعياً كما قال النووي سابقاً .

الاهتمام بهن ومعرفة أحوالهن

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «لما رجع النبي ﷺ من حجته قال لأم سِنان الأنصارية : ما منعكِ من الحج ؟ قالت : أبو فلانٍ - تعني زوجها - كان له ناضحان حج على أحدهما ، والآخر يسقى أرضاً لنا . قال : فإن عُمرةً في رمضان تقضي حجة معي»(١).

غريب الحديث :

ناضح : أي بعير يستقي عليه .

المعنى الإجمالي :

لما رجع النبي ﷺ من حجته ووجد امرأة من الأنصار يقال لها أم سنان لم تحج ، وقد كان ﷺ قد أذَّن في الناس بالحج أذاناً يعمُّ الرجال والنساء . فلما أخبرته بعذرها وأنها لم تجد راحلة وقبله منها ، قال : فإن عُمرةً في رمضان تقضي حجة معي»، وذلك لمّا فاتها أجر الحج (٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٨٦٣) ، كتاب : جزاء الصيد ، باب : حج النساء ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٢٥٦) ، كتاب : الحج ، باب : فضل العمرة في رمضان .

(٢) المفهم ٣/٣٦٩ .

الدراسة :

تفقد النبي ﷺ الناس بعد رجوعه من الحج ، وكان ﷺ قد أمر الجميع بالحج ، فلما وجد المرأة الأنصارية لم تحج سألها عن عذرها ، وهذا اهتمام منه ﷺ بالرجال والنساء على حد سواء. ثم لما أخبرته بعذرها وكان مقبولاً أراد ﷺ أن يجبر كسرها ، وتحسرها من فوات الأجر والحج مع النبي ﷺ ، أخبرها بأجر العمرة في رمضان ، وأنها تعدل حجة معه ﷺ . قال القرطبي : فلما تحقق عذرها ، وعلم أنها متحسرة لما فاتها من ثواب الحج معه ، حضها على العمرة في رمضان ، وأخبرها : أنها تعدل لها حجة معه [1]. ووجه ذلك : أنها لما صحت نيتها في الحج معه جعل ثواب ذلك في العُمرة في رمضان جبراً لها ، ومجازاة بنيّتها [2].

والشاهد أن النبي ﷺ اهتم بالمرأة الأنصارية وتفقدها وسألها عن عذرها ، ثم واساها وعَلّمها ما ينفعها ويعوضها عما فاتها من خير .

فالإمام يتفقد الجميع رجالاً ونساء ، ويسأل عن أحوالهم ويدلهم على ما ينفعهم .

فالمعلم والمربي لابد أن يهتم بالجميع ولا يكون همه الرجال فقط ، بل حتى النساء لابد أن يكون لهن نصيب من اهتمامه وتفكيره وتوجيهه .

---

(١) انظر شرح الحديث في فتح الباري ٣/٦٠٤ ، المفهم ٣/٣٦٨ .
(٢) المفهم ٣/٣٦٩ .

الإنكار على النساء عند الحاجة

١ - عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ : يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق ، فقال رسول الله ﷺ : «استَأخِرْنَ ، فإنه ليس لكنّ أن تَحْقُقْنَ الطريق ، عليكن بحافّات الطريق» فكانت المرأة تلتصق بالجدار ، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به (١).

غريب الحديث :

تَحْقُقْنَ : هو أن يركبن حُقَّها ، وهو وسطها . يقال : سقط على حاقِّ القفا وحُقِّه (٢).

حافّات : جمع حافة وهي الناحية (٣).

المعنى الإجمالي :

خرج النبي ﷺ من المسجد وكذلك الرجال والنساء ، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال ﷺ : استأخرن فإنه ليس لكنّ أن تحققن الطريق ، قال العظيم آبادي : والمعنى أن ليس لهن أن يذهبن في وسط الطريق ، وأمرهن ﷺ بناحية الطريق وجوانبه (٤).

الدراسة :

أنكر النبي ﷺ على النساء حين خرج من المسجد ورأى اختلاط الرجال بالنساء ، وقال لهن منكراً عليهن وموجهاً : ليس لكنّ أن تحققن الطريق أي تتوسطنه وبين ﷺ الفعل الصحيح ، وقال : عليكنَّ بحافات الطريق . فالنبي ﷺ لما رأى ذلك الموقف لم يسكت بل أنكره مباشرة

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٥٢٧٢) كتاب الأدب ، باب في مشي النساء (مع الرجال) في الطريق ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (٩٤٢) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (٨٥٦) .

(٢) النهاية مادة : «حقق» .

(٣) عون المعبود ١٣/ ١٩٠ .

(٤) انظر شرح الحديث في عون المعبود ١٣/ ١٩٠، ١٩١ .

عليهن وعلمهن الفعل الصحيح ، ولذلك نرى شدة امتثال الصحابيات رضي الله عنهن لأمره ﷺ حين أنكر عليهن ، وقد شعرن أن النبي ﷺ قد ضايقه ذلك حتى أنهن لصقن بالجدر وتعلقت ثيابهن به من شدة ذلك . ولذلك قد يحتاج المعلم أو الداعية إلى الإنكار العلني للجماعة من النساء إذا ما كان الأمر يحتاج إلى ذلك وهو الذي فعله ﷺ هنا .

٢ - عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء - امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ - أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة ، فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا ، فوجع وجعه الذي تُوفِّي فيه ، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ ، فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ، فقال النبي ﷺ : وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟ فقلت : بأبي أنت يارسول الله ، فمن يكرمه الله ؟ فقال : أمَّا هو فقد جاءه اليقين . والله إني لأرجو له الخير ، والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يفعل بي . قالت : فو الله لا أزكِّي أحداً بعده أبداً » (١).

غريب الحديث :

فطار لنا : وقع في سهمنا (٢).

أزكي : زكَّى الرجل نفسه إذا وصفها وأثنى عليها (٣).

المعنى الإجمالي :

لما كانت الهجرة قسم النبي ﷺ المهاجرين على الأنصار في السكنى بمعنى أن الأنصار اقترعوا على سكنى المهاجرين لمّا دخلوا عليهم المدينة ، فوقع عثمان بن مظعون رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٢٤٣) ، كتاب :الجنائز ، باب :الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه . و أخرجه أحمد في مسنده (الفتح الرباني ٣١٨/٢٢ - باب : ما جاء في عثمان بن مظعون رضي الله عنه).
(٢) فتح الباري ١١٥/٣ .
(٣) النهاية ، مادة : «زكا» .

في سهم تلك المرأة الأنصارية وهي أم العلاء ، فمرض عثمان وتوفى في مرضه هذا ، فلما غُسِّل وكفن دخل عليه النبي ﷺ فزكته أم العلاء ، وقالت : لقد أكرمك الله فأنكر عليها النبي ﷺ ذلك ، فقالت : فو الله لا أزكي أحداً بعده أبداً » [١].

الدراسة :-

حين قالت أم العلاء قولتها في تزكية عثمان بن مظعون رضي الله عنه والجزم بذلك ، استوقفها النبي ﷺ وسألها ، وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟ وهذا السؤال أسلوب إنكاري ، فتعجبت المرأة ، وقالت : بأبي يارسول الله فمن يكرمه الله ؟ أي إن لم يكرم الله عثمان فمن يكرم إذن ! فبين النبي ﷺ بعد ذلك الموقف الصحيح حين قال : أمّا هو فقد جاءه اليقين . والله إني لأرجو له الخير ، والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يُفعل بي . قال الساعاتي : «أنكر ﷺ عليها الجزم بأنه من أهل الجنة لأن ذلك لا يعلم إلا من طريق الوحي والواجب في مثل ذلك حسن الظن ورجاء الخير والخوف عليه مما عسى أن يكون قد لحقه من أوزار المعاصي»[٢].

فالنبي ﷺ أنكر على المرأة وذلك بأسلوب حواري إنكاري ثم علمها الحكم الشرعي الصحيح في مثل هذا ، وهذا من اهتمامه ﷺ بتعليم المرأة وحرصه على ذلك ولو بالإنكار عليها بمثل هذا الأسلوب .

والإنكار على المرأة وتعليمها بهذا الأسلوب أمر مطلوب ، فعلى المعلم والمربي أن لا يهمل أو لايهتم بمثل هذا ، حيث إن من النساء يحتاج إلى التعليم والتوجيه .

---

(١) انظر شرح الحديث في فتح الباري ١١٥/٣ .
(٢) الفتح الرباني ، ٣١٩/٢٢ .

الخلاصة :-

تبين مما مضى أن للنبي ﷺ تعامل خاص مع النساء واضعاً في اعتباره أنهن شقائق الرجال ومكانتهن في المجتمع وضعفهن مقارنة بالرجل . ويمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية:

١ - أن للنبي ﷺ تميزاً في تعامله مع النساء بأسلوب خاص .

٢ - اهتمامه ﷺ بهن وسرعة الاستجابة لهن .

٣ - حرصه على تعليمهن وجعل مجلس خاص لهن لتعليمهن والإجابة عن أسئلتهن .

٤ - غشيان مجالسهن لإيصال الخير لهن .

٥ - قضاء حوائجهن والوقوف على ذلك .

٦ - رحمته ﷺ وشفقته بهن .

٧ - تواضعه ﷺ لهن والانقياد معهن لحاجتهن مع كثرة شغله ﷺ .

٨ - تفقده ﷺ لهن واصلاح شأنهن وجبر كسرهن .

٩ - الإنكار عليهن سواء جماعة أو أفراداً وبيان خطئهن وإرشادهن للصحيح من الحكم الشرعي .

١٠ - حياؤه ﷺ معهن والتلميح فيما لا حاجة للتصريح به معهن ، وعند الحاجة يكتفى بالقدر المطلوب من ذلك .

ولذلك فعلى المعلم والمبلغ والداعي والمربي عندما يكون ممن يعلم ويدعو النساء أن يضع في اعتباره ما مضى ، فإن له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة . والله أعلم .

الفصل الرابع

تعامل النبي ﷺ مع الصغار

الفصل الرابع

تعامل النبي ﷺ مع الصغار

حين نتكلم عن الصغار فإننا نعني الذين لم يبلغوا الحلم بعد ، وهؤلاء هم رجال الغد . وقد كان النبي ﷺ يخالطهم ويحتك بهم وكان ﷺ يعاملهم بما يناسبهم وهذه المعاملة قائمة على الاحترام والنظر إليهم بعين العطف والرحمة والمحبة ، وأن هؤلاء اليوم صغاراً وغداً كباراً وستبقى هذه المعاملة معهم عند صغرهم حتى يكبروا ويتذكروا فتؤتى ثمارها ، لأن هذه المعاملة جزء من التربية التي تصوغ عقولهم وأفهامهم وتزرع المبادئ في قلوبهم والمعاني في نفوسهم .

والنبي ﷺ كان له تعامل رائع جميل معهم ، وكان يهتم بهذا الجانب ، فلم يهمله باعتبار أن هؤلاء صغار ولا يحتاجون إلى الاهتمام حتى يكبروا ، بل على العكس من ذلك فقد كان يتحين الفرص والمواقف دون تكلف حتى يعلمهم حكماً وأدباً أو يربي فيهم خلقاً ، أو يزرع عندهم معنى جميلاً .

فكان ﷺ يسلم عليهم ويداعبهم ويمازحهم ، وكان يعلمهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وكان يتفقدهم ويسأل عنهم ، وكان يصبر على إساءتهم وما يبدر منهم ، وكان يربي فيهم معاني الرجولة وتحمل المسؤوليات ، وكان يحفظ لهم حقوقهم ويستأذنهم فيها ، وكان يعطف عليهم ويرحمهم ، ويتعامل معهم بمقتضى هذا كله ﷺ .

الملاطفة والمداعبة للصغار

١ - عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقال له أبو عمير - قال أحسبُهُ فطيماً - وكان إذا جاء قال : يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَير ؟ نُغَرٌ كان يلعب به ، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا ، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا » [١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٠٣) ، كتاب : الأدب ، باب : الكنية للصبي ... ، وأخرجه مسلم برقم (٢١٥٠) ، كتاب : الأدب ، باب : جواز تكنية من لم يولد له ، وتكنية الصغير .

غريب الحديث :

النُّغَيْر : هو تصغير النُّغَر، وهو طائر يشبه العصفور ، أحمر المنقار ، ويجمع على : نِغْران[1].

الفطيم : الفُطُم جمع فطيم من اللبن : أي مفطوم [2].

المعنى الإجمالي :

يثني أنس رضي الله عنه على النبي ﷺ بأنه أحسن الناس خلقاً ، ثم ساق شيئاً من ذلك حيث كان له أخ صغير يقال له أبو عمير قد فطم عن اللبن ، فكان ﷺ إذا جاء قال له : «يا أبا عمير ، ما فعل النغير» وقد كان عنده نُغَرٌ يلعب به قد مات فحزن عليه ، ثم أنه ﷺ إذا حضر الصلاة عندهم أمر بالبساط ، ثم يقوم فيقومون خلفه يصلون [3].

الدراسة :

كان لأبي عمير نُغَرَ وهو طائر صغير يلعب به فمات وحزن عليه ، فكان النبي ﷺ لفطنته واهتمامه يرى الحزن على الصغير ، فأخذ يواسيه ويداعبه بقوله : «يا أبا عُمير ، ما فعل النُّغير» وهذا يظهر من تكنيته للصغير وسؤاله عن الطير ثم سجعه في الكلام مما يؤنس الصغير، قال ابن حجر : وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح وأنها إباحة سنة لا رخصة ، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة ، وتكرير زيارة الممزوح معه . وفيه التلطف بالصديق صغيراً كان أو كبيراً والسؤال عن حاله [4].

فأين الذين يترفعون عن ممازحة الصغار ويرون ذلك تنزيلاً من شأنهم وهدراً لمهابتهم ، أين

---

(١) النهاية ، مادة : «نغر» .
(٢) المصدر السابق ، مادة : «فطم» .
(٣) انظر شرح الحديث في فتح الباري ٥٨٤/١٠ ، النووي شرح مسلم ٣٠٧/١٤ .
(٤) الفتح : ٥٨٤/١٠ .

هم من فعله ﷺ ؟ قال النووي :« وفي هذا الحديث ... جواز تكنية من لم يولد له ، وتكنية الطفل وأنه ليس كذباً ، وجواز المزاح فيما ليس إثماً ، وملاطفة الصبيان وتأنيسهم ، وبيان ما كان النبي ﷺ عليه من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع » (١). نعم إنه تواضع من النبي ﷺ وهو من هو في شأنه وانشغاله ثم هو يمزح مع الصغير ويداعبه . ومن اهتمامه به ﷺ أنه انتبه إلى الصغير وركز النظر فيه وعلم ما هو فيه من الحزن حين قلب النظر والفكر في وجهه ، فسأل أمه عن ذلك ، فأجابته بموت طيره الصغير ، فأخذ ﷺ يواسيه ويلاطفه بعد ذلك .

قال ابن حجر : وفيه الحكم على ما يظهر من الإمارات في الوجه من حزن أو غيره . وفيه جواز الاستدلال بالعين على حال صاحبها ، إذ استدل ﷺ بالحزن الظاهر على الحزن الكامن حتى حكم بأنه حزين ، فسأل أمه عن حزنه (٢).

فعلى المعلم للصبيان والمربي لهم أن يهتم بهم وبأحوالهم ويصلح من شأنهم ، بل ويلاطفهم ويمازحهم ، ولا يكون ذلك إلا بالحق دون كذب أو غيره ، قال القرطبي : وفيه مايدل على جواز المزاح مع الصغير ، ولكن إذا كان حقاً ، وفيه ما يدل على حسن خلق النبي ﷺ ولطافته ومعاشرته ، وألفاظه (٣).

٢ - عن أنس رضي الله عنه قال : كانت عند أم سليم يتيمة ، وهي أم أنس ، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة ، فقال : «آنت هيه لقد كبرت لا كبر سِنُّك» فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي ، فقالت أم سليم : مالك يا بنية ؟ قالت الجارية : دعا عليَّ نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني ، فالآن لا يكبر سني أبداً ، أو قالت : مرني ، فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ : «مالك يا أم سليم ؟ فقالت : يا نبي الله أدعوت على يتيمتي ؟ قال : وما ذاك يا أم سليم ؟ ، قالت : زعمت أنك دعوت أن

---

(١) النووي شرح مسلم ٣٠٧/١٤ .
(٢) الفتح ٥٨٤/١٠ .
(٣) المفهم ٤٧١/٥ .

لا يكبر سنها ، ولا يكبر قرنها . قال : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : «ياأم سليم أما تعلمين أني اشترطت على ربي فقلت : إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر ، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة» .

وقال أبو معن : يُتَيِّمة بالتصغير في المواضع الثلاثة من الحديث [(١)].

غريب الحديث :[(٢)]

لا كبر سنك : لم يرد به حقيقة الدعاء .

لا يكبر سني : لا يطول عمري .

تَلُوثُ خمارها : تديره على رأسها .

الدراسة :

لما رأى النبي ﷺ اليتيمة عند أم سليم ، وقد غابت عنه دهراً من الزمن فكبرت وتغيرت عليه ، فلما رآها قال : «آنت هيه لقد كبرت لاكبر سنك» وهنا الشاهد وهو مداعبة الصغير بقوله لقد كبرت لأكبر سنك» ، وهذا الدعاء غير مراد من النبي ﷺ كما يتبين في آخر الحديث ، قال النووي : فلم يرد به حقيقة الدعاء ، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية ، كقوله : «تربت يمينك» ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء [(٣)]. ولكن اليتيمة حملت الكلام على معناه غير المراد فبكت وأيقنت أن لا يكبر سنها ولا يزيد عمرها . لأن القائل هو رسول الله ﷺ ، فبين النبي ﷺ لأم سليم عكس ذلك ، قال القرطبي : وهذا - بكاء اليتيمة - يدل على أن إجابة دعوات رسول الله ﷺ كانت معلومة بالمشاهدة عند كبارهم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٠٣) ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : من لعنه النبي ﷺ .
(٢)(٣) النووي شرح مسلم ١١٨/١٦ .

وصغارهم لكثرة ما كانوا يشاهدون من ذلك ، ولعلمهم بمكانته ﷺ [1]. فالنبي ﷺ داعب تلك الصغيرة بذلك الدعاء الذي هو خير لها ، لا كما ظنت . والله أعلم .

- عن عمرو بن سعيد بن العاص - عن «أم خالد بنت خالد قالت : أُتِيَّ النبي بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : من ترون أن نكسو هذه ؟ فسكت القوم . قال ائتوني بأم خالد ، فَأُتِيَّ بها تُحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها ، وقال : أبلي وأخلقي . وكان فيها علم أخضر أو أصفر ، فقال : يا أم خالد هذا سناه ، وسناه بالحبشية»[2].

وفي رواية أحمد : « وسناه في كلام الحبش الحسن » .

غريب الحديث :

الخميصة : هي ثوب خزٍّ أو صوف مُعَلَّم . وقيل لا تُسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعلمة ، وكانت من لباس الناس قديماً ، وجمعها الخمائص [3].

سنا : سنا بالحبشية حَسَنٌ [4].

المعنى الإجمالي :

جاء للنبي ﷺ ثياب - لعلها هدية - فيها خميصة ، وهو ثوب خزّ أو صوف معلم أسود صغير ، فقال للقوم عنده : من ترون أن نكسو هذه ؟ بمعنى من يصلح له هذا الثوب الصغير ، فلم يجبه أحد من القوم ، فقال ﷺ ائتوني بأم خالد ، وكانت صغيرة ، فأتي بها تُحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال : أبلي وأخلقي ، وهو أمر بالإبلاء والإخلاق ، قال ابن حجر :

---

(١) المفهم ٥٨٦/٦ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٨٢٣) ، كتاب : اللباس ، باب : الخميصة السوداء ، و مسند الإمام أحمد (الفتح الرباني ٤٣٢/٢٢) باب ماجاء في أم خالد بنت خالد .

(٣) النهاية ، مادة : «خمص» .

(٤) المصدر السابق مادة : «سنا» .

والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك ، أي أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق [١]. ثم قال ﷺ وهو يشير إلى العلم الأخضر والأصفر يا أم خالد هذا حسن هذا حسن [٢].

الدراسة :

حين رأى النبي ﷺ تلك الخميصة الصغيرة مع تلك الثياب التي أُتِيَ بها ، فكر لمن تكون ، واستشار القوم في ذلك ، فلما لم يجبه أحد ، قال ائتوني بأم خالد ، وهي بنت خالد بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما حتى يلبسها تلك الخميصة، فالنبي ﷺ تذكر تلك الصغيرة وكناها وطلب إحضارها ، فلما ألبسها تلك الخميصة قال داعياً لها : أبلي وأخلقي ، ثم داعبها وجعل ينظر إلى العلم فيها ويخاطب أم خالد ويقول هذا حسن . فهو ﷺ كان يلاطف تلك الصغيرة ويداعبها ، ومن ذلك أنه تذكرها ، وسماها بكنيتها، وهذا فيه ما فيه من الملاطفة وناداها به ، ثم أنه ألبسها بنفسه ﷺ ، ثم دعا لها[٣]، وبعد ذلك أخذ يداعبها ويشير إلى العلم ويقول لها هذا حسن هذا حسن . وهذا من خلقه ﷺ وأريحيته مع الصغار .

فانظر إلى تعامله ﷺ مع تلك الصغيرة وأمها أم خالد بكل تلك التفاصيل السالفة الذكر وهو من هو عليه السلام في شغله وانشغاله .

---

(١) الفتح ١٠/ ٢٨٠ .
(٢) انظر شرح الحديث في فتح الباري ١٠/ ٢٨٠ ، الفتح الرباني ٢٢/ ٤٣٢ .
(٣) قال في الفتح الرباني ٢٢/ ٤٣٢ . ما يلي :
« قيل أنها عاشت دهراً طويلاً ، قال أبو عبد الله البخاري لم تعش امرأة ما عاشت هذه » .

السلام على الصبيان والتواضع لهم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ مرَّ على غلمان فسلم عليهم [١].

وعنه أيضاً : «أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي ﷺ يفعله» [٢].

الدراسة :

سلام النبي ﷺ على الصبيان فيه تواضع النبي ﷺ واعتداد منه بهم ﷺ ، ثم أن هذا الأمر يشعرهم بمكانتهم واحترام الكبار لهم ، مما يثري جانب الثقة في أنفسهم ، قال النووي : ففيه استحباب السلام على الصبيان المميزين ، والندب إلى التواضع ، وبذل السلام للناس كلهم، وبيان تواضعه ﷺ ، وكمال شفقته على العاملين [٣]. ثم أن في السلام عليهم من قبله ﷺ تأليف لقلوبهم وتحبيب الشريعة لهم فإذا كبروا وتذكروا ذلك كانت محبتهم له ولهذا الدين أعظم ، قال القرطبي : وكونه ﷺ يسلم على الصبيان ، إنما كان لبيان مشروعية ذلك ، وليفشي السلام ولينالوا بركة تسليمه عليهم ، وليعلمهم كيفية التسليم وسنته ، فيألفوه ويتمرنوا عليه[٤].

وكذلك فإن التسليم عليهم تدريب لهم على آداب الشريعة بحيث يكون استعدادهم لاستقبال ما تأتي به الشريعة وتطبيقهم له أسهل وأسرع ، قال ابن بطال : في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة ، وفيه طرح الأكابر رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب [٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٦٨) كتاب السلام ، باب : استحباب السلام على الصبيان .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان ، باب : التسليم على الصبيان .
(٣) النووي ، شرح مسلم ، ١٤/٣٢٤ .
(٤) المفهم ٥/٤٨٩ .
(٥) الفتح ١١/٣٣ .

حسن عشرته والصبر والحلم عليهم

عن أنس رضي الله عنه قال : خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أفٍّ ، ولا : لم صنعت ؟ ، ولا ألا صنعت ؟ » (١).

* وفي رواية عند مسلم :

قال أنس : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه ، وهو يضحك ، فقال : «يا أنيس أذهبت حيث أمرتك»؟ قال : قلتُ : نعم ، أنا أذهب يارسول الله ، قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ، ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا »(٢).

غريب الحديث :

أفٍّ : أصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفرٍ وما يجري مجراها ، ويقال ذلك لكل مُستَخفٍ به استقذاراً له ، .... ، ومنه قيل للضجر من استقذار شيء : أفَّف فلان (٣).

المعنى الإجمالي :

يحكي أنس رضي الله عنه حاله مع النبي ﷺ يوم أن كان غلاماً صغيراً ، حيث أرسله ﷺ لحاجة ، فامتنع من ذلك وحلف على الامتناع ، ونفسه رضي الله عنه أن يذهب ، وكان يريد رضي الله عنه لصغر سنه أن يلعب مع الصبيان فمر بهم وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ يقبض على قفاه ، فنظر أنس إلى النبي ﷺ فإذا هو يضحك ، وقال له : «يا أنيس

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٨) ، كتاب : الأدب ، باب : «حسن الخلق ...» .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٠٩) ،(٢٣١٠) ، كتاب : الفضائل ، باب : «جوده وحسن خلقه ﷺ » .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ، مادة « أف» . وقيل فيها عشر لغات : أفَّ ، أفِّ ، أفُّ ، أفَّ ، أفٍّ ، أفٌّ ، أفْ ، أفَ ، أفى ، أفه ، انظر النووي شرح مسلم ١٥/٤٦٦ .

أذهبت حيث أمرتك» ؟ فقال أنس : نعم ، أذهب الآن ، قال أنس رضي الله عنه أنه خدم النبي ﷺ عشر سنين ما زجره ، ولا عنفه على فعل فعله أو لم يفعله [١].

الدراسة :-

أمر النبي ﷺ أنساً بأمر فلم يستجب ، بل امتنع وأقسم بالله أن لا يفعل فقال : «والله لا أذهب» فهو لم يمتنع فقط بل حلف على الامتناع ، فبماذا قابله ﷺ ، تركه حتى إذا جاء إلى السوق ورآه يلعب أمسك بقفاه وهو يضحك وأخذ يلاطفه ويقول : «يا أنيس أذهبت حيث أمرتك» ؟ تصغيراً لاسمه وتلطفاً معه ، وفي هذا خلق عظيم منه ﷺ وصبر وحلم على فعل أنس معه ، وذلك مراعاة لصغر سنة وعدم نضجه ذلك الحين ، فهو لم يزجره ولم يعنفه بل صبر عليه، بل أنه ﷺ لم يعاتبه ولم يحاسبه ، قال ابن حجر : ويستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات ، لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به إذا احتيج إليه ، وفائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذم واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته ، وكل ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان ، وأما الأمور اللازمة شرعاً فلا يُتسامح فيها لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٢].

فها هو النبي ﷺ وهو من هو يرد عليه هذا الصبي ويمتنع عن أمره ، بل ويقسم على ذلك، ثم النبي ﷺ يضحك له حين رآه لم يذهب ، ولم يقل لمَ لمْ تذهب ، وإنما ذكره بذلك ، وقال : أذهبت ؟ قال القرطبي : «قول أنس : والله لا أذهب ! وفي نفسي أن أذهب» هذا القول : صدر عن أنس في حال صغره ، وعدم كمال تمييزه ، إذ لا يصدر مثله ممن كمل تمييزه . وذلك : أنه حلف بالله على الامتناع من فعل ما أمره به رسول الله ﷺ مشافهة وهو عازم على فعله ، فجمع بين مخالفة رسول الله ﷺ وبين الإخبار بامتناعه ، والحلف بالله على نفي ذلك مع العزم على أنه كان يفعله ، وفيه ما فيه ، ومع ذلك فلم يلتفت النبي ﷺ لشيء من ذلك ، ولا عرّج

---

(١) أنظر شرح الحديث في فتح الباري ٤٦٠/١٠ ، النووي شرح مسلم ٤٦٦/١٥ ، المفهم ١٠٤/٦ .
(٢) فتح الباري : ٤٦٠/١٠ .

عليه ، ولا أدَّبه . بل : داعبه ، وأخذ بقفاه ، وهو يضحك رفقاً به ، واستلطافاً له ، ثم قال : «يا أنيس ! اذهب حيث أمرتك» فقال له : أنا أذهب . وهذا كله مقتضى خلقه الكريم ، وحلمه العظيم (١).

ولذلك حين التعامل مع الصبيان وتعليمهم ، لابد من التحلي بالصبر والحلم ومعرفة أن الصبيان لم تكتمل أفهامهم ولم ينضج فكرهم ولم يكمل تمييزهم ، فقد يبدر ، ولزاماً يبدر منهم الخطأ ، فلا يعاجلهم بالتوبيخ والزجر والتعنيف ، فإن هذا قد لا يصلح لهم ولا يأتي بالمراد من التعليم والتربية ، بل الصفح وغض الطرف وعدم الالتفات إلى الهفوات منهم ؛ قال النووي : وفي الحديث : بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه (٢).

تعليم الصبيان

١ - عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حجْر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : يا غلام ، سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك . فما زالت تلك طِعمتي بعد» (٣).

غريب الحديث :

حجْر : الحَجْر بالفتح والكسر : الثوب والحِضْن (٤). والمراد هنا : أي في تربيته وتحت نظره وأنه يربيه في حضنه تربية الولد (٥).

---

(١) المفهم ٦/١٠٤ .

(٢) النووي شرح مسلم ١٥/٤٦٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٧٦) ، كتاب : الأطعمة ، باب : التسمية على الطعام ، والأكل باليمين ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٠٢٢) ، كتاب : الأشربة ، باب : آداب الطعام والشراب وأحكامهما .

(٤) النهاية ، مادة : «حجر» .

(٥) الفتح ٩/٥٢١ .

تطيش : تتحرك فتميل إلى نواحي القصعة ولا تقتصر على موضع واحد [1].

الصحفة : إناءٌ كالقصعة المبسوطة ونحوها ، وجمعها صحاف [2].

المعنى الإجمالي :

أن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما وأمه أم سلمة زوج النبي ﷺ وكان عمر في حجْر النبي ﷺ ، أي في تربيته وتحت نظره ، فكانوا إذا جلسوا إلى الطعام طاشت يد عمر في الإناء فلا تقتصر على موضع واحد ، فقال له الرسول ﷺ : «يا غلام ، سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك» فقال عمر بن أبي سلمة : فما زالت تلك طِعمتي بعد بمعنى أنه استقام على أمر النبي ﷺ في ذلك في حياته كلها » [3].

الدراسة :

لما جلس النبي ﷺ إلى الطعام وكان معه الغلام الذي هو في تربيته وتحت نظره ، وجد منه أمراً غير حميد ، وهو أن يده كانت تطيش في إناء الطعام فلا تستقر في موضع واحد ، فأنكر عليه النبي ﷺ ، ولكن من غير نهي ولا زجر ، وإنما كان ذلك بتعليمه الفعل الصحيح ، فعلمه أدب الطعام ، قال النووي : وفيه استحباب تعليم أدب الأكل والشرب [4].

ولا يمنع أن يكون التعليم للصغير حال حاجته لذلك ولا يترك عند مخالفته للسلوك الصحيح ، كما فعل النبي ﷺ ، فآداب الطعام هي للصغير والكبير ، قال القرطبي : وفيه تعليم الصبيان ما يحتاجون إليه من أمور الدين وآدابه [5]. لأنه قد يُتساهل في تعليم الصغار

---

(١) الفتح ٥٢١/٩ .
(٢) النهاية مادة : «صحف» .
(٣) انظر شرح الحديث في فتح الباري ٥٢١/٩ ، النووي شرح مسلم ١٦٧/١٣ .
(٤) النووي شرح مسلم ١٦٧/١٣ .
(٥) المفهم ٢٩٨/٥ .

لأنهم صغار وهذا من الخطأ ولذلك لم يتأخر النبي ﷺ في الإنكار على الصغير وتعليمه الصحيح من الفعل ، قال ابن حجر : وفي الحديث ... الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى حال الأكل ، وفيه استحباب تعليم أدب الأكل والشرب (١).

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف (٢).

الدراسة :

أردف النبي ﷺ ابن عباس وكان غلاماً لم يبلغ الحلم ، ومع ذلك أخذ النبي ﷺ يعلمه الدين والعقيدة، ولم يستهن ﷺ بذلك الصغير، وحمله ذلك العلم العظيم ، خاصة أن النبي ﷺ يعلم أن ذلك يصلح لابن عباس وإن كان في مثل هذا السن ، وهذا يعني أنه متى ما رأى المعلم والمبلغ لهذا الدين أن الصغير يملك من المقومات التي يتسنى معها تحمله لما يراد أن يقال فلا بأس من ذلك . بل إن هذا قد يرسخ في ذهن ذلك الصغير حين يخص بذلك العلم كما فعل النبي ﷺ مع ابن عباس ، ثم إن ابن عباس رضي الله عنهما نقله بعد ذلك ، وهذا يدل على أنه عَقِلَه في حينه وتحمله تحملاً صحيحاً كما توقع ذلك النبي ﷺ . فهناك من الصبيان من يملك أن يتعلم العلم الصحيح فلا يبخل عليه ما كان ذلك مناسباً له . وهناك أمر آخر أيضاً وهو سهولة نقل العلم من النبي ﷺ إلى ذلك الغلام ، حيث كان ابن عباس رضي الله عنهما رديفاً للنبي ﷺ فأبلغه العلم دون الحاجة إلى أن ذلك يحتاج إلى الجلوس في مكان آخر أنسب من هذا

(١) الفتح ٩/ ٥٢١ .

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦)، كتاب صفة القيامة ، باب : ٥٩ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٠٤٣).

المكان كالمسجد مثلاً ، ويحتاج أيضاً إلى التركيز أكثر من قبل الغلام ، لكنه لم يحتج إلى ذلك ﷺ بل علمه على ظهر الدابة دون أي تأثيرات أخرى .

أمر الصبيان بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتأديبهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ : كِخْ ، كِخْ ، ليطرحها . ثم قال : أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة» ؟

وفي رواية عند مسلم : «كخ كخ إرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة»

«............... أنا لا تحل لنا الصدقة»[(١)].

غريب الحديث :

كخ : بفتح الكاف وكسرها وسكون المعجمة ، وهي كلمة ، تقال لردع الصبي عند تناوله مايستقذر [(٢)].

المعنى الإجمالي :

أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فشعر به النبي ﷺ ، وقد نُهي ﷺ وآل بيته عن أكل الصدقة ، فزجره بقوله : «كِخْ ، كِخْ» وذلك حتى يخرجها من فيه . ثم قال ﷺ : أما شعرت أي علمت أنا لا نأكل الصدقة ؟ وأن الصدقة لا تحل لنا[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٩١) ، كتاب : الزكاة ، باب : ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ ، و مسلم برقم (١٠٦٩) ، كتاب : الزكاة ، باب : تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ .
(٢) الفتح ٣/٣٥٥ .
(٣) انظر شرح الحديث في الفتح ٣/٣٥٥ ، النووي شرح مسلم ١٤/٣٠٧ .

الدراسة :

أنكر النبي ﷺ على الحسن بن علي رضي الله عنهما حين أكل من تمر الصدقة وهو طفل صغير لا يعي ، ولم يقل ﷺ أنه صغير غير مكلف فلا يجري عليه ما يجري على الكبير ، وإنما أجراه مجرى الكبير تأديباً له وتعليماً ، وما كان في حق الكبير محرماً يكون كذلك للصغير . قال ابن حجر : وفي الحديث : «جواز إدخال الأطفال المساجد وتأديبهم بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا »(١). فالنبي ﷺ علم الحسن ونهاه وهو صغير حتى يتدرب على مثل هذا ، ومثل ذلك قال القرطبي أيضاً : وفي هذا الحديث ما يدل على أن الصغار يُمنعون مما يحرم على الكبار المكلفين حتى يتدربوا على آداب الشريعة ، ويتأدبوا بها ويعتادوها ، وعلى هذا فلا يلبس الذكور الصغار الحرير ، ولا يحلون بالذهب . ويخاطب الأولياء بأن يجنبوهم ذلك كما يخاطبون بأن يجنبوهم شرب الخمر ، وأكل ما لا يحل (٢).

وعلى هذا فالواجب على المعلم للصبيان والمربي لهم أن يحتسب في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر إذا استوجب فعلهم شيئاً من ذلك ، ولا يظن بأنه لا إنكار على مثلهم أو يقول أنهم غير مكلفين فلا حاجة إلى نهيهم عن تعاطي ما يحرم على الكبار وغير ذلك من الأعذار ، قال النووي : وفي الحديث أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار ، وتمنع من تعاطيه ، وهذا واجب على الولي (٣).

---

(١) الفتح ٣/٣٥٥ .
(٢) المفهم ٣/١٢٣ .
(٣) النووي شرح مسلم ٧/١٤٣ .

حفظ حق الغلام واستئذانه في ذلك

عن سهل بن سعد رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشراب فشرب منه - وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ - فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ فقال الغلام : والله يارسول الله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً . قال فتلّه رسول الله ﷺ في يده»(١).

غريب الحديث :

أوثر : (آثره) إيثاراً : اختاره وفضله . ويقال : آثره على نفسه . وآثره الشيء بالشيء : خصه به . و(الإيثار) : تفضيل المرء غيره على نفسه (٢).

فتلّه : أي وضعه(٣). وقيل وضعه بعنف (٤).

المعنى الإجمالي :

أُتِيَ للنبي ﷺ بشراب وعنده القوم فشرب منه ، وكان عن يمينه غلام - وهو ابن عباس رضي الله عنهما - وعن يساره أشياخ وهم كبار السن ، فأراد النبي ﷺ أن يعطي الأشياخ تطييباً لخاطرهم فاستأذن من صاحب الحق وهو الذي على يمينه ، فقال الغلام والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً ، أي لا أخص ولا أفضل أحداً بنصيبي منك يارسول الله . فوضع النبي ﷺ الإناء في يد الغلام (٥).

الدراسة :

حين شرب النبي ﷺ وأراد أن يعطى الإناء من على يساره من الأشياخ ، فاستأذن الذي

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٢٠) كتاب الأشربة ، باب : هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر ؟ ، ومسلم برقم (٢٠٣٠) كتاب الأشربة ، باب : استحباب إدارة الماء واللبن على يمين المبتدي .

(٢) المعجم الوسيط مادة : «أثره» .

(٣) النووي شرح مسلم ١٧٤/١٣ .

(٤) الفتح ٨٧/١٠ .

(٥) انظر شرح الحديث في المصدر السابق ٨٧/١٠ .

على يمينه ، لأنه الأحق بذلك ، وكان غلاماً - وهو ابن عباس رضي الله عنهما - فالسنة أن يعطى الذي على اليمين ، والنبي ﷺ لم يسقط حق الغلام لأنه غلام بل استأذنه ﷺ في هذا الحق تطييباً لنفسه . وهذا من كمال خلقه ﷺ وتواضعه وحرصه على إعطاء كل ذي حق حقه ولو كان صغيراً في أمر يسير مثل شربة اللبن هذه والحق هنا للغلام ، قال النووي : وفيه أن الأيمن في الشراب ونحوه يقدم ، وإن كان صغيراً أو مفضولاً [1].

وأعظم من ذلك أيضاً في احترام حق الصغير أنه حين رفض الغلام أن يؤثر أحداً بنصيبه من النبي ﷺ ، أعطاه النبي ﷺ الإناء ووضعه في يده ولم يعاوده في ذلك ، فالحق أحق أن يتبع، قال النووي : وتضمن ذلك أيضاً بيان هذه السنة ، وهي أن الأيمن أحق ، ولا يدفع إلى غيره إلا بإذنه ، وأنه لا بأس باستئذانه ، وأنه لا يلزمه الإذن ، وينبغي له أيضاً أن لا يأذن إن كان فيه تفويت فضيلة أخروية ومصلحة دينية كهذه الصورة [2]. وقال القرطبي : «وقول الغلام : والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً» قول أبرزه ماكان عنده من تعظيم رسول الله ﷺ ومحبته ، واغتنام بركته مع صغر سنه [3]. إذن فالنبي ﷺ حفظ حق الغلام ولم يستهن به ، بل بين حقه في ذلك باستئذانه أمام القوم ، فلما لم يأذن أعطاه إياه . ولذلك لا يحق لكائن من كان أن يهضم حق صغير ولو كان كشربة لبن ، ووجب احترامه في ذلك ، فإذا كان ولابد فليُستأذن في ذلك ، فإن أذن كان بها وإلا أمضاه إليه . ومنه نعلم أن للصغير في الإسلام مكانته وحقوقه التي يجب على المعلم والمربي حين التعامل مع الصغار والصبيان أن يعلم ذلك ويعاملهم بموجبه ، فلا يسقط حقاً من حقوقهم لاعتبار صغرهم ، فإن ذلك خلاف سنة نبينا ﷺ .

---

(١)(٢) النووي شرح مسلم ١٣/١٧٤ .
(٣) المفهم ٥/٢٩١ .

تحميله الأمانات وقضاء الحاجات

عن ثابت البُنَاني عن أنس رضي الله عنه قال : أتى عليّ رسول الله ﷺ ، وأنا ألعب مع الغلمان . قال : فسلم علينا ، فبعثني إلى حاجة ، فأبطأت على أمي ، فلما جئت ، قالت : ما حبسك ؟ قلت : بعثني رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سرٌ. قالت : لاتحدثن بسر رسول الله ﷺ أحد . قال أنس : والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت (١).

الدراسة :

بعث النبي ﷺ أنساً في حاجة له وهو غلام صغير واستأمنه عليها ، حتى حين سألته أمه عنها أخبر بأنها سر رسول الله ﷺ وأنه لا يخبر به أحداً ، وهذا يدل على أن النبي ﷺ أخبره بأن هذا سر ، ورواية أحمد تدل على ذلك ، قال فيها : «فأرسلني في حاجة فلما رجعت قال لا تخبر أحداً ..»(٢). ومن هنا فإن النبي ﷺ حمل أنساً سراً خاصاً به دون غيره ، وهو غلام صغير ، وذلك أن النبي ﷺ رأى أن أنساً يمكن أن يؤدي هذه الحاجة دون أن يخبر بها أحداً . وفي هذا ما فيه من شعور الغلام حين خصه النبي ﷺ بذلك ، وإن كان خادماً عنده ، مما يعزز الثقة في نفسه ويشعره بأنه يعمل عمل الكبار وأن يتحمل مثل ما يتحملون ، فيبني فيه معاني الرجولة والأخلاق الفاضلة وحفظ حقوق الناس . ولذلك فإنه لا يستهان بكل صغير وأن لا يوثق بأحد منهم ، بل إن هناك من يصلح منهم لعمل ما يمكن إسناده إليه ويؤديه على الوجه المطلوب كما فعل أنس رضي الله عنه مع النبي ﷺ حتى أنه امتنع من البوح به إلى أمه رضي الله عنهم أجمعين . كذلك يمكن أن يُمرَّن الصغير على تحمل الأمانات وإن كانت غير ذي بال حتى يتعلم تحمل المسؤوليات ويكبر ذلك في قلبه مما يورثه معاني الرجولة والأخلاق الفاضلة .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٨٩) ، كتاب الاستئذان ، باب : حفظ السر ، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٨٢) واللفظ له ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ١٧٤/٣ ، انظر الموسوعة رقم(١٢٧٨٤) ، وقال : حديث صحيح .

الخلاصة :

تبين من خلال ما مضى كيفية تعامل النبي ﷺ مع الصغار ، وأنه ﷺ كان يعتد بهم ، ويهتم بشأنهم ولا يقلل منه . ويمكن تلخيص ذلك بالنقاط التالية :

١ - أنه ﷺ كان له تعامل خاص مع الصغار .

٢ - كان يلاطفهم ويداعبهم .

٣ - كان يسلم عليهم ولو لم يكن معهم كبير ويبتدؤهم به .

٤ - كان يحسن عشرتهم ويصبر ويحلم عليهم .

٥ - كان يعلمهم ويحرص على ذلك .

٦ - كان يحتسب عليهم فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويؤدبهم .

٧ - كان يحفظ حقوقهم ويستأذنهم فيها فإذا أذن وإلا أداه إليه .

٨ - كان يثق فيهم ويكلفهم ببعض الأعمال السرية ويحملهم بعض المسؤوليات ، وينمي فيهم معاني الرجولة والأخلاق الفاضلة .

وعليه فإن المسؤولية الملقاة على عاتق المعلم والمربي للصغار مسؤولية عظيمة تحتاج منه إلى الاهتمام والرحمة بهم والصبر عليهم ، وأن يكون دأبه تعليمهم الدين وتربيتهم على مكارم الأخلاق على هدي النبي ﷺ .

الفصل الخامس

تعامل النبي ﷺ مع الكفار

الفصل الخامس

تعامل النبي ﷺ مع الكفار

تمهيد :

بُعث النبي ﷺ إلى الناس كافة على اختلاف مشاربهم وأديانهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1] ، ومن هؤلاء أصحاب أوثان وهم مشركو العرب ومنهم قريش قوم النبي ﷺ ، ومنهم أهل كتاب وهم اليهود والنصارى . فكان النبي ﷺ يتعامل مع كل أهل ديانة بما يناسبهم في تبليغهم هذا الدين وإقامة الحجة عليهم ودعوتهم إلى الحق المبين الذي أرسله الله به ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [2] .
وهناك صنف آخر من الكفار خرج بعد ظهور الإسلام ، وهم المنافقون الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر . وهؤلاء أيضاً كان للنبي ﷺ تعامل خاص معهم حسب ما تقتضيه المصلحة .

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعامل النبي ﷺ مع المنافقين .

المبحث الثاني : تعامل النبي ﷺ مع أهل الكتاب .

المبحث الثالث : تعامل النبي ﷺ مع المشركين .

---

(١) سورة سبأ : ٢٨ .

(٢) سورة فاطر : ٢٤ .

المبحث الأول

تعامل النبي ﷺ مع المنافقين

من حين دعوة النبي ﷺ في مكة حتى مهاجره ﷺ إلى المدينة لم يكن للنفاق ظهور فلما استقر النبي ﷺ في المدينة وطفق يؤسس الدولة الإسلامية فيها وأصبحت القوة والمنعة للمسلمين فيها آثار أناس يقيمون في المدينة أن يُظهروا الإسلام ويبطنو الكفر و العداوة للإسلام، وذلك إما خوفاً أو لمصلحة دنيوية لا تتحصل لهم إلا بإظهار الإسلام ،قال ابن تيمية :« وأما قبل الهجرة فلم يكن الناس إلا مؤمناً أو كافراً ، لم يكن هناك منافق فإن المسلمين كانوا مستضعفين ، فكان من آمن آمن باطناً وظاهراً ، ومن لم يؤمن فهو كافر ، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وصار للمؤمنين بها عز وأنصار ، ودخل جمهور أهلها في الإسلام طوعاً واختياراً : كان بينهم من أقاربهم ومن غير أقاربهم من أظهر الإسلام موافقة ، رهبة أو رغبة وهو في الباطن كافر . وكان رأس هؤلاء عبد الله بن أبي بن سلول ، وقد نزل فيه وفي أمثاله من المنافقين آيات »[1] .

وكان للنبي ﷺ تعامل خاص مع هذه الفئة التي ظهرت في المدينة خاصة مع بداية قيام الدولة الإسلامية وحداثة عهد الناس بالإسلام والإيمان وقوة الروابط القبلية والعصبية في نفس الوقت . ومن هذا التعامل ما ذكره ابن القيم فقال : « وأما سيرته ﷺ في المنافقين ، فإنه أُمِر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويَكِلَ سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمره أن يُعرض عنهم ، ويغلظ عليهم ، وأن يَبْلُغَ بالقول البليغ إلى نفوسهم ، ونهاه أن يُصلي عليهم ، وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه إن استغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم »[2] . وسنقف على بعض تلك السيرة فيما يلي :

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤٦٣/٧ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير المبعاد ١٦١/٣ .

كان ﷺ لا يقتل المنافقين لتأليف قلوب الناس وإشاعة الطمأنينة عندهم :

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « كنا في غزاة فَكَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجر : يا للمهاجرين ، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال : « ما بال دعوى جاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال : دعوها فإنها منتنة ، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال : فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن منها الأعز الأذل ، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : دعه ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ، ثم إن المهاجرين كثروا بعد » (١) .

غريب الحديث :

كسع : من الكسع وهو ضرب الدبر ، وكسع أي ضرب دبره بيده (٢) ، وكسعه أي ضرب دبره وعجيزته بيد أو رِجل ، أو سيف وغيره (٣) .

منتنة : أي قبيحة كريهة مؤذية (٤) .

الدراسة :

نهى النبي ﷺ عمر عن قتل ذلك المنافق ، وهو معلوم النفاق ، وذلك حكمة منه ﷺ وإعراضاً عن مثل هؤلاء، وذكر ﷺ الحكمة في ذلك حمية أن لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لأن في تحدث الناس بذلك تنفير للناس وإثارة حمة الجاهلية حين يقتل رجل له مكانة عند قومه، كما حصل في قصة الإفك حين قام سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو سيد الخزرج ،

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٥) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ...﴾ ، ومسلم برقم (٢٥٨٤) ، كتاب البر والصلة ، باب : نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً .

(٢) ، (٣) أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : « كسع » ، والنووي شرح مسلم ١٠٧/١٦ .

(٤) النووي شرح مسلم ١٠٧/١٦

وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية، فقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، وكان يرد على أسيد حين طلب أن يقتل عبد الله بن أبي [١] . قال النووي في قوله ﷺ : « دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم ، وفيه ترك بعض الأمور المختارة ، والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه ، وكان ﷺ يتألف الناس ، ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين ، وتتم دعوة الإسلام ، ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة قلوبهم ، ويرغب غيرهم في الإسلام ، وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك ، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ، ولإظهارهم الإسلام ، وقد أمر بالحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ ، ويجاهدون معه إما حمية ، وإما لطلب دنيا ، أو عصبية لمن معه من عشائرهم » [٢] .

وقال ابن تيمية : « كان النبي ﷺ يمتنع من عقوبة المنافقين ؛ فإن فيهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك [٣] ؛ والذين كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومه ؛ ولقال الناس : إن محمداً يقتل أصحابه ؛ فكان يحصل بسبب ذلك نفور عن الإسلام ؛ إذ لم يكن الذنب ظاهراً ، يشترك الناس في معرفته » [٤] .

ثم أن النبي ﷺ كان له قصد آخر في الإبقاء عليهم وعدم قتلهم مع ظهور نفاقهم وخطئهم ألا وهو تأليف قومهم والناس من حولهم حين يرون الإرفاق من النبي ﷺ بهم ، فإن قومهم هم الذين يلومونهم وينكرون عليهم فعلهم مع النبي ﷺ بعد ذلك . وفي هذه الحادثة جاء أسيد بن حضير رضي الله عنه مستعلماً فأخبره النبي ﷺ بالخبر ولم يأمره بقتله ، ثم جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي يستأذن النبي ﷺ في قتل أبيه إن كان آمراً أحداً بذلك ، فقال له : « بل نرفق به ونُحسن صحبته» ، فكان بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين ينكرون عليه ، فقال النبي ﷺ لعمر : « كيف ترى ؟ » [٥] ، لأن عمر هو الذي طلب ضرب عنق هذا المنافق

---

(١) انظر البخاي رقم (٢٦٦١) ، كتاب الشهادات .

(٢)النووي شرح مسلم ١٦/١٠٧ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمونهم نحن نعلمهم ﴾ ؛ التوبة : ١٠١ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ، ٧/٤٢٢ .

(٥) انظر فتح الباري ٨/٦٥ .

في تلك اللحظة ، ولو فعل لثارت ثائرة قومه الذين هم الآن ينكرون عليه ويوبخه على أفعاله وذلك بسبب حلم النبي ﷺ وصبره عليه . قال ابن حجر : « وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح ، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه ، ولذلك قال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » [(١)] .

كان ﷺ يأخذهم بالظاهر والله يتولى السرائر

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « بعث عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تَحصَّل من ترابها ، قال فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن بدر ، وأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة ، وإما عامر ابن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ، فبلغ ذاك النبي ﷺ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء ؟ قال : فقام رجل غائر العينين ، مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة ، كث اللحية ، محلوق الرأس ، مشمّر الإزار فقال : يا رسول الله : اتق الله ، قال : ويلك : أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ؟ قال ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ؟ قال : لا ، لعله أن يكون يصلي ، فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، قال رسول الله ﷺ : إني لم أومر أن أنْقُبَ قلوب الناس ولا أشق بطونهم ، ..... » [(٢)] .

غريب الحديث :

ذُهيبة : تصغير ذهب [(٣)] .

---

(١) فتح الباري ٨/٣٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥١) كتاب المغازي ، باب : بعث علي بن أبي طالب ، ومسلم برقم (١٠٦٤) ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : « ذهب » .

أديم مقروظ : أي جلد مدبوغ بالقرظ وهو ورق السَّلَمَ [1] .

لم تَحصَّل من ترابها : لم تخلص من ترابها [2] .

غائر العينين : أي داخلتان في محاجرهما ، وهو ضد الجحوظ [3] .

مشرف : أي بارز [4] .

الوجنتين : العظمان المشرفان على الخدين [5] .

ناشز : مرتفع [6] .

الدراسة :

حين قال المنافق مقولته وكانت علامة على نفاقه ، استأذن خالد بن الوليد رضي الله عنه في ضرب عنقه ، فقال له ﷺ : لا ، لعله أن يكون يصلي ، وهو الظاهر منه ، ولكن خالد رضي الله عنه يعلم أن صلاته لا تفيده إذا كان يقدح في النبي ﷺ وينتقص منه ، فقال : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ! ، فجاء الشاهد من الحديث وهو القاعدة التي وضعها ﷺ حين قال : « إني لم أومر أن أنْقُب قلوب الناس ولا أشق بطونهم » .

وهو ما فعله ﷺ مع هذا وغيره حيث أخذ بظاهرهم وَوَكَلَ سرائرهم إلى الله ، قال النووي في ذلك : « معناه أني أمرت بالحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر كما قال ﷺ : « فإذا قالوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » [7] ، وفي الحديث « هلا شققت عن قلبه » [8] . » [9] .

ومثل ذلك قال ابن حجر : « أي إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم » [10] .

(١) المصدر السابق مادة : « قرظ » .

(٢) فتح الباري ٦٨/٨ .

(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) انظر المصدر السابق ٦٨/٨ .

(٧) أخرجه البخاري برقم (٢٥) ، كتاب الإيمان ، باب : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة ... ﴾ .

(٨) أخرجه مسلم برقم (٩٦) ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله .

(٩) النووي شرح مسلم ١٣٣/٧ . (١٠) فتح الباري ٨/ ٦٩ .

إذن فالنبي ﷺ تعامل مع هؤلاء المنافقين بظاهرهم مع علمه بنفاق بعضهم ، فهو المعلوم من سيرته ﷺ .

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « إن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون ﴾ (١) الآية » (٢) .

الدراسة :

هذا من عادة المنافقين إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بذلك حتى إذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو جاءوا واعتذروا إليه بكل عذر وحلفوا على ذلك فيعرض عنهم النبي ﷺ ويقبل منهم ذلك .

---

(١) آل عمران : ١٨٨ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٥٦٧) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتو ﴾ ، ومسلم برقم (٢٧٧٧) ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم .

كان يصلي على المنافقين فنُهي عن الصلاة عليهم

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « لما توفى عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنما خيرني الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تسغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيده على السبعين. قال : إانه منافق . قال فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ [(١)] . »[(٢)]. وزاد في رواية مسلم : « فترك الصلاة عليهم » .

الدراسة :

لما توفى رأس المنافقين عبد الله ابن أبي جاء ابنه وكان رجلاً صالحاً من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، جاء يطلب ثوب النبي ﷺ ليكفن به أباه لعله ينفعه ، وطلب أيضاً أن يصلي النبي ﷺ عليه فأجابه إلى ذلك ، ولكن عمر رضي الله عنه وهو الملهم وثب إلى النبي ﷺ ليذكره ، وقال : إنه منافق ، ولكن النبي ﷺ لحكمة رأى أن يصلي عليه فصلى وصلى معه القوم ، قال ابن حجر : « أما جزم عمر بأنه منافق فجرى على ما كان يطلع عليه من أحواله : وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله وصلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام . واستصحاباً لظاهر الحكم ، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ، ومصلحة الاستئلاف لقومه ودفع المفسدة » [(٣)] . ثم جاء النهي عن الصلاة عليهم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ ، فلم يصل على أحد منهم بعد ذلك .

---

(١) التوبة : ٨٤ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٦٧٠) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ...... ﴾ ، ومسلم برقم (٢٧٧٤) ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم .

(٣) فتح الباري ٨/٣٣٦ .

الأمر بالإعراض عن المنافقين

٥- عن عبد الله بن كعب قال : « سمعت كعب بن مالك حين تخلف عن تبوك : والله ما أنعم الله علي من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) الآية » (٢) .

الدراسة :

حين صدق كعب بن مالك رضي الله عنه رسول الله ﷺ ثم أنزل الله عز وجل توبته عليه وعلى صاحبيه قال : ما أنعم الله علي من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي ، ثم ذكر الآية ، حيث نزلت الآية وفيها الأمر بالإعراض عن المنافقين إذا جاءوا يعتذرون احتقاراً لهم ، قال ابن حجر : «فيختص الكذب بمن حلف واعتذر ، لا بمن اعترف ، ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قرب ، وأخر من كذب بالعقاب الطويل » (٣) . وهؤلاء هم المنافقين الذين قَبِلَ النبي ﷺ عذرهم وأعرض عنهم ، كما جاء في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه : « وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له - وكانوا بضعة وثمانين رجلاً - فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله » (٤) .

---

(١) التوبة : ٩٥ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٦٧٣) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم ﴾ .

(٣) فتح الباري ٨/١٢٤ .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٤١٨) كتاب المغازي ، باب : حديث كعب بن مالك .

الخلاصة : في هديه مع المنافقين

١- كان يُعرض عنهم ويقبل أعذارهم إذا تخلفوا .

٢- يأخذهم بالظاهر ويكل سرائرهم إلى الله .

٣- يصبر ويحلم عليهم .

٤- يتألفهم ليتألف قومهم بهم ، ويُبقي عليهم مع ظهور نفاقهم لغرض التأليف .

المبحث الثاني

تعامل النبي ﷺ مع أهل الكتاب

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وكتابهم التوراة والإنجيل ، فلديهم أثارة من علم وإن كانوا قد حرفوا كتبهم بالزيادة والنقص . والنبي ﷺ كان يتعامل معهم من هذا المنطلق ، أي أنهم أهل كتاب ولديهم شيء من العلم ، ومن أهم هذا العلم الذي يجدونه في كتبهم هو بشارتها بمبعث الرسول ﷺ وعلامات ذلك ، وأنهم مأمورون باتباعه إذا أُرسل وتصديقه إذا حدث . ولعلنا نعرض بعض ملامح ذلك التعامل الذي كان يتبعه ﷺ في دعوته لهم .

إجابته ﷺ على أسئلة أهل الكتاب إذا سألوه

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئٌ على عسيب ، إذ مرَّ اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الرُّوح ، فقال ما رابكم إليه ؟ وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ، فقالوا : سلوه ، فسألوه عن الروح ، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً ، فعلمتُ أنه يوحى إليه ، فقمت مقامي . فلما نزل الوحي قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ ﴾ [١] » [٢].

غريب الحديث :

عسيب : الجريدة التي لا خوص فيها[٣] .

رابكم : قيل من الريب ، وقيل من الأرب وهو الحاجة [٤] .

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٧٢١) ، كتاب التفسير ، باب (ويسألونك عن الروح) ، وبرقم (٧٤٦٢) ، كتاب التوحيد ، باب (إنما قولنا لشيء إذا أردناه) .

(٣) ، (٤) فتح الباري : ٨ / ٤٠١ ، ٤٠٢ .

المعنى الإجمالي :

استوقف اليهود النبي ﷺ وهو يمشي في حرث في المدينة ، حيث ثبت في الرواية الأخرى « إذا مر بنفر من اليهود » فكلا الفريقين كان يمشي ومرَّ بالآخر وكما قال ابن حجر : « ويحمل هذا الاختلاف على أن الفريقين تلاقوا فيصدق أن كلاً مرّ بالآخر ، وسألوه عن الروح رغبة في تعجيزه ﷺ ، وحتى يروا صدق نبوته ، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً ، حيث كان يوحى إليه ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ يسألونك .... ﴾»[1] .

الدراسة :

توقف النبي ﷺ حين استوقفه اليهود ليستمع إليهم ويعلم مرادهم ، فأرادوا سؤاله فَقَبلَ منهم ذلك واستمع إليهم ، فسألوه على الرُّوح ، فأمسك حتى نزل عليه الوحي ، ثم قرأ الآية . وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يقبل سؤال اليهود عن أي شيء يريدون السؤال عنه ثم يجيبهم عليه ، حتى لو كان السؤال تعجيزاً منهم له ﷺ ، وكان ﷺ مؤيداً بالوحي في ذلك كما في هذا الحديث .

٢- عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : « كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حَبْر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يُصرع منها فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول : يا رسول الله فقال اليهوديُّ : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ : إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي ، فقال اليهوديُّ : جئت أسألك ، فقال له رسول الله ﷺ : أينفعك شيء إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذنيَّ فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال : سَلْ ، فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال

---

(١) انظر المصدر السابق : ٨ / ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

رسول الله ﷺ في الظلمة دون الجسر ، قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال فقراء المهاجرين ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون ، قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ، قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا ، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذنيَّ ، قال : جئت أسألك عن الولد قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله ، قال اليهوديُّ: لقد صدقت وإنك لنبيٌّ ، ثم انصرف ،فذهب ، فقال رسول الله ﷺ : لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ، ومالي علم بشيء منه ، حتى أتاني الله به » [1] .

غريب الحديث [2] :

الحبر : هو العالم .

فنكت : أي خط بالعود في الأرض .

الجسر : الصراط .

فما تحفتهم : هي ما يهدى إلى الرجل ويخص به ويلاطف ، وقيل : طرف الفاكهة .

النون : هو الحوت .

الدراسة :

حين جاء الحبر يسأل النبي ﷺ قَبِلَ منه ذلك ، مع معرفة النبي ﷺ بمكابرة اليهود وعنادهم وعدم قبولهم للحق ، حيث قال ﷺ : « أينفعك شيء إن حدثتك » ؟ وإنما أجابه ﷺ على سؤاله وهو من علمائهم لإقامة الحجة عليهم بأنه نبي مرسل من الله وعليهم الإيمان به ،

(١) أخرجه مسلم برقم (٣١٥) ، كتاب الحيض ، باب صفة مني الرجل والمرأة .

(٢) النووي شرح مسلم ٣ / ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

ولعل ذلك ينفع أحداً منهم . ثم بدأ اليهودي يسأل والنبي ﷺ يجيبه حتى انتهى اليهودي من السؤال وقد أجابه النبي ﷺ إجابة يجدها في كتبهم حتى أنه قال : « لقد صدقت وإنك لنبي ، ثم انصرف » ، ولكنه لم يؤمن بالنبي ﷺ ويسلم وإنما ولى وانصرف ولم يزد على ذلك . ويتبين من ذلك ما يلي :

١- استجاب النبي ﷺ لطلب اليهودي أن يسأله .

٢- جواب النبي ﷺ المتتابع لكل سؤال يسأله اليهودي رغبة في أن ينفع الجواب هذا اليهودي وغيره من اليهود خاصة أنه كان من علمائهم .

تصديقه ﷺ لأهل الكتاب في قولهم إذا وافق ما عنده من الحق

٣- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبرة من اليهود فقال : إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يهزُّهُن ثم يقول : أنا الملك أنا الملك ، فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله ، ثم قال النبي ﷺ ﴿ وما قدروا الله حق قدره - إلى قوله يشركون ﴾ (١) .

الدراسة :

حين جاء العالم من علماء اليهود وذكر شيئاً مما يكون يوم القيامة وهو مما ذُكر في كتبهم ضحك النبي ﷺ من قوله تعجباً وتصديقاً لما يقول وأكد ذلك بذكر الآية ، قال النووي : « ظاهر

---

(١) أخرجة البخاري برقم (٧٥١٣) ، كتاب التوحيد ، باب : كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ومسلم برقم (٢٧٨٦) ، كتاب صفة القيامه والجنه والنار .

الحديث أن النبي ﷺ صدق الحبر في قوله : إن الله تعالى يقبض السموات والأرضين والمخلوقات بالأصابع ، ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول » [1] .

وهذا على ما فيه من بيان لصفة من صفات يوم القيامة ، إلا أن فيه أيضاً محاولة لتأليف قلب ذلك اليهودي حيث صدقه النبي ﷺ أمام الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

عرض الإسلام على أهل الكتاب

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كان غلام يهوديّ يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : أسلم . فَنَظَر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار »[2].

الدراسة :

عرض النبي ﷺ الأسلام على الغلام اليهودي الذي كان يخدمه حين علم ﷺ بمرضه واحتضاره ، فحرص ﷺ على عيادته ودعوته إلى الإسلام لعله يسلم وهو في هذه الحال ، فأسلم الغلام وأنقذه الله من النار كما بين ذلك النبي ﷺ ، وفي ذلك حسن عهد من الرسول الله ﷺ لمن له به صلة ، وحرصه على اغتنام الأوقات المناسبة لعرض الإسلام على غير المسلمين ومنهم أهل الكتاب .

دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وغشيانهم في أماكنهم

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بينا نحن في المسجد خرج رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المِدْرَاس ، فقام النبي ﷺ فناداهم فقال :

---

(١) النووي شرح مسلم ١٧ / ٢٧٣ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٦) ، كتاب الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبي .. ، وأبو داود برقم (٣٠٩٥) ، كتاب الجنائز ، باب : في عيادة الذمي .

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٤٨) ، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب : (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) ، ومسلم

يامعشر يهود أسلموا تسلموا ، فقالوا : بلغت يا أبا القاسم ، قال : فقال لهم رسول الله ﷺ : ذلك أريد ، أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ذلك أريد ، ثم قالها الثالثة ، فقال : اعلموا أنما الأرض لله ورسوله ، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله » [1] .

غريب الحديث :

المِدْرَاس : البيت الذي يدرسون فيه [2] .

الدراسة :

خرج النبي ﷺ مع الصحابة وذلك إلى اليهود ، فانطلقوا حتى جاءوا عند البيت الذي يدرس فيه اليهود ، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام بقوله : « يا معشر يهود أسلموا تسلموا » وكررها بعد ذلك ثلاثاً ، وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على دعوة أهل الكتاب وإيصال الدين لهم في ديارهم ومكانهم الذي يجتمعون فيه ، وهو المِدْرَاس الذي يدرسون فيه ، وتأكيد دعوته لهم حين كرر مقولته ثلاثاً ، وذلك حين لم يذعنوا ويسلموا من المرة الأولى فبالغ في تبليغهم وكرره [3] . وحرص النبي ﷺ على تبليغهم ولو كان ذلك في ناديهم لأنه مطالب بذلك من الله عز وجل تبلغهم هذا الدين ، ولذا حين رد اليهود وقالوا : « بلغت يا أبا القاسم » ، قال ﷺ : « ذلك أريد » أي بقولي أسلموا أي إن اعترفتم أنني بلغتكم سقط عني الحرج [4] ، ولأن ردهم هذا فيه نوع مكر ، حيث يُظهر قبولهم لقوله ﷺ دون أن يستجيبوا له في الحقيقة ، قال ابن حجر: « وقولهم « قد بلغت » كلمة مكر ومداجاة ليدافعوه بما يوهمه ظاهرها ولذلك قال ﷺ « ذلك أريد » أي التبليغ » [5] . والمداجاة التغطية [6] .

برقم (١٧٦٥) ، كتاب الجهاد والسير ، باب : إجلاء اليهود من الحجاز .

(٢) النهاية في غريب الحديث مادة : « درس » .

(٣) انظر فتح الباري ٣١٥/١٣ .

(٤) فتح الباري ٣١٨/١٢ .

(٥) المصدر السابق ٢٧١/٦ .

(٦) انظر لسان العرب ، مادة : « رجع » .

إقامة النبي ﷺ الحجة على أهل الكتاب برجل منهم لم يعلموا إسلامه

٦- في حديث هجرة النبي ﷺ الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو طويل ، جاء فيه : « ..... فلما جاء نبيُّ الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله ، وأنك جئت بحق ، وقد علمتْ يهود أني سيِّدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ ، فأرسل نبيُّ الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، فأسلموا ، قالوا : ما نعلمه - قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار - قال : فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا ، وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ما كان ليُسلم ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ما كان ليُسلم ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ماكان ليُسلم ، قال : يا ابن سلام أخرج عليهم ، فخرج ، فقال : يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله ﷺ »(١) .

الدراسة :

أسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأشار على النبي ﷺ أن يدعو اليهود ويسألهم عنه قبل أن يعلموا أنه أسلم وذلك أنهم قوم بُهت كما جاء في إحدى الروايات(٢) ، أي يبهتون السامع بما يفترونه عليه من الكذب(٣) ، فقبل النبي ﷺ مشورته وهو العالم باليهود وطباعهم كيف لا ! وهو الموحى إليه ﷺ . فأرسل إلى اليهود ودعاهم إلى الإسلام أولاً ، فلما لم

(١) أخرج البخاري برقم (٣٩١١) ، كتاب مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٩٣٨) ، كتاب مناقب الأنصار ، باب : (٥١) دون ترجمة .
(٣) أنظر فتح الباري ٧/٢٧٣ .

يستجيبوا له وأنكروا علمهم بمبعثه وأنه مكتوب عندهم جحوداً وكفراً منهم ، سألهم عن عالمهم وسيدهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه ليقيم الحجة عليهم برجل منهم يثقون فيه ويُسَلِّمون بعلمه ودينه ومكانته عندهم ، فأثنوا عليه خيراً ، فلما خرج وأعلن لهم اسلامه كذبوه وذموه .

وبذلك أقام النبي ﷺ الحجة عليهم واستفاد من عدم معرفتهم بإسلام عبد الله بن سلام وهو مَنْ عندهم في العلم والمكانة ، ولأن اليهود يصلح معهم مثل هذا الأسلوب وذلك لفساد طباعهم وافترائهم وكذبهم ، فاستخدمه النبي ﷺ معهم .

مجادلة النبي ﷺ لأهل الكتاب من نصارى نجران

٧- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « أن وفد نجران أتوا النبي ﷺ فقالوا : ما تقول في عيسى بن مريم ؟ فقال : « هو روح الله وكلمته وعبد الله ورسوله » قالوا له : هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك ؟ قال : وذاك أحب إليكم ؟ » قالوا : نعم . قال : « فإذا شئتم» فجاء النبي وجمع ولده والحسن والحسين فقال رئيسهم : لا تلاعنوا هذا الرجل فوالله لئن لاعنتموه ليخسفن أحد الفريقين ، فجاؤوا فقالوا : يا أبا القاسم إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا وإنا نحب أن تعفينا ، قال : « قد أعفيتكم » ثم قال : « إن العذاب قد أظل نجران » (١) .

وفي رواية :

٨- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : « جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه . قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قالا : إنا نعطيك ما أسألتنا ، وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً . فقال : لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين . فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح . فلما قام ، قال رسول الله ﷺ : هذا أمين هذه الأمة » (٢) .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤١٥٧) باب : ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : على شرط مسلم .
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٨٠) ، كتاب المغازي ، باب : قصة أهل نجران .

الدراسة :

جادل النبي ﷺ وفد نجران النصارى حين جادلوه في عيسى بن مريم عليهما السلام وقالوا : ما تقول في عيسى بن مريم ، فأجابهم ﷺ بالحق فقال : هو روح الله وكلمته وعبد الله ورسوله »، فلما لم يتفقا طلبا من النبي ﷺ الملاعنة فأجابهم إليها ، وجمع أهله وجاء يلاعنهم .

قال ابن سعد : دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام ، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا ، فقال : إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم ، فانصرفوا على ذلك [(١)]. ثم تراجعوا عن الملاعنة خوفاً وشكاً فيما عندهم من الباطل ، وصالحوا النبي ﷺ على ما سألهم واشترط عليهم . قال ابن حجر : «وفيها - قصة أهل نجران - جواز مجادلة أهل الكتاب ، وقد تجب إذا تعينت مصلحته ، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة » [(٢)] . وهو ما حصل للنبي ﷺ حين أقام الحجة عليهم في عيسى بن مريم عليهما السلام .

الخلاصة :

كان النبي ﷺ يتعامل مع أهل الكتاب ويدعوهم من منطلق أنهم أهل كتاب ويجيبهم ويذكرهم بما عندهم من بقية علم خاصة البشارات التي كانت تبشر به ﷺ ، ويمكن أن نلخص أسلوبه ﷺ معهم بما يلي :

١- إجابته ﷺ عن أسئلتهم إذا سألوه ، وهي كثيرة .

٢- تصديقه ﷺ لأهل الكتاب في قولهم إذا وافق ما عنده من الحق .

٣- عرض الإسلام على أهل الكتاب كلما ناسب ذلك .

٤- غشيان أهل الكتاب في ديارهم لدعوتهم إلى الإسلام .

٥- الاستفادة ممن أسلم منهم لإقامة الحجة عليهم .

٦- مجادلته ﷺ لأهل الكتاب ومباهلتهم .

---

(١) ، (٢) فتح الباري ٨/٩٤ ، ٩٥ .

المبحث الثالث

تعامل النبي ﷺ مع المشركين

تمهيد :

بعث النبي ﷺ في قوم أهل أوثان يشركون بالله عز وجل ما لم ينزل به سلطانا ، قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ (١) . وقد أذى النبي ﷺ أشد الإيذاء في دعوته لقومه من المشركين وكافة العرب حتى أظهره الله عز وجل ونصره على عدوه ، وكان ﷺ يعلم عن مثل هذا الأذى ، قال تعالى : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ (٢) لكنه صبر على ذلك وتحمَّل ذلك الأذى في سبيل الله : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾(٣)، وحين أمره الله عز وجل بأن يصدع بالأمر ويعلنه بعد أن كانت الدعوة في السر كما قال تعالى : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤). امتثل ﷺ لهذا الأمر وصدع بالحق واتبع ﷺ طرقاً وأساليب في دعوته لهؤلاء المشركين وتبليغه لهذا الدين بدأ بالتوحيد الذي هو أساس دعوته ﷺ.

ومن هذه الأساليب في التعامل معهم ما يلي :

دعوته ﷺ لقرابته وعشيرته من المشركين

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (٥) صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي : يا بني فِهر ، يا بني عديّ - لبطون قريش - حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مُصدِّقيَّ ؟

---

(١) الحج : ٧١ .

(٢) ، (٣) آل عمران : ١٨٦ .

(٤) الحجر : ٩٤ .

(٥) الشعراء : ٢١٤ .

قالوا : نعم ، ما جرَّبنا عليك إلا صِدقاً ، قال : فإني نذير لكم بين يديَّ عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [1] » [2] .

غريب الحديث :

تُغير : أغار على القوم إغارة وغارة أي دفع عليهم الخيل ، وقال : وأغار على العدو يُغير إغارة [3] .

تباً لك : التباب الخسران والهلاك ، وتباً لفلان ، أي ألزمه الله هلاكاً وخسراناً [4] .

الدراسة :

استجاب النبي ﷺ لأمر الله بدعوة الأقربين من عشيرته للحق والإسلام وأنه نبي مرسل من الله ليؤمنوا به ويوحدوه ، فلما ناداهم وجمعهم في مكان واحد لم يَدْعُهم مباشرة وإنما قررهم بصدقه أولاً فقال : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مُصدِّقيَّ ؟ قالوا نعم ، ما جربناعليك إلا صدقاً » فلما أقروه على ذلك دعاهم مباشرة إلى ما يريد وأنه نبي مرسل إليهم ليصدقوه فقال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » . ودعوته ﷺ لقرابته لها حكمة وأهمية كبرى ، خاصة في أول دعوته ، وهي أن قرابته أولى الناس بتصديقه وتكثيره والدفاع عنه ، وأنهم إذا آمنوا به وصدقوه كان إيمان غيرهم أقرب ، بخلاف لو لم يصدقوه ، فغيرهم أولى بعدم التصديق ، قال ابن حجر : « والسر في الأمر بانذار الأقربين أولاً أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم ، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع ، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف ، فلذلك نص له على إنذارهم » [5] .

---

(١) المسد : ١ ، ٢ .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٠) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ .
ومسلم برقم (٢٠٨) ، كتاب الإيمان ، باب : من مات كافراً في النار لاتناله شفاعة ..

(٣) لسان العرب مادة : « غور » . (٤) الصحاح مادة : « تبب » . (٥) فتح الباري ٨ / ٥٠٣ .

كان النبي ﷺ يتألف المشركين بالدعاء لهم

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله إن دوساً عصت وأبت ، فادع الله عليها ، فقيل : هلكت دوس. قال : اللهم اهد دوساً وائت بهم » [١] .

الدراسة :

لما أبت وامتنعت دوس من الاستجابة للطفيل رضي الله عنه بالدخول في ا لإسلام وأيس من ذلك ذهب إلى النبي ﷺ ليدعو عليهم بالهلاك جزاء لكفرهم ، لكن النبي ﷺ أراد أن يتألفهم بالدعاء لهم لا الدعاء عليهم مع قدرته على ذلك رحمة ورأفة بهم ﷺ ، وإظهار ذلك أمام الناس وانتقل الخبر إلى دوس بأن النبي ﷺ لما طُلب منه الدعاء عليهم دعا لهم فيكون أوقع في قلوبهم ، وأدعى لقبولهم الإسلام ، ومن فقه البخاري للحديث ترجم له بقوله : « باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم » ، وكونه ﷺ كان يدعو على المشركين في أحوال ويدعو لهم في أحوال أخرى إنما هو حسب المصلحة ، قال ابن حجر : « وأنه ﷺ كان تارة يدعو عليهم وتارة يدعو لهم ، فالحالة الأولى حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم ، والحالة الثانية حيث يُؤْمن غائلتهم ويُرجى تألفهم كما في قصة دوس » [٢] . وقال القسطلاني في قوله « اللهم اهد دوساً .... » : وهذا من كمال خلقه العظيم ورحمته ورأفته بأمته جزاه الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته ، وﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ، وأما دعاؤه عليه الصلاة والسلام على بعضهم حيث لا يرجو ويخشى ضررهم وشوكتهم » [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٣٧) ، كتاب الجهاد ، باب : الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، ومسلم برقم (٢٥٢٤) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل غفار .... ودوس .

(٢) فتح الباري ٦ / ١٠٨ .

(٣) ارشاد الساري ٦ / ٤١٨ .

كان ﷺ يذهب إلى الحجيج في مجامعهم ويحدثهم عن الإسلام ويطلب منهم النصر

٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ قد يعرض نفسه بالموقف، فقال : ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريش قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » (١) .

الدراسة :

كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ليمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ، لأن قريشاً لم تقبل ذلك ، وذلك قبل أن يبايعه الأنصار بذلك . فالنبي ﷺ كان يبحث عمن يمنعه ويحميه من أن يؤذيه أحد لإبلاغ رسالته التي لا يمكن إبلاغها إلا بالحماية والمنعة ، وهو من فعل الأسباب . وكلما كان الداعي في قوة ومنعة كان هذا أحسن في تبليغ رسالته ودعوته ، فمن كان له سبيل إلى ذلك ويحتاج إليه فليفعل . قال المباركفوري : قال موسى بن عقبة عن الزهري : « فكان في تلك السنين أي التي قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ، ويقول لا أكره أحداً منكم على شيء بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي فلا يقبله أحد بل يقولون قوم الرجل أعلم به » (٢) .

٤- عن ربيعة بن عباد الدِّلي رضي الله عنه وكان جاهلياً أسلم ، فقال : رأيتُ رسول الله بصرَ عيني بسوق ذي المجاز يقول : « يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله ، تفلحوا » ويدخل في فجاجها ، والناس متقصفون عليه ، فما رأيت أحداً يقول شيئاً ، وهو لا يسكت يقول : «أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله ، تفلحوا » إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيءَ الوجه ذا غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : محمد بن عبد الله وهو يذكر

---

(١)أخرجه الترمذي برقم (٢٩٢٥) ، كتاب فضائل القرآن ، باب (٢٤) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٣٣٥) .

(٢) تحفة الأحوذي ٨ / ٢٤٣ .

النبوة ، قلت : من هذا الذي يُكذبه ؟ قالوا : عمُّه أبو لهب . قلت : إنك كنت يومئذ صغيراً ! قال : لا والله إني يومئذ لأعقلُ .[1]

غريب الحديث :

فجاجها : جمع فج ، وهو الطريق الواسع .[2]

متقصفون : مزدحمون .[3]

وضيء : من الوضاءة وهي الحُسن والبهجة .[4]

غديرتين : هي الذوائب - من الشعر - وواحدتها : غديرة .[5]

الدراسة :

كان النبي ﷺ يغشى المشركين في الأسواق والتجمعات ويدعوهم ويبلغهم ومن ذلك ذهابه إلى ذي المجاز ، وهو أحد الأسواق والتجمعات عندهم ، فكان يدعوهم إلى التوحيد بقوله : « يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله ، تفلحو » ، وينتقل من طريق إلى طريق وهو مازال يردد مقولته ، وتحمَّل النبي ﷺ الأذى والصد الذي كان يُجَابه به من أقربائه ومنهم عمه أبا لهب الذي كان يلحق به ويصد الناس عنه ويكذبه عندهم .

إذن على الداعي أن يغشى الناس في أماكنهم ومجالسهم يدعوهم ويبلغهم هذا الدين ويتحمل الأذى المتوقع من ذلك ، فقدوته في ذلك نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٦٠٢٣) ، من الموسوعة وقال : صحيح لغيره .

(٢) النهاية في غريب الحديث مادة : « فجج » .

(٣) المصدر السابق ، مادة : « قصف » .

(٤) المصدر السابق ، مادة : « وضأ » .

(٥) المصدر السابق ، مادة : « غدر » .

كان ﷺ يسمع من المشركين مقالتهم ثم يدعوهم

٥- عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حُدثت أن عُتبة بن ربيعة ، وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيَّها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحابَ رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قُم إليه فكلمه ؛ فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطة في العشيرة ، والمكان في النسَّب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعِبت به آلهتهم ودينهم وكفَّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله ﷺ : قُلْيا أبا الوليد ، أسمع ؛ قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلْكاً ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه ، فأنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبةُ ، ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال : نعم ؛ قال : فاسمع مني ؛ قال : أفعل ؛ فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة ، أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك » [(١)] .

---

(١) أخرجه ابن اسحاق في المغازي ١ / ٢٩٣ من سيرة ابن هشام ، وحسنه الألباني ، انظر : فقه السيرة للغزالي ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

الدراسة :

استمع النبي ﷺ إلى عتبة بن ربيعة فيما جاء يكلمه فيه بقوله ﷺ : « قل يا أبا الوليد، أسمع » وفي هذا من الأدب مع المتحدث ما فيه ، ثم إنه ﷺ بعث الطمأنينة في المتحدث حين قال له قل أسمع . أي أنه لن يقاطعه وسيصغي إليه حتى يفرغ من مقالته . فلما أنتهى عتبة من مقالته ، قال ﷺ : « أقد فرغت يا أبا الوليد » لأنه لما سكت قال النبي ﷺ ذلك حتى يتأكد من فراغه ، والسبب أن النبي ﷺ يريد أن يُحدث عتبة بحديث يُصغي إليه جيداً ، ولا يكون عتبة مشغولاً بكلام آخر لم يقله عتبه ويريد قوله للنبي ﷺ ، فلما أجاب عتبة بقوله نعم ، قال ﷺ فاسمع مني ، ولايملك هنا عتبة إلا أن يسمع بعد أن أعطاه النبي ﷺ الفرصة في أن يقول ما يشاء دون مقاطعة وبانتباه كبير ، فقال عتبة : « أفعل » ، وهو ما حصل فأخذ النبي ﷺ يقرأ عليه القرآن ويبلغه كلام الله إلى آخر القصة .

ومن ذلك نأخذ أن الداعية يعطي المدعو الفرصة في قول ما يريده حتى إذا فرغ وذهب ما يشغله مما يريد قوله ، بدأ الداعي في دعوته وتبليغه الإسلام والقرآن والأحكام .

الأمر الآخر أن حديث عتبة مفاده عدم الإيمان بالنبي ﷺ وأنهم يريدون النبي ﷺ أن يكف عنهم ، فجاء رد النبي ﷺ بما يناسب ذلك في الآيات .

الخلاصة :

١- كان النبي ﷺ يدعو قرابته بشكل خاص ويحرص على ذلك .

٢- تحمل النبي ﷺ الأذى وصبر على ذلك في دعوته للمشركين من قومه وبقية العرب كافة .

٣- تألُف النبي ﷺ المشركين بالدعاء لهم والصبر على أذاهم .

٤- غشي النبي ﷺ نواديهم ومجامعهم وأسواقهم ليبلغهم الدين والتوحيد .

٥- استماعه النبي ﷺ لمقالة من أراد أن يتحدث معه منهم حتى يفرغ ثم يدعوهم ويبلغهم كلام الله ورسالته .

الفصل السادس

تعامل النبي ﷺ مع الملوك والأمراء

والرؤساء وذوي الشأن

الفصل السادس

تعامل النبي ﷺ مع الملوك والأمراء والرؤساء وذوي الشأن

تمهيد :

أرسل الله تعالى النبي محمداً ﷺ مبشراً ونذيراً ، إلى الناس كافة ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ﴾ (١) . فهي رسالة عالمية ، ولكن الدعوة في مراحلها الأولى بدأت لمن حول النبي ﷺ ، وهو حال كل دعوة جديدة ، فلما قويت الدعوة قليلاً وصار لها أتباع ، أمر النبي ﷺ بإنذار قومه وعشيرته . قال تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (٢) ، فلما هاجر النبي ﷺ ، وتكونت الدولة الإسلامية في المدينة ، بدأت الدعوة العامه العالمية داخل جزيرة العرب وخارجها . فبدأ يرسل الرسل إلى الأمم والدول ممثلة في ملوكها وحكامها والقائمين على شئون الناس فيها ، مثل زعماء القبائل ، يدعوهم إلى الإسلام وإلى التوحيد والإنضواء تحت حكم الله وطاعة رسوله ﷺ ، فأتته وفود القبائل تترى وغالباً ما كان يأتيه سادة القوم ووجهاؤهم ، إمالاستجلاء ما عند الرسول ﷺ عن كثب ، أو لمتابعته ﷺ على الإسلام ، ولذلك فإن هذا الانفتاح في الدعوة العالمية كان سبباً مباشراً في التعامل مع الملوك وذوي الشأن ومخاطبتهم ، سواء كان ذلك عن طريق الرسائل أو الرسل أو مقابلتهم حين وفُودهم عليه ﷺ .

وقد تعامل النبي ﷺ مع هؤلاء جميعاً حين دعوتهم بما يناسبهم ، وذلك انطلاقاً من خصوصيتهم ، ولاعتبارات تصب جميعاً في مصلحة الدعوة ، ومن ذلك :

١- أنهم أصحاب سيادة أو منزلة ، إما لُملك أو إمرة أو رئاسة أو رأي وفضل ، وهذا فيه ما فيه من عزة وأنفة واستجماع حظ النفس والدنيا ،خاصة عند منازعته ملكه أو صدارته في قومه، فليس من مَلك كمن ليس له مُلك ولا رئاسة ، وليس من امتاز على قومه كمن لا ميزة له .

---

(١) سبأ : ٢٨ .

(٢) الشعراء : ٢١٤ .

٢- شعورهم بمسئوليتهم عن قومهم وأتباعهم ، وهو مدخل مهم لابد من الاستفادة منه .

٣- مكانتهم عند قومهم وأتباعهم ، فهم قدوة للناس ، والناس تبع لهم ، وهو أمر خطير فطن له النبي ﷺ أثناء دعوتهم ومخاطبتهم .

وسيتبين لنا من خلال ما سيأتي بإذن الله كيف تعامل النبي ﷺ مع مثل هؤلاء كل بحسب حاله .

المبحث الأول

تعامله مع الملوك والأمراء

كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ، بعث به دحية الكلبي ، رضي الله عنه فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) » (٢) .

غريب الحديث :

الأريسيين : جمع أريس ، والأريس : الأكار . أي الفلاح (٣) .

سواءٍ : وسط(٤) . وقيل : عدل ونَصَف،أي نستوي نحن وأنتم فيها(٥) . وقيل : قصد(٦) .

المعنى الإجمالي :

كتب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام فيسلم في الدنيا والآخرة ويسلم معه أتباعه

---

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) أخرجه البخاري جزء من حديث برقم (٧) ، كتاب بدء الوحي ، جزء من حديث برقم (٤٥٥٣) وكتاب التفسير ، باب «قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ...» ، وأخرجه مسلم جزء من حديث برقم (١٧٧٣) ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الشام .

(٣) انظر لسان العرب مادة : « أرس » والفتح ١/٣٩ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن مادة : « سوا » .

(٥) تفسير ابن كثير ٢/٤٥ .

(٦) فتح الباري ٨/٢١٤ .

حيث إن القوم تبع لسيدهم وملكهم في الغالب . ثم خوفه بالإثم الحاصل لهم حين لا يسلم ويكون سبباً في عدم إسلام قومه ، ثم دعاه بدعوة التوحيد والوقوف عند كلمة العدل والإنصاف وعبادة الله وحده لا شريك له [1] .

الدراسة :

بالنظر والتأمل في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل نجد أن هناك عدة اعتبارات كان ﷺ يراعيها بكل دقة واقتدار ، دون إفراط أو تفريط ، بحيث يعطي كل اعتبار وزنه دون زيادة أو نقصان ، وكل ذلك دون إخلال بالضوابط الشرعية ؛ ويظهر هذا في النقاط التالية :

أولاً : قوله ﷺ : « هرقل عظيم الروم » نجد في هذه العبارة أن النبي ﷺ وضع اعتباراً لمنزلة هرقل عند قومه ، فقال : « عظيم الروم » بمعنى الذي يعظمه الروم ، ولا يخفى ما في هذا من تأليف لقلبه . ولكنه ﷺ لم يخاطبه بقوله « ملك الروم » ، لأنه لا ملك له في الإسلام، وبذلك حقق ﷺ الغرض ، وهو التأليف ، دون إسباغ ألفاظ عليه لا يستحقها ، لكونه لازال على الكفر . كل هذا والنبي ﷺ في مقام دعوة هذا الرجل إلى الإسلام ، خاصة أنه سيد قومه ، وبإسلامه يحتمل إسلام قومه من بعده ، حيث إنهم تبع له ، قال النووي رحمه الله في معرض ذكر فوائد هذا الحديث : « ومنها التوقي في المكاتبة واستعمال الورع فيها ، فلا يُفْرِطُ ولا يُفَرِط، ولهذا قال النبي ﷺ : « إلى هرقل عظيم الروم » فلم يقل : ملك الروم لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام ، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ ، أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط ، وإنما يُنْفذُ من تصرفات الكفار ما تُنْفذُه الضرورة . ولم يقل : إلى هرقل فقط ، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال : «عظيم الروم » أي الذي يعظمونه ويقدمونه ، وقد أمر الله تعالى بالإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام فقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة ﴾ [2] ، وقال تعالى :﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا ﴾ [3] » وغير ذلك [4] . أ . هـ . وقال ابن حجر : « قوله « عظيم الروم » فيه عدول عن ذكره بالملك

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي ١٢/ ٤٥٠ ؛ الفتح ١/ ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٣) طه : ٤٤ .

(٤) شرح مسلم للنووي ١٢/ ٤٥١ .

أو الإمرة ، لأنه معزول بحكم الإسلام ، لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التأليف » (١) ، ويلاحظ أن الرسول ﷺ لم يضع فكرته بصيغة الأمر أو الاستعلاء على المرسل إليه ، فقد ذكر نفسه ﷺ بصيغة الإفراد تواضعاً ، وخاطب المرسل إليه وهو هرقل - عظيم الروم - ليكون في موضع المسؤولية تجاه المهمة التي أنيطت به (٢) .

ثانياً : استخدم النبي ﷺ الترغيب والترهيب في دعوته لهرقل وذلك بأسلوب سهل ، والإشارة إلى ذلك بطريقة بليغة وخفيفة على النفس ، وذلك في قوله : « أسلم تسلم يؤ تك الله أجرك مرتين ، **فإنْ** توليت **فإن** عليك إثم الأريسيين » فقوله أسلم تسلم فيه ترغيب في الإسلام وأنه بالإسلام تسلم في الدنيا والآخرة ، حيث في الدنيا يثبت الله ملكه ، وفي الآخرة ينجيه من العذاب ، وله بذلك أجره مرتين : أجر إيمانه بعيسى عليه السلام ، ثم النبي ﷺ ، أو أجر إسلامه وإسلام قومه حيث أن الناس تبع لملكهم ، **فإ**ذا أسلم أسلموا ، وبذلك يحصل على أجور مثل أجورهم حين كان سبباً في إسلامهم ، مع ما في قوله من بلاغة واختصار ، قال النووي : قوله ﷺ : « أسلم تسلم » في نهاية من الاختصار ، وغاية من الإيجاز والبلاغة وجمع المعاني، مع ما فيه من بديع التجنيس وشموله لسلامته من خزي الدنيا بالحرب والسبي والقتل وأخذ الديار والأموال ، ومن عذاب الآخرة .ومنها أن من أدرك من أهل الكتاب نبينا ﷺ فآمن به فله أجران كماصرح به هنا ، وفي الحديث الآخر الصحيح : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ، منهم رجل من أهل الكتاب » (٣) الحديث . أنتهى كلام النووي (٤) .

وقال ابن حجر : « وإعطاؤه الأجر مرتين لكونه كان مؤمناً بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ ، ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه ومن جهة أن إسلامه يكون سبباً لدخول أتباعه » (٥).

---

(١) فتح الباري ١/٣٨ .

(٢) الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة ، أحميد العقيلي ، ص ٦٥ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب : فضل من أسلم من أهل الكتابين .

(٤) شرح مسلم للنووي ١٢ / ٤٥١ .

(٥) فتح الباري ١/٣٨ .

وأما الترهيب فجاء في قوله : « فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين » وهذا تخويف منه ﷺ لهرقل من أن عدم إسلامك وإصرارك على الكفر سيكون سبباً في عدم إسلام قومك، حيث أنهم تبع لك ، وأن هذا يقتضي إثمك ومثل إثم جميع هؤلاء الناس الذين ضلوا بسبب ضلالك، فكما كان له الأجر مرتين حين إسلامه ، فكذلك عليه الإثم من جهتين حين كفرانه ، قال النووي : ومنها البيان الواضح أن من كان سبباً لضلالة أو سبب منع من هداية كان آثماً » [١] .

قال أيضاً : « ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ، ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ، ولأنهم أسرع انقياداً فإذا أسلم أسلموا ، وإذا امتنع امتنعوا ، وهذا القول هو الصحيح » [٢] . وقال الخطابي : « أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له ، لأن الأصاغر أتباع الأكابر » [٣] . وقال أيضاً : « وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على الأمر بقوله « أسلم » والترغيب بقوله « فإن توليت » والترهيب بقوله « فإن عليك » والدلالة بقوله « يا أهل الكتاب » وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى » [٤] .

ثالثاً : مخاطبة النبي ﷺ للعقل والحكمة من خلال دعوته هرقل إلى الاجتماع على كلمة العدل والإنصاف ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإثارة عاطفته من خلال النداء بـ « يا أهل الكتاب » وهو الاسم الذي يحبونه ، وهو تذكير لهم بما عندهم من علم الكتاب ، وكل ذلك حين خاطبهم النبي ﷺ بقوله تعالى : « ويا أهل الكتاب تعالوا .... » وبالقرآن خاطب محمد ﷺ أهل الكتاب منادياً إياهم بأسمى ما يفتخرون به وهو الكتاب المقدس (يا أهل الكتاب) وبذلك خاطب النبي ﷺ عقولهم وحرك نفوسهم بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٥] » [٦] .

---

(١) شرح مسلم للنووي ٤٥١/١٢ .

(٢) المصدر السابق ٤٥٢/١٢ .

(٣) فتح الباري ٣٩/١ .

(٤) المصدر السابق ٣٩/١ ، ٤٠ .

(٥) النحل : ١٢٥ .

(٦) الأثر والدلالات الإعلامية ص ٦٧ .

٢- وكتب كتاباً إلى كسرى وبعث به عبد الله بن حذافة السهمي وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، وفيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس »(١) .

الدراسة :

هذا مثال آخر لأسلوب النبي ﷺ في تعامله مع الملوك والأمراء يحمل نفس الصفات التي تكلمنا عنها في كتابه ﷺ إلى هرقل ، حيث إلانة الكلام والتلطف فيه ، حين تواضع ﷺ ولم يضف على نفسه شيئاً من الألقاب ، إذ عَرَّف نفسه بـ « محمد رسول الله » ثم أضفى شيئاً من ذلك حين وصفه بـ « كسرى عظيم فارس » لأن الفرس فعلاً يعظمونه ، لكنه لم يذكره بالملك، لأنه لا ملك له في الإسلام ، فكان ذلك في إطار الحدود الشرعية . فإلانة الكلام والدعوة بالحسنى أمر مطلوب شرعاً حتى مع أعتى الكافرين ، خاصة إذا كان هذا المدعو ملكاً أو سيداً في قومه ، فهذا أطمع في إسلامه ، لإن بإسلامه يكون إسلام قومه غالباً ، وفي هذا مصلحة عظيمة .

كذلك استخدم ﷺ الترغيب والترهيب مع هذا الملك ، ولو كان ذلك بشكل غير مباشر ، حين قال « أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس » لأن ببقائه على الكفر أدعى إلى بقاء قومه على الكفر حيث سيمنع عرض الإسلام عليهم .

---

(١) أخرجه البخاري مختصراً برقم (٤٤٢٤) ، كتاب المغازي ، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ، ومسلم مختصراً برقم (١٧٧٤) ، كتاب الجهاد والسير ، كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار ، وأحمد في المسند (٢٤٣/١) مختصراً ، وفي الموسوعة برقم (٢١٨٤) ، وقال إسناده صحيح على شرط الشيخين ، والبيهقي في كتاب السير باب اظهار دين النبي ص على الأديان ، وأرجه الواقدي من حديث الشفاء بنت عبد الله كما في نصف الراية (٤٢١/٤) ، وأشار إليه ابن حجر في الفتح بنفس اسناد الشفاء بنت عبد الله (١٢٧/٨) ، وكذلك في الدراية (٢٩٦/٢) ، والطبقات لابن سعد (٢٥٩/١) ، وزاد المعاد (٦٨٨/٣) ، والطبري في التاريخ (١٣٣/٢) ، والجاب الصحيح لابن تيمية (٣١٩/١) .

٣- وكتب ﷺ إلى المنذر بن ساوَى العبدي بالبحرين ، وبعثه به مع العلاء بن الحضرمي ، رضي الله عنه ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوَى ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك إلى الإسلام ، فأسلم تسلم ، أسلم يجعل الله لك ما تحت يديك ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر » . وختم رسول الله ﷺ الكتاب .(١)

الدراسة :

يحمل هذا الكتاب من قبل النبي إلى المنذر بن ساوي ملامح رسائله إلى هرقل وكسرى ، إلا أن هناك زيادة بيان بظهور الدين في كل مكان ونذكر هنا بعض هذه الملامح :

١- تحفظ النبي ﷺ في السلام حيث إنه لم يقل السلام عليكم ، ولكن قال : « سلام على من اتبع الهدى » ، لأنهم لازالوا على الكفر ، وهو أدب شرعي . لكنها في الوقت نفسه هي تحية وتلطف .

٢- الترغيب والترهيب واضح في هذه الرسالة وهو موافق لما قبلها من جهة قوله « أسلم تسلم» ومختلفة من جهة قوله « أسلم يجعل الله لك ما تحت يديك » هذا هو الترغيب ، فهو لا يخشى من ذهاب ملكه وأنه إذا أسلم بقي على ملكه ، ويأتي الترهيب في قوله « واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر » ، وهو تهديد مبطن منه ﷺ يعني بأنك إذا لم تسلم فإن هذا الدين سيبلغ أرضك ، شئت أم أبيت ، وسيزول ملكك ، وأن جيوش الإسلام قادمة بخليها وإبلها تنشر هذا الدين ، ولذلك فإسلامك خير لك في الدنيا والآخرة ويبقى ملكك حين تقيم شرع الله ، وتفوز في الآخرة برحمة الله .

٣- ولما سبق نجد أن هذه الرسالة آتت بثمارها حين كان المرسل إليه صاحب عقل وحكمة ، فآمن

(١) أخرجه الواقدي من كتاب الردة كما في نصب الراية (٤١٩/٤) ، وانظر : الدرايه لابن حجر (٢٩٦،٢٩٥/٢) ، والجواب الصحيح لابن تيمية (٣٢٨/١، ٣٢٩) ، وفي الإصابة لابن حجر (٦/ ١٧٠) ، والطبقات لابن سعد (٢٦٣/١) ، وزاد المعاد (٢٩٦/٣) ، وأورده الطبري في التاريخ (١٤٥/٢) .

وأسلم لله رب العالمين ، حيث قال المنذر :« قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ؟ ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده ، وأن من إعظام ما جاء به أن يعظم الرسول ﷺ وسأنظر »[1] .

٤- كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة ، وأرسله مع عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، سِلْمٌ أنت، فإني أحمد إليك الله ، الذي لا إله إلا هو ، الملك القدوس ، السلام المؤمن ، المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم ، روح الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول ، فحملت به ، فخلقه من روحه، ونفخه ، كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني ، وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى »[2] .

الدراسة :

١- في هذه الرسالة إضافة جديدة على الرسائل الأخرى التي تتفق مع هذه الرسالة في نقاط سبق بيانها وتوضيحها . إلا أن الشيء الجديد هو أن النبي ﷺ يعلم دين النجاشي وبماذا يؤمن ، فكتب إليه من هذا المنطلق وأثار عاطفته حين تكلم عن مريم البتول وأنه - أي النبي ﷺ - يشهد أن عيسى روح الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم عليها السلام فحملت به ، وخلقه كما خلق آدم أول مره ، ثم جاءت الدعوة إلى التوحيد وأن عيسى عليه السلام ما هو إلا عبد لله أرسله إلى قومه . وعليه فقد نفعه الله بهذا وأسلم النجاشي ، وكتب إلى النبي ﷺ يخبره بذلك .

---

(١) الأثر والدلالات الإعلامية ص ١٧ .

(٢) أخرجه الواقدي من كتاب الردة كما نصب الراية (٤/٢٢١) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٠٨) ، وكذلك البيهقي بإسناد آخر عن ابن اسحاق (٢/٣٠٩، ٣١٠) ، والطبري في التاريخ (٢/١٣١) ، وانظر البداية والنهاية (٣/٨٣) ، وزاد المعاد (٣/٦٨٩) و (١/١٢٣) .

فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من أصحمة النجاشي ، سلام عليك يا نبي الله ، من الله ورحمة الله وبركات الله ، الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

فقد بلغني كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقاً [1] ، وأنه كما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك ، وأصحابه ، وأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً ، وقد بايعتك ، وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه ، لله رب العالمين » [2] انتهى .

٢- أن النبي ﷺ لم يغفل جنود النجاشي ولذلك وجه إليهم الدعوة مع النجاشي لبيان مكانتهم وأهميتهم ، وقد آمنوا مع النجاشي .

٣- أن النبي ﷺ بين لهم مراده وأنه غايته النصح لهم ومحبة الخير لهم ، وليس لدنيا يصيبها ، خاصة أنه علم عنه عليه السلام إبقاء من آمن منهم على ملكه وسلطانه مادام أنه يصلح لذلك .

الخلاصة :

١- استخدم النبي ﷺ اسلوب الترغيب والترهيب مع الملوك والأمراء في الدعوة وذلك بأبلغ عبارة وألطفها .

٢- حرص النبي ﷺ على أن يعطي الملوك والأمراء مكانتهم في الخطاب وذلك في الحدود الشرعية .

٣- خاطب النبي ﷺ كُلاً بحسبه ودينه الذي يؤمن به .

٤- احتوى خطاب النبي ﷺ على العقل والحكمة بالنظر بعين العدل والإنصاف إلى الأمور .

٥- بث الطمأنينة في قلوب هؤلاء الملوك والأمراء بأن إسلامهم يُبقي ملكهم تحت أيديهم .

---

(١) الثفروق : قمع البُسرة والتمرة . انظر : لسان العرب مادة : « ثفرق » .

(٢) انظر : تخريج كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ص ٢٧٣ .

المبحث الثاني

تعامله ﷺ مع ذوي الشرف والشأن

تمهيد :

حرص النبي ﷺ حين التعامل مع ذوي الشرف والمنزلة والشأن من العرب وغيرهم على تأليف قلوبهم وإكرامهم والاحتفاء بهم ، وذلك لما لهذا التعامل الخاص من أثر في نفوسهم ونفوس أتباعهم ، ويظهر هذا في تقسيمه للمغنم في مواقف معينة ، وكذلك تعامله مع الوفود القادمة إليه لمبايعته وتعلم الإسلام منه ، ثم يرجعون إلى قومهم . فكان ﷺ يحسن وفادتهم ويعطيهم إجازتهم ترغيباً لهم ، رغبة منه عليه السلام أيضاً في تأليف قلوب من وراءهم من الناس إذا انقلبوا إليهم وأخبروهم بحسن معاملته لهم ووفادته إياهم .

تأليف النبي ﷺ قلوب ذوي الشرف والمنزلة

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة : فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل . وأعطى عيينة [بن حصن الفزاري] مثل ذلك. وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة . قال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله . فقلت والله لأخبرن النبي ﷺ ، فأتيته فأخبرته فقال : فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » (١) .

غريب الحديث :

آثر : آثر إيثاراً إذا أعطى وفضّل (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٥٠) ، كتاب فرض الخمس ، باب : ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه . وأخرجه مسلم (١٠٦٢) ، كتاب الزكاة ، باب : إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط .

(٢) النهاية في غريب الحديث مادة : « أثر » .

الدراسة :

أعطى النبي ﷺ أناساً من أشراف العرب من الخمس وذلك بعد غزوة حنين ولم يعط الأنصار شيئاً من الخمس . والسبب في ذلك رغبة النبي ﷺ تألفَ قلوب هؤلاء الأشراف وأتباعهم فَيثْبُت إيمانهم وإيمان من تبعهم ، كما قال النبي ﷺ في رواية أخرى : « إني أعطي قوماً أخاف ظلعهم وجزعهم ، وأكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى » [(١)].

وظلعهم هنا ميلهم عن الحق وضعف إيمانهم ، وقيل ذنبهم [(٢)] . قال ابن حجر : « واقتضت حكمته - حكمة الله - أيضاً أن غنائم الكفار لما حصلت ثم قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه لما بقي فيه من الطبع البشري في محبة المال فقسمه فيهم لتطمئن قلوبهم وتجتمع على محبته ، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها . ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها لأنه لو قسم ذلك فيهم لكان مقصوراً عليهم ، بخلاف قسمته على المؤلفة قلوبهم لأن فيه استجلاب قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم ، فلما كان ذلك العطاء سبباً لدخولهم في الإسلام ولتقوية قلب مَنْ دخل فيه قبل تبعهم من دونهم في الدخول ، فكان في ذلك عظيم المصلحة [(٣)] » . وقال ابن القيم : « وهذا العطاء هو من النفل ، نفل النبي ﷺ به رؤوس القبائل والعشائر ليتألفهم به وقومهم على الإسلام ، فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس ، والربع بعده ، لما فيه من تقوية الإسلام وشوكته وأهله ، واستجلاب عدوه إليه ، هكذا وقع سواء كما قال بعض هؤلاء الذين نفلهم : لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الخلق إليّ ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ ، فما ظنك بعطاء قوىَّ الإسلام وأهله ، وأذل الكفر وحزبه ، واستجلب به قلوب رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا ، غضب لغضبهم أتباعهم، وإذا رضوا رضوا لرضاهم . **فإذا** أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحدٌ من قومهم ، فلله ما أعظم موقع هذا العطاء ، وما أجداه وأنفعه للإسلام وأهله » [(٤)] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٤٥) ، كتاب فرض الخمس ، باب : ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم .....

(٢) النهاية في غريب الحديث مادة : « ظلع » .

(٣) فتح الباري ٤٩/٨ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٨٤/٣ ، ٤٨٥)

فالنبي ﷺ كان يرمي إلى شيء يتجاوز رؤوس القبائل والعشائر وأشرافهم ، وهو الطمع في أتباعهم ، حيث أنهم تبع لسيدهم ، وهؤلاء هم المؤلفة قلوبهم ، قال ابن حجر : « والمراد بالمؤلفة قلوبهم : ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاماً ضعيفاً ، وقيل كان فيهم من لم يسلم بعد كصفوان بن أمية . وقد اختلف في المراد بالمؤلفة قلوبهم الذين هم أحد المستحقين للزكاة فقيل : كفار يعطون ترغيباً في الإسلام ، وقيل مسلمون لهم أتباع كفار ليتألفوهم ، وقيل مسلمون أول ما دخلوا في الإسلام ليتمكن الإسلام من قلوبهم » [١] . وقال في فوائد الحديث : «وفيه أن للإمام تفضيل بعض الناس على بعض في مصارف الفيء ، وأن له أن يعطي الغني منه للمصلحة » [٢] .

ومما سبق يظهر أن إعطاء النبي ﷺ لرؤساء القبائل وأشراف العرب هو نوع من أنواع التعامل الذي يتعامل به ﷺ معهم لكسب ودهم ورضاهم ، وذلك للمصلحة الراجحة التي تحصل بذلك العطاء ، وهو كسب من وراءهم .

٢- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « يوم الخميس وما يوم الخميس . ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء ، فقال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا : هجر رسول الله ﷺ . قال : دعوني ، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعوني إليه . وأوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، ونسيت الثالثة » [٣] .

غريب الحديث :

خضب : بلل [٤] ، وخَضَبَ : تلون [٥] .

---

(١) فتح الباري ٨/٤٨ .

(٢) المصدر السابق ٨/٥٢ .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٥٣) ، كتاب الجهاد ، باب : جوائز الوفد .

(٤) النهاية في غريب الحديث مادة : « خضب » .

(٥) المعجم الوسيط مادة : « خضب » .

هجر : الهُجر الهذيان [١] .

أجيزوا الوفد : أي أعطوهم ، والجائزة العطية [٢] .

الدراسة :

أوصى النبي ﷺ بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم هو ﷺ ويتبين من ذلك أهمية ما كان النبي ﷺ يفعله من إجازة الوفود حين يَرِدُون عليه من كل مكان تأليفاً لقلوبهم وتحبيباً لهم في الإسلام ، حيث أن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها وأعطاها ، خاصة أن هذه الوفود تضم أشراف قومها ورؤساءهم وسيعودون إلى ديارهم ليخبروا قومهم خبر النبي ﷺ ، وماذا فعل معهم .

التجمل للوفود والظهور بالمظهر الحسن أمامهم

٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « وجد عمر حُلة إستبرق تباع في السوق، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ابتع هذه الحلة فتجمل بها للعيد والوفد . فقال رسول الله ﷺ : إنما هذه لباس من لا خلاق له - أو إنما يلبس هذه من لا خلاق له - فلبث ماشاء الله . ثم أرسل إليه النبي ﷺ بجبة ديباج ، فأقبل بها عُمر حتى أتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، قلت : إنما هذه لباس من لاخلاق له ، أو إنما يلبس هذه من لا خلاق له ، ثم أرسلت إليّ بهذه ، فقال : تبيعها ، أو تصب بها بعض حاجتك » [٣] .

غريب الحديث :

الحُلَّة : واحدة الحُلَل ، وهي برود اليمن ، ولا تُسمّى حُلَّة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد [٤].

---

(١) انظر فتح الباري : ١٣٣/٨ .

(٢) المصدر السابق ١٣٥/٨ .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٥٤) ، كتاب الجهاد ، باب : التجمل للوفود .

(٤) النهاية في غريب الحديث مادة : « حلل » .

الوفد : وهم القوم يجتمعون ويردون البلاد ، واحدهم : وافد . وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك [1] .

خلاق : الخلاق بالفتح : الحظُّ والنصيب [2] .

جبة : ثوب سابغ ، واسع الكمين ، مشقوق المقدم ، يُلبس فوق الثياب [3] .

ديباج : الثياب المتخذة من الإبريسم ، فارسي معرب [4] .

الدراسة :

كان النبي ﷺ يتجمل للوفود ، ويلبس أحسن ثيابه لاستقبالهم حيث إنهم رؤساء القوم وخاصتهم وأشرافهم . وذلك لإضفاء المهابة عليه ﷺ وتزيين الإسلام في قلوب الوافدين إليه . لأن غالب هؤلاء إنما جاءوا ليسلموا ويبايعوا النبي ﷺ ويتعلموا هذا الدين .

قال ابن حجر : « قوله « باب من تجمل للوفود » أي حَسَّن هيئته بالملبوس ونحوه لمن يقدم عليه ، والوفود جمع وافد وهو من يقدم على من له أمر أو سلطان زائراً أو مسترفداً ، والمراد هنا من قول عمر « للوفود » من كان يرد على النبي ﷺ ممن ترسلهم قبائلهم يبايعون لهم على الإسلام ويتعلمون أمور الدين حتى يُعلموهم »[5] .

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ لم ينكر على عمر أصل التجمل للوفود وخصهم بذلك ، إنما أنكر عليه نوع اللباس .قال ابن حجر :« وشاهد الترجمة منه قول عمر « تجمل بها للوفود » وأقره النبي ﷺ على ذلك » [6] . بل ذكر أيضاً في باب : التجمل للوفود في كتاب الجهاد

---

(١) النهاية في غريب الحديث ، مادة : « وفد » .

(٢) المصدر السابق ، مادة : « خلق » .

(٣) المعجم الوسيط ، مادة : « الجبة » .

(٤) المصدر السابق ، مادة : « دبج » .

(٥) فتح الباري ١٠/٥٠٠ .

(٦) المصدر السابق ١٠/٥٠١ .

قول ابن المنير ، فقال : قال ابن المنير : « موضع الترجمة أنه ما أنكر عليه طلبه للتجمل للوفود ولما ذكر ، وإنما أنكر التجمل بهذا الصنف المنهي عنه » [1] .

بل إنه ﷺ يأمر أصحابه بالتجمل للوفود ليكون ذلك أوقع في قلوب من يرد عليه منهم [2] .

وبهذا يتبين حرص النبي ﷺ على التجمل للوفود والظهور بالمظهر الحسن ، وخصوصية ذلك في هذا الموقف ، لما لهؤلاء الوفود من خاصية رئاستهم وشرفهم عند من أوفدهم .

الخلاصة :

يمكن أن نخلص مما مضى إلى النقاط التالية :

١- أن النبي ﷺ كان يتألف من كان صاحب منزلة وشرف عند قومه ويؤثره في القسمة .

٢- وكان ﷺ يُحسن وفادة الوفود ويكرمهم ويجيزهم بالعطايا طمعاً في تأليف أتباعهم إذا انقلبوا إليهم .

٣- وكان ﷺ يتجمل للوفود للظهور بالمظهر المهيب ولتزيين الإسلام في نظرهم ويأمر أصحابه بذلك .

٤- إن في تأليف قلوب الرؤساء مصلحة كبيرة لإسلام أتباعهم وتقوية إيمانهم .

---

(١) فتح الباري ١٧١/٦ ، وإرشاد الساري ٥٢٩/٦ .

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢٥٩/٦ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، باعث الرسل ، ومُنْزل الكتب ، وهادي العباد بمنه وفضله وكرمه ، إياك نعبد وإياك نستعين ، فبك نقوم ونقعد ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، فلك الحمد ولك الشكر على منتك وإعانتك ليّ إكمال هذه الرسالة ، فما أصبحت ولا أمسيت وبي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك ، فكما أنعمت عليّ بالبدء في هذا البحث ، أنعمت عليّ بالانتهاء منه وإتمامه ، اللهم فتقبله ولا ترده ، وانفع به ولا تهجره ، آمين .

أما بعد :

فإنه بعد الانتهاء من البحث وجدت أن الموضوع يحتاج إلى مزيد بحث وتأصيل ، لأن الذي يسبر غور السنة ، ويمخر عبابها ، يجد فيها ما يعجز اللسان عن وصفه، والعقل عن تخيله، ووالله إننا لغافلون وعن التحصيل مشغولون ، نهتم بأسس التربية الحديثة ، وأساليب التعليم الجديدة ، وعندنا هذا المنهج الفذ ، والهدى المنير للرحمة المهداة ، والله أسأل أن يُقيض له الجهابذة الذين يوفون هذا الموضوع حقه وأن ينفع به الأمة .

وأما النتائج التي يسر الله لي التوصل إليها ، فمنها :

١- أن للنبي ﷺ هدي خاص وجلي في البلاغ والتعليم للدين والشريعة ، له قواعده وأصوله .

٢- أن أفعال النبي ﷺ المتنوعة والمتغيرة في التبليغ والتعليم لم تكن عفواً أو سهواً أو ليس له لها غاية وقصد بل أو لحكمة أرادها .

٣- تم بيان فضل التبليغ والتعليم وأن به يقوم الدين وينتشر العلم ، وحرص النبي ﷺ وحثه على ذلك .

٤-أنه ﷺ سلك طرقاً وقنوات عملية متعددة لإيصال الدين للناس وتبليغهم أحكام الشريعة .

٥- استخدم النبي ﷺ الوسائل المنظورة والمحسوسة المعينة على نقل مراده وعلمه إلى الناس .

٦- استخدم النبي ﷺ أساليب متنوعة في البيان والتوجيه القولي منه والفعلي .

٧- لم يكن النبي ﷺ يترك موقفاً أو حادثاً أو مشهداً إلا ويستفيد منه في التبليغ والتعليم .

٨- ثبوت أن للنبي ﷺ صفة تعامل خاصة مع أصناف الناس المختلفة كل بحسبه مايلائه و يصلح له .

التوصيات والمقترحات :

١- أوصي نفسي وإخواني الدعاة والمربين والمعلمين باقتفاء أثر النبي ﷺ وهديه في تبليغ الناس هذا الدين وتعليمهم العلم ، حتى يبارك الله عز وجل في الجهود ، وأن يتقوا الله في السر والعلن .

٢- أقترح أن يتبنى هذا الموضوع القسم العلمي الشرعي والتربوي والتعليمي على مستوى الجامعات والكليات والتنسيق فيما بينها ، وتوظيف الطاقات المختلفة لدراسته من جميع الجوانب وتأصيله وإخراجه على شكل سلسلة من الكتب ، ثم تعميمه على الجامعات والمكتبات والمؤسسات ذات العلاقة ، ونشره على مستوى العالم الإسلامي بل والعالم أجمع، فيكون مرجعاً لكل راغب في إنتهاج منهج النبي ﷺ في هذا الموضوع . لأن الموضوع ضخم ، والسنة زاخرة لا ينضب معينها ، وكل جزء من البحث في هذه الرسالة يحتاج إلى مزيد إيضاح وضرب للأمثلة وهي موجودة ويمكن أن يستقل ببحث خاص ، فضلاً عن أن هناك جوانب لم يتطرق لها البحث ، ومن هنا يتبين أهمية هذا الاقتراح .

٣- وأقترح أن تُقدم المحاضرات العامة والخاصة ، وتعقد الندوات ، وتقام دورات خاصة للدعاة والمربين ، تُقدم من قبل المتخصصين في هذا الموضوع للإفادة منه وجعل هدي النبي ﷺ الأساس في هذا الجانب ، ولا مانع من الإفادة من مناهج التعليم الحديثة .

تنبيه :

أرجو أن لا يظن ظان أني لا أحبذ الاستفادة من المناهج الحديثة في التعليم والوسائل المتطورة في إيصال العلم والمعلومات ، ولكن رغبتي هي في جعل الهدي النبوي هو الأساس والمرتكز ، ثم لا مانع من إضفاء ما استجد من هذه المناهج والوسائل ، بل إن هذا مطلوب شرعاً ، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها ، وذلك في إطار الحدود الشرعية ، والله الموفق ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .

التراجم

١- أبي بن كعب :

هو الصحابي الجليل أبي بن كعب بن قيس ابن النجار الأنصاري رضي الله عنه أبو المنذر وأبو الطفيل سيد القراء ، من أصحاب العقبة الثانية ، وشهد بدراً والمشاهد كله ، وهو الذي قال له ﷺ : « ليهنك العلم أبا المنذر » وقال له « إن الله أمرني أن اقرأ عليك » ، قيل أنه توفي سنة اثنين وعشرين في خلافة عمر ، وقيل سنة ثلاثين في خلافة عثمان . [انظر : أسد الغابة ١/٦١ ، والإصابة ١/١٨٠] .

٢- اسامة بن زيد :

هو الصحابي الجليل أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل رضي الله عنهما ، مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه ، وحبه وابن حبه ، أمره رسول الله ﷺ على جيش عظيم لغزو الروم ومنه كبار الصحابة ، توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين للهجرة . [انظر : أسد الغابة ١/٧٩-٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٩٦- ٥٠٧ ، والإصابة ١/٣١] .

٣- أسلم عن أبيه :

مولى عمر ، ثقه ، مخضرم ، مات سنة ثمانين وهو ابن أربع عشرة ومائة . [التقريب ت(٤٠٦)]

٤- أسماء بنت شَكَل :

هي الصحابية الجليلة أسماء بنت شَكَل الأنصارية رضي الله عنها ويقال إنها بنت يزيد بن السكن ، نسبت لجدها . [انظر : أسد الغابة ٣/١١ ، تقريب التهذيب ت (٨٥٢٨)] .

٥- الأسود بن يزيد :

هو الأسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله النخعي ، أدرك النبي ﷺ مسلماً ولم يره ، وهو من فقهاء الكوفة وأعيانهم ، توفي سنة خمس وسبعين . [انظر : سير أعلام النبلاء ٤/٥٠ ، وأسد الغابة ١/١٠٧ ، والإصابة ١/٣٤٢] .

٦- أبو أسيد الأنصاري :

هو الصحابي الجليل أبو أسيد مالك بن ربيعة ، وقيل : هلال بن ربيعة الأنصاري الخزرجي ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان معه راية بني ساعدة يوم الفتح ، روى عدة أحاديث ، توفي سنة ستين وقيل خمس وسبعين . [انظر أسد الغابة ٥/١٥ ، والإصابة ٥/٥٣٥] .

٧- أنس بن مالك :

هو الصحابي الجليل أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله ﷺ ، أحد المكثرين ، دعا له النبي ﷺ ، وتوفي سنة ثلاث وتسعين للهجرة . [انظر : سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٥ - ٤٠٦ ، والإصابة ١ / ٧١ - ٧٢] .

٨- أوس بن أوس :

هو الصحابي الجليل أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه ، نزل الشام ، وسكن دمشق ، ومات بها . [أنظر : تهذيب الكمال ٣/٣٨٧ ، وأسد الغابة ١/١٦٤ ، والإصابة ١/٢٩١].

٩- أبو أيوب الأنصاري :

هو الصحابي الجليل أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، من السابقين ومن كبار الصحابة شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد ، ونزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بني بيوته ومسجده . توفي سنة إحدى وخمسين وقيل إثنين وخمسين .
[انظر : أسد الغابة ٥/٢٥ ، والإصابة ٦/١٩٩] .

١٠- البراء بن عازب :

هو الصحابي الجليل البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الأوس الأنصاري الأوسي رضي الله عنهما ، يكنى أبا عمرو ، وقيل أبا عمارة ، وهو أصح ، أود مشاهده أحد ، وغزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة ، مات سنة أثنتين وسبعين . [انظر : أسد الغابة ٢٠٥/١ ، وتقريب التهذيب ت (٦٤٨)] .

١١- أبو بردة ابن نيار :

هو الصحابي الجليل أبو بُردة هانئ بن نيار بن عمرو بن قضاعة ، شهد العقبة الثانية مع السبعين والمشاهد كلها ، وكانت معه راية بني حارثة بن الحارث يوم الفتح ، مات في أول خلافة معاوية بعد أن شهد مع علي رضي الله عنه حروبه كلها ، توفي سنة إحدى وأربعين وقيل إثنتين وأربعين ، وقيل خمسة وأربعين . [انظر : أسد الغابة ٥/ ٣٠ ، والإصابة (٦/ ٤١٠ ، ٢٣١/٧)] .

١٢- أبو بكرة :

هو الصحابي الجليل نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي ، وقيل : نفيع بن مسروح، وهو ممن نزل يوم الطائف إلى النبي ﷺ من حصن الطائف في « بكرة » فأسلم ، وكُني أبا بكرة وأعتقه رسول الله ﷺ، وهو معدود في مواليه . وكان من فضلاء الصحابة ومصالحيهم .سكن البصرة وتوفي بها سنة إحدى ، وقيل اثنتين وخمسين . [انظر : أسد الغابة ٣٨/٥ ، والإصابة ٣٦٩/٦] .

١٣- ثوبان مولى رسول الله ﷺ :

هو الصحابي الجليل ثوبان بن بُجْدُد ، وقيل : ابن جحدر ، مولى رسول الله ﷺ ، يكنى أبا عبد الله ، روى عن النبي ﷺ أحاديث ذوات عدد ، لازم رسول الله ص سفراً وحضراً ، خرج إلى الشام بعد وفاة النبي ﷺ ، توفى بحمص سنة أربع وخمسين . [انظر : أسد الغابة ٢٩٦/١ ، الإصابة ٥٢٧/١] .

١٤- جابر بن عبد الله :

هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي ، من أهل بيعة الرضوان ، روى كثيراً من الأحاديث ، نقل منها قرابة ١٥٤٠ حديثاً ، توفى سنة ثلاث وسبعين بالمدينة . [انظر : سير أعلام النبلاء ١٨٩/٣ - ١٩٤ ، والإصابة ٢١٣/١] .

١٥- جبير بن مطعم :

جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي وأمه أم حبيب بنت سعيد كان من أكابر قريش قدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر فسمعه يقرأ الطور . قال : فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي أسلم بين الحديبية والفتح وقيل في الفتح مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين . [أسد الغابة٣٢٣/١ ، والإصابة ١/ ٥٧٠] .

١٦- أبو جحيفه :

هو الصحابي الجليل أبو جحيفة وهب بن عبد الله السواني الكوفي ، يقال له : وهب الخير، حدث عن النبي ﷺ ، وعن علي والبراء ، توفي سنة أربع وسبعين ، وقيل سنة اثنتين وسبعين بالبصرة . [انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٣ ، أسد الغابة ٤٨/٥ ، والإصابة ٤٩٠/٦] .

١٧- حذيفة بن اليمان :

هو الصحابي الجليل أبو عبد الله حذيفة بن اليمان ، واسم اليمان حَسْل ، وقيل : حسيل بن جابر العبسي اليماني ، صاحب سر رسول الله ﷺ ، شهد أحداً ، مات بالمدائن بعد خلافة عثمان . [سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦١] .

١٨- حفصة أم المؤمنين :

هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة ، روت عنه عدة أحاديث ، كانت تسامي عائشة عند النبي ﷺ ، توفيت سنة إحدى وأربعين بالمدينة رضي الله عنها وأرضاها . [أنظر : سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢٧ ، أسد الغابة ٦/ ٦٥] .

١٩- أبو حميد الساعدي :

هو الصحابي الجليل أبو حميد عبد الرحمن بن سعد ، وقيل عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن الخزرج بن ساعدة الساعدي من أهل المدينة ، روى عدة أحاديث ، شهد أحداً وما بعدها ، توفي في آخر خلافة معاوية أو أول خلافة يزيد بن معاوية . [انظر : أسد الغابة ٦/ ٨٧ ، الإصابة ٧/ ٨٠] .

٢٠- أم خالد بنت خالد :

هي الصحابية الجليلة أم خالد أمَة بنت خالد بن سعيد بن العاص القرشية الأموية ، الحبشة المولد ، روت حديثين وكانت آخر الصحابيات وفاة ، تزوجها الزبير بن العوام ، واقرأت النبي ﷺ سلام النجاشي حين قدموا من الحبشة ، عُمرت . [انظر : سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٧٠، وأسد الغابة ٦/ ٣٢٥ ، وتقريب التهذيب ت (٨٥٣٥)] .

٢١-أبو الجعد الضمري :

هو الصحابي الجليل أبو الجعد بن جنادة بن ضمرة الضمري رضي الله عنه ، من بني ضمرة، لم يعرف له إلا هذا الحديث ، كان على قومه في غزوة الفتح ، أرسله ﷺ يحشر قومه لغزوة الفتح ويستنفرهم للخروج إلى تبوك ، سكن المدينة ، وقتل مع عائشة في وقعة الجمل .
[انظر : أسد الغابة ٥/ ٥١ ، والإصابة ٧/ ٥٥] .

٢٢- دحية الكلبي :

دحيه بن خليفه بن فضاله الكلبي صحابي مشهور شهد أحداً وما بعدها وكان جبريل يأتي في صورته أحياناً وقد نزل دمشق ونزل المرة وعاش إلى خلافة معاويه . [الإصابة ٣٢١/٢ ، أسد الغابة ٦/٢] .

٢٣- أبو الدرداء :

هو الصحابي الجليل أبو الدرداء عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن الحارثي بن الخزرجي ، كان فقيهاً عاقلاً حكيماً ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وروي أن النبي ﷺ قال يوم أحد : « نِعْمَ الفارس عويمر » وقال : « هو حكيم أمتي » . توفى سنة اثنتين وثلاثين . [انظر : أسد الغابة ٩٧/٥ ، والإصابة ٦٢١/٤] .

٢٤- ابو ذر الغفاري :

هو الصحابي الجليل جندب بن جنادة بن سكن بن غفار ، وهو مشهور بكنيته ، يكنى أبا ذر ، من كبار الصحابة ، وفضلائهم ، قديم الإسلام يقال : أسلم بعد أربعة وكان خامساً ، توفي باربذه سنة إحدى وثلاثين ، أو أثنتين وثلاثين . [انظر : أسد الغابة ٩٩/٥ ، والإصابة ١٠٥/٧] .

٢٥- ربيعه بن عِبَاد الدئليّ :

هو الصحابي ربيعة بن عِبَاد الدئليّ ، روى حديثاً عن النبي ﷺ ، عُمر عَمراً طويلاً ، وقيل : مات في خلافة الوليد . [الإصابة ٣٩٠/٢] .

٢٦- أبو زين :

هو الصحابي الجليل أبو رَزين مسعود بن مالك الأسدي رضي الله عنه ، نزل الكوفة ، قيل أن شهد صفين مع علي ، قيل أنه مات بعد الستدين وقيل بعد الثمانين ، وقيل سنة خمس

وتسعين . [انظر : أسد الغابة ١٠٩/٥ ، والإصابة ١٢٦/٧] .

٢٧- أبو رفاعة :

هو الصحابي الجليل أبو رفاعة العدوي تميم بن أسد رضي الله عنه ، وقيل : اسمه عبد الله الحارث ، نزل البصرة ، وقتل بكابل سنة أربع وأربعين . [انظر : أسد الغابة ١١٠/٥ ، والإصابة ١١٧/٧] .

٢٨- رويفع بن ثابت :

هو الصحابي الجليل رويفع بن ثابت سكن الأنصاري النجاري الموني ثم المصري ، نزل مصر ، وولى طرابلس المغرب لمعاوية ، توفى سنة ستة وخمسن ، قيل مات بالشام ، وقيل ببرقة. [انظر : سير أعلام النبلاء ٣٦/٣ ، أسد الغابة ٨٧/٢ ، والإصابة ٤١٦/٢] .

٢٩- زيد بن خالد الجهني :

هو الصحابي الجليل زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه ، شهد الحديبية وكان معه لواء جهينة يوم الفتح ، روى (٨١) حديثاً ، توفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة ثمان وسبعين على اختلاف في ذلك . [انظر : أسد الغابة ١٣٢/٢ - ١٣٣ ، والإصابة ٥٦٥/١] .

٣٠- سعد بن أبي وقاص :

هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن أهيب القرشي رضي الله عنه ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، من السابقين الأولين ، كان ثلث آيه سلام ، شهد بدراً والحديبية ، أحد الستة أهل الشورى ، توفى سنة خمس وخمسين . [انظر : سير أعلام النبلاء ٩٢/١ ، أسد الغابة ٢١٤/٢] .

٣١- أبو سعيد الخدري :

هو الصحابي الجليل أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان رضي الله عنه ، مفتي المدينة ، روى (١١٧٠) حديثاً ، بايع النبي ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، توفى سنة أربع وستين بالمدينة ودفن بالبقيع . [انظر : سير أعلام النبلاء ١٦٨/٣ ، والإصابة ٣٥/٢] .

٣٢- سفيان بن عبد الله الثقفي :

هو الصحابي سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أسلم مع الوفد ، له عدة أحاديث ، استعمله عمر على الطائف ، وقيل على الصدقات فيها . [انظر : أسد الغابة ٢٥٣/٢ ، والإصابة ١٠٤/٣] .

٣٣- سلمه بن الأكوع :

هو الصحابي الجليل سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه ، شهد بيعة الرضوان في الحديبية ، وبايع رسول الله ﷺ يومئذ ثلاث مرات في أول الناس ، ووسطهم وآخره ، روى (١٧) حديثاً ، توفى بالمدينة سنة أربع وسبعين . [انظر : سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٣ ، والإصابة ٦٦/٢] .

٣٤- أم سليم :

أم سُلَيْم بنت ملحان بن خالد الأنصاري الخزرجية رضي الله عنها ، أم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ ، قيل اسمها : الرميصاء ، وقيل الغميصاء ، وقيل غير ذلك . وهي خالة الرسول ﷺ من الرضاعة وقيل من النسب ، شهد لها بالجنة . [انظر : سير أعلام النبلاء ٣٠٤/٢-٣١١ ، والإصابة ٤٦١/٤ - ٤٦٢] .

٣٥- سليمان بن صرد :

هو الصحابي سليمان بن صُرَد بن الجون الخزاعي ، ويكنى أبا المُطَرف ، وكان خيراً فاضلاص ، له دين وعبادة ، وكان له قدر وشرف في قومه ، سكن الكوفة ، وشهد مع علي رضي الله عنه مشاهده كلها ، قتل سنة خمس وشتين ، قتله عسكر مروان بن الحكم . [انظر : أسد الغابة ٢٩٧/٢ ، والإصابة ١٤٤/٣] .

٣٦- أم سنان الأنصارية :

هي الصحابية الجليلة أم سنان الأنصارية ، ذكرة في هذا الحديث ، ولم أجد لها ترجمة وافيه . [انظر : أسد الغابة ٣٤٧/٦] .

٣٧- سهل بن سعد :

هو الصحابي الجليل أبو العباس سهل بن سعد بن مالك الساعدي ، كان اسمه حزناً فسماه النبيﷺ سهلاً ، توفى سنة ثمان وثمانين ، وقيل إحدى وتسعين بالمدينة ، [انظر : سير أعلام النبلاء ٤٢٢/٣ ، والإصابة ٨٨/٢] .

٣٨- أبو شريح الخذاعي :

هو الصحابي الجليل أبو شريح خويلد بن عمرو : وقيل : عكسه ، وقيل : كعب بن عمرو، أسلم قبل الفتح ، حمل أحد ألوية بني كعب بن خزاعة وم الفتح ، وكان من عقلاء الرجال. توفي سنة ثمان وستين . [انظر : أسد الغابة ١٦٤/٥ ، والإصابة ١٧٣/٧] .

٣٩- ضماد بن ثعلبة :

هو الصحابي الجليل ضماد بن ثعلبة الأزدي ، من أزد شنوءة ، كان صديقاً للنبي ﷺ في الجاهلية ، أسلم وبايع عن قومه . [انظر : أسد الغابة ٤٣٨/٢ ، والإصابة ٣٩٤/٣] .

٤٠- عبد الله بن الزبير :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي ، كناه ﷺ أبا بكر ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ، وخالته عائشة أم المؤمنين ، روى جملة من الأحاديث ، بويع في الحجاز بعد معاوية ابن أبي سفيان ، واليمن والعراق وخراسان ، وجدد عمارة الكعبة ، قتل سنة ثلاث وسبعين . [انظر : أسد الغابة ١٣٨/٣ ، والإصابة ٧٨/٤] .

٤١- عائشة أم المؤمنين :

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر زوجة النبي ﷺ ، من أكثر الصحابة رواية للحديث ، عالمة فقيهة ، توفيت سنة سبع وخمسين ودفنت بالبقيع . [انظر : سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢-٢٠١، والإصابة ٣٥٩/٤] .

٤٢- عبد الله بن بسر المازني :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن بسر المازني عنه يكنى أبا بُسر ، وقيل : أبا صفوان ، صلى القبلتين ، ووضع النبي ﷺ يده على رأسه ودعا له . توفى سنة ثمان وثمانون ، وقيل : سنة ست وتسعين بحمص ، وهو آخر من مات من الصحابة في الشام . [انظر : أسد الغابة ٨٢/٣ ، والإصابة ٢٠/٤] .

٤٣- عبد الله بن حذافه السهمي :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي القرشي السهمي ، أبو حذافة ، شهد بدراً ، يقال مات في خلافة عثمان وذلك بمصر . وهو الذي قبل رأس ملك الروم ليطلق أسارى المسلمين . [الإصابة ٥٠/٤] .

٤٤- عبد الله بن زيد بن عاصم :

هو الصحابي عبد الله بن زيد رضي الله عنهما بن عاصم الأنصاري المازني ، شارك في قتل مسيلمة الكذاب ، توفى سنة ثلاث وستين بالمدينة . [انظر : سير أعلام النبلاء ٢/٣٧٧، والإصابة ٢/٣١٢] .

٤٥- عبد الله بن سلام :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بن الحارث ، أبو يوسف من ذرية يوسف عليه السلام ، الاسرائيلي الأنصاري ، أسلم أول ما قدم النبي ﷺ المدينة ، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين . [الإصابة ٤/١٠٢] .

٤٦- عبد الله بن عباس :

هو الصحابي الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله ﷺ ، دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين والعلم التأويل من المكثرين، وكان أكثر الصحابة رضي الله عنهم فتوى . توفى بالطائف سنة ثمان وستين . [انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٣٣١ - ٣٥٩ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/٣٣٠] .

٣٧- عبد الله بن عمر :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، أسلم مع أبيه وهاجر إلى المدينة ، وكان من المكثرين في رواية الحديث ، شديد الحب لمتابعة النبي ﷺ ، توفى سنة أربع وسبعين . [أنظر : سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٣ - ٢٣٩ ، والإصابة ٢/٣٤٧ - ٣٥٠] .

٣٨- عبد الله بن عمرو :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل رضي الله عنه ، روى كثيراً من الأحاديث ، كان أكثر الناس أخذاً للحديث والعلم من رسول الله ﷺ بشهادة أبي

هريرة رضي الله عنه توفي سنة ثلا ثوستين بالطائف وقيل بمكه . [انظر سير أعلام النبلاء ٣/٧٩-٩٥ ، والإصابة ٢/٣٥١] .

٤٩- عبد الله بن مسعود :

هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب رضي الله عنه وهو سادس من أسلم من السابقين الأولين ، روى كثيراً من الأحاديث ، توفى بالكوفة سنة ثنتين وثلاثين . [انظر : سير أعلام النبلاء ١/٤٦١ - ٥٠٠ ، والإصابة ٢/٣٦٩] .

٥٠- عدي بن حاتم :

هو الصحابي الجليل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي ، وأبوه حاتم هو الجواد الموصوف بالجود ، الذي يضرب به المثل ، يكنى أبا طريف ، ثبت على أسلامه في الردة ، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر ، شهد فتح العراق ثم سكن الكوفه ، وشهد صفين مع علي ، توفى سنة سبع وستين . [انظر : أسد الغابة ٣/٥٠٥ ، الإصابة ٤/٣٨٨] .

٥١- أم عطية :

هي الصحابية الجليلة أم عطية الأنصارية ، اسمها نسيبة بنت الحارث ، وقيل : نسيبة بنت كعب ، كانت خافضة بالمدينة ، وتغسل الموتى ، نزلت البصرة ، وكانت تغزو مع الرسول ﷺ، لها عدة أحاديث ، عاشت إلى حدود سنة سبعين . [انظر : أسد الغابة ٦/٣٦٧ ، سير أعلام النبلاء ٢/٣١٨] .

٥٢- عمران بن حصين :

هو الصحابي الجليل عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي الكعبي رضي الله عنه ، يكنى أبا نجيد ، بانبه نُجيد ، أسلم عام خيبر ، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات ، أرسله عمر إلى البصرة ليفقه أهلها ، من فضلاء الصحابة ، كان حجاب الدعوة . توفى سنة اثنين وخمسين . [انظر : أسد الغابة ٣/٧٧٨ ، والإصابة ٤/٥٨٤] .

٥٣- عمر بن الخطاب :

عمر بن الخطاب بن نفل ابن عبد العزى ابن عدي بن كعب القرشي العدوي ، أمير المؤمنين جم المناقب ، استشهد في ذي الحجة سنة ٢٣ ولي الخلافة عشر سنين ونصفاً . [التقريب ، ت (٤٨٨٨)] .

٥٤- عمر بن أبي سلمه :

هو الصحابي الجليل عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي رضي الله عنهما ، ربيب رسول الله ﷺ لأن أمه أم سلمة زوج النبي ﷺ ، يكنى أبا حفص ، قبض رسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين ، شهد الجمل مع علي ، واستعمله علي البحرين ، توفي بالمدينة سنة ثلاث وثمانين . [انظر : أسد الغابة ٣/ ٦٨٠ ، والإصابة ٤/٤٨٧] .

٥٥- عمرو بن أميه الضمري :

هو الصحابي الجليل عمرو بن أمية بن خويلد بن ضمرة الضمري ، أبو أمية ، له أحاديث، وكان شجاعاً عاش إلى خلافة معاوية ، فمات بالمدينة . [الإصابة ٤/ ٤٩٦] .

٥٦- أم الفضل بنت الحارث :

هي الصحابية الجليلة لُبابة بنت الحارث بن حزن بن بُجير الهلالية أم الضل ، وهي زوج العباس بن عبد المطلب ، يقال أنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة . روت عن النبي ﷺ أحاديث، توفيت بعد العباس في خلافة عثمان . [انظر : أسد الغابة ٦/٢٥٣ ، تقريب التهذيب (٨٦٧٦)] .

٥٧- العلا بن الحضرمي :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن عماد بن أكبر الحضرمي ، استعمله النبي ﷺ على البحرين وأبو بكر وعمر ، مات سنة أربع عشرة ، وقيل سنة إحدى وعشرين . [الإصابة : ٤٤٥/٤] .

٥٨- أبو قتادة بن ربعى :

هو الصحابي الجليل أبو قتادة الحارث بن ربعى بن بلدّمة الأنصاري الخزرجي السلمى ، فارس رسول الله ﷺ ، اختلف ف يشهوده بدراً ، وشهد ما بعدها . وروى أن النبي ﷺ قال له لما قتل مسعدة « أفلح الوجه » ، ودعا له فقال « اللهم بارك في شعره وبشره » . توفى سنة أربع وخمسين على الصحيح . [انظر : أسد الغابة ٢٥٠/٥ ، والإصابة ٢٧٢/٧] .

٥٩- قيس بن عمرو :

هو الصحابي الجليل قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبه بن النجار الأنصاري ، جد يحيى بن سعيد التابعي المشهور ، من أهل المدينة . [انظر : أسد الغابة ١٣٨/٤ ، والإصابة ٣٧٢/٥ ، والتقريب ت (٥٥٨٤)] .

٦٠- كعب بن عجرة :

هو الصحابي الجليل كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي حليف الأنصار ، وقيل بل هو أنصاري قاله البخاري ، روى أحاديث عن النبي ﷺ ، سكن الكوفه ، قطعت يده في بعض المغازي ، قيل توفى بالمدينة قيل : إحدى ، وقيل : أثنتين ، وقيل : ثلاث وخمسين سنة .
[انظر : أسد الغابة ١٨١/٤ ، والإصابة ٤٤٨/٥] .

٦١- كعب بن مالك :

هو الصحابي الجليل كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين الأنصاري السلمى ، أبو عبد الله ، شهد العقبة وأحداً وما بعدها وتخلف عن تبوك ، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا ثم يتب عليهم ، قيل مات في الشام في خلافة علي . [انظر : أسد الغابة ١٨٧/٤ ، والإصابة ٤٥٦/٥ ، والتقريب ت (٥٦٤٩)] .

٦٢- ابن اللتبية :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن اللتبية بن ثعلبة الأزدي رضي الله عنه ، استعمله النبي ﷺ على بعض الصدقات . [انظر : أسد الغابة ٢٧٠/٣ ، والإصابة ١٨٨/٤] .

٦٣- أبو مسعود الأنصاري :

هو الصحابي الجليل أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة ابن أسيرة ويقال يُسيره الأنصاري الخزرجي ، وهو المعروف بالبدري ، لأنه سكن أول نزل ماء بدر وشهد العقبة ، مشهور بكنيته نزل الكوفة ، وكان من أصحاب علي . توفي سنة إحدى وقيل : اثنتين وأربعين ، وقيل بعد سنة ستين . [انظر : أسد الغابة ٢٨٦/٥ ، والإصابة ٤٣٢/٤] .

٦٤- المسور بن مخرمة :

هو الصحابي الجليل المِسْور بن مخرمة بن نوفي بن أُهيب القرشي الزهري يكنى أبا عبد الرحمن ، حفظ من النبي ﷺ أحاديث ، كان من أهل الفضل والدين ، قتل سنة أربع وستين ، أصابحه حجر منجنيق وهو يصلي في الحجر ، وصلى عليه ابن الزبير . [انظر : أسد الغابة ٣٩/٤ ، والإصابة ٩٣/٦] .

٦٥- معاذ بن أنس :

هو الصحابي الجليل معاذ بن أنس الجهني الأنصاري رضي الله عنه ، سكن مصر ، روى عن النبي ﷺ ، وكعب الأحبار ، وأبو الدرداء ، بقي إلى خلافة عبد الملك . لم أقف على ينة وفاته . [انظر : طبقات ابن سعد ٣٤٨/٧ ، وتهذيب الكمال ١٠٥/٢٨ ، وأسد الغابة ٤١٧/٤ ، والإصابة ١٠٧/٦] .

٦٦- معاذ بن جبل :

هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه ، شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار ، أحد الذين جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وحفظه ، وهو أحد الأربعة الذين قال عنهم النبي ﷺ خذوا القرآن من أربعة ، وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام ، توفى باعون عمواس بالشام شهيداً ، سنة ثمان عشرة . [انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١ ، والإصابة ٤٢٦/٣] .

٦٧- معاوية بن الحكم السلمى :

هو الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمى نزل المدينة روى حديثاً عن النبي ﷺ . [الإصابة ١١٨/٦ ، والتقريب ت (٦٧٥٣)] .

٦٨- أبو موسى الأشعري :

هو الصحابي الجليل أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم ، الأشعري التيمي ، صاحب الهجرات الثلاث من اليمن إلى مكة ، ثم إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة، أعطي مزماراً من مزامير آل داوود ، توفي سنة أربع وأربعين . [انظر : سيرأعلام النبلاء ٢/ ٣٨٠-٤٠٢ ، والإصابة ٣٥٩/٢] .

٦٩- النعمان بن البشير :

هو الصحابي الجليل النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرمي رضي الله عنهما ، يكنى أبا عبد الله ، أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة ، استعمله معاوية على الكوفه ثم على حمص ، وكان من أخطب الناس ، دعا إلى ابن الزبير بعد موت معاوية بن يزيد، قتل سنة خمس وستين . [انظر : أسد الغابة ٤/ ٥٥٠ ، والإصابة ٣٤٦/٦] .

٧٠- النواس بن سمعان الأنصاري :

هو الصحابي الجليل النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو العامريّ الكلابيّ رضي الله عنهما له ولأبيه صحبه ، وفد أبوه على النبي ﷺ فدعا له ، وأهدى إلى النبي ﷺ نعلين فقبلهما. روى أحاديث عن النبي ﷺ منها حديث عن الأجال . [انظر : أسد الغابة ٥٩١/٤ ، والإصابة ٣٧٧/٦] .

٧١- أبو هريرة :

هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن الدوس رضي الله عنه ، كان من المكثرين في رواية الحديث عن النبي ﷺ ، توفى سنة سبع وخمسين . [انظر : سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢ - ٦٣٢، والإصابة ٢٠٢/٤ - ٢١١] .

٧٢- أم هشام بنت حارثة بن النعمام :

هي الصحابية الجليلة أم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية ، وقيل أم هاشم رضي الله عنها ، بايعت بيعة الرضوان .[انظر : أسد الغابة ٤٠٦/٦ ، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٩٠].

٧٣- يعلي بن أمية :

هو الصحابي الجليل أبو صفوان يعلي بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي ، شهد حنيناً و الطائف ، وتبوك ، استعمله أبو بكر وعمر ، خرج مع عائش في موقعة الجمل ، ثم صفين مع علي وقيل قتل فيها . [انظر : أسد الغابة ٧٤٧/٤ ، والإصابة ٥٣٨/٦] .

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة ، أحميد محمد العقيلي . بدون تاريخ ، مطابع خزام للأوفست ، الرياض .

٣- إحياء علوم الدين ، للإمام محمد أبي حامد الغزالي ، ت ٥٠٥هـ ، وبهامشه تخريج الإمام العراقي وبذيله كتاب الإملاء في إشكلات الإحياء للإمام الغزالي ، وكتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للشيخ العيدروس ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، دار الخير ، بيروت ، لبنان .

٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني ، ت ٩٢٣هـ ، ضبطه وصححه ، محمد عبد العزيز الخالدي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، بإشراف محمد زهير الشاويش ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان .

٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، ت ٦٣٠هـ ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٧- الإصابة في تمييز الصاحبة للحافظ أدم بن علي بن حجر السقلاني ، ت ٨٥٢هـ ، دراسة وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وزملاؤه ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد ا لأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، ت ١٣٩٣هـ ، بدون تاريخ ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

٩- أعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١هـ ، تعليق طه عبد الرؤوف سعد ، بدون تاريخ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

١٠- أمثال الحديث ، للقاضي أبي محمد الحسن الرامهرمزي ، ت ٣٦٠هـ ، حققه وعلق عليه الدكتور / عبد العلي عبد الحميد الأعظمي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، الدار السلفية ، بومباي ، الهند .

١١- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ت ٧٩٤هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بدون تاريخ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

١٢- التاريخ الكبير للإمام أبي عبد الله محمد اسماعيل بن إبراهيم البخاري ، ت ٢٥٦هـ ، بدون تاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٣- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، ت ١٣٥٣هـ ، بدون تاريخ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مصر .

١٤- تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء اسماعيل عماد الدين بن عمر بن كثير ، ت ٧٧٤هـ ، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا ، بدون تاريخ ، دار الشعب ، القاهرة ، مصر .

١٥- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ، ت ٦٠٤هـ . الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٦- تقريب التهذيب للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ ، دراسة وتعليق محمد عواقة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، دار الرشيد ، سوريا ، حلب .

١٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ، ت ٧٤٢هـ ، حققه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف ، الطبعة السادسة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٢م ، دار الرشيد ، سوريا ، حلب .

١٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ت ١٢٣٣هـ ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١٩- الثقات للحافظ محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، ت ٣٥٤هـ ، طبع تحت إدارة شرف الدين أحمد ، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، مطبعة جلس دائرة المعارف العثمانية ، يدر آباد الدكن ، الهند .

٢٠- جامع الأصول من أحاديث الرسول للإمام مَجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد : ابن الأثير الجزري ، ت ٦٠٦هـ ، تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢١- جامع بيان العلم وفضله للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر ، ت ٤٦٣هـ ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت ٣١٠هـ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ ، شركة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر .

٢٣- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، المشهور بصحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، ت ٢٥٦هـ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٤- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة ، ت ٢٩٧هـ ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، بدون تاريخ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

٢٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، تأليف زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن أحمد بن رجب الحنبلي ، طبعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

٢٦- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، ت ٦٧١هـ ، بدون تاريخ ، بدون دار للطباعة .

٢٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية الحراني ، ت ٧٢٨هـ ، تحقيق وتعليق الدكتور / علي بن حسن بن ناصر وزملاؤه ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، دار العاصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

٢٨- الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ت ٩١١هـ ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٩- الدراية في تخريج أحاديث الهداية للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ ، صححه وعلق عليه السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٣٠- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت٤٥٨هـ ، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٣١- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، ت ٥٩٧هـ ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٣٢- زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام المحدث شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ، ابن قيم الجوزية ، ت ٧٥١هـ ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ، الطبعة الخامسة عشر ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ومكتبة المنار الإسلامية ، الكويت .

٣٣- سبل الهدى والرشاد في مسيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، ت ٩٤٢هـ ، تحقيق عادل عبد الموجود ، وعلي معوض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٣٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ت ١٤٢٠هـ ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٠هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي ، بيروت، لبنان .

٣٥- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القرويني بن ماجه ، ت ٢٧٣هـ ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة الثانية ، ١٤٤هـ - ١٩٨٤م ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٣٦- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي ، ت ٢٧٥هـ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م ، دار الحديث ، حمص ، سورية .

٣٧- السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، ت ٤٥٨هـ ، وفي ذيله الجوهر المنقى لابن التركماني ، ت ٧٤٥ ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

٣٨- سنن النسائي للإمام المحدث أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي ، ت ٣٠٣هـ ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوط ، ت ٩١١هـ ، وحاشية الإمام السندي ، ت ١١٣٨هـ ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٣٩- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت ٧٤٨ ، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوطي وزملاؤه ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٤٠- السيرة النبوية لإبن هشام ، حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا وزملاؤه ، بدون تاريخ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق - بيروت ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

٤١- شرح السنة للإمام المحدث الحسين بن مسعود البغوي ، ت ٥١٦هـ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٤٢- شرح الشفا للقاضي عياض ، للملا علي القاري ، بدون تاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٤٣- شرح صحيح مسلم للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ت ٦٧٦هـ ، إعداد مجموعة أساتذة بإشراف علي عبد الحميد أبو الخير ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، دار الخير ، دمشق ، سورية .

٤٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت ٣٩٣ ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ ، دار العالم للملايين ، بيروت ، لبنان.

٤٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، ت ٧٣٩هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان .

٤٦- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، مكتبة الدليل ، الجبيل الصناعية ، المملكة العربية السعودية

٤٧- صحيح الترغيب والترهيب للإمام محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٨م ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٤٨- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٤٩- صحيح سنن ابن ماجه بإختصار السنن لإمام محمد ناصر الدين الألباني ، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، إشراف زهير الشاويش ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٥٠- صحيح سنن أبي داود بإختصار السند ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني ، بتكليف مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، إشراف زهير الشاويش ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٥١- صحيح سنن الترمذي باختصار السند للإمام محمد ناصر الدين الألباني ، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، إشراف زهير الشاويش ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٥٢- صحيح سنن النسائي بإختصار السند للإمام محمد ناصر الدين الألباني ، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، إشراف زهير الشاويش ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ه- - ١٩٨٩م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٥٣- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشير النيسابوري ، ت ٢٦١هـ ، طبعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٥٤- عون المعبود شرح سنن أبي دواد للعلامة أبي الطيب محمد شمس الدين الحق العظيم آبادي ، مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية ، تحقق عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٥٥- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - إلى كتاب الحج فقط ثم توقف - بدون تاريخ ، دار الفكر .

٥٦- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ، كلاهما تأليف أحمد عبد الرحمن البنا ، بدون تاريخ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٥٧- فقه السيرة لمحمد الغزالي ، خرج الأحاديث العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، دار القلم ، دمشق ، بيروت .

٥٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ت ٥٣٨، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٥٩- لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت ٧١١هـ ، بدون تاريخ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٦٠- صحيح سنن أبي داود بإختصار السند ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني ، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، إشراف زهير الشاويش ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٦١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الملا على القاري ، ومع : أجوبة الحافظ ابن حجر العسقلاني على رسالة القزوين ، تحقيق صدقي محمد جميل العطار ، بدون رقم الطبعة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٦٢- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، ت ٤٠٥هـ ، مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراق في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم من العلماء الإجلاء . دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

٦٣- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، ت ٢٤١ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، بدون تاريخ ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، مصر .

٦٤- مشكاة المصابيح لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي ، بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٦٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ت ٩١١هـ ، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

٦٦- المعجم الوسيط ، أخرج هذه الطبعة إبراهيم أنيس وزملاءه ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٦٧- مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني ، ت ٤٢٥هـ ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، لبنان .

٦٨- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ، ت ٦٥٦هـ ، تحقيق محيي الدين ديب متو وزملاؤه ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت .

٦٩- المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء للقاضي أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني ، ت ٤٨٢هـ ، حققه وعلق عليه محمد شمس الحق شمسي ، ١٤٠٣هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الركن ، الهند .

٧٠- الموافقات للعلامة المحقق أبي أسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، ت ٧٩٠هـ ، ضبط وتخريج أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م دار ابن عفان ، الخبر ، المملكة العربية السعودية .

٧١- الموسوعة الحديثية ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

٧٢- نصب الراية لأحاديث الهداية للإمام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي ، ت ٧٦٢هـ ، مع حاشيته بغية الألمعي في تخريجي الزيلعي ، تصحيح محمد عوامة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ، دار القبلة ، جده ، المملكة العربية السعودية .

٧٣- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، ت ٦٠٦ ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، بدون تاريخ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

فهرس الموضوعات

بالقدوة

الموضـــــــــوع	الصفحة